

مَعَ النَّبِيِّ

عَلَيْهِ السَّلَامُ

أدهم شرقاوي

• قس بن ساعدة •

مكتبة الرمحي أحمد ٩٢

إنما بعثت لاتعم مكارم الأخلاق



مع النبي ﷺ

أدهم شرقاوي

«قس بن ساعدة»

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحى أحمد ٩٢

تيلجرام **@ktabpdf**

٢٠١٧



الإِهْدَاءُ

إِلَيْكَ ...

أَنْتَ الرَّاوِيُّ وَالرَّوَايَةُ ، وَالْحَاكِيُّ وَالْحِكَابَةُ
إِلَيْكَ ...

وَأَنْتَ تُهَدِّيُ إِلَى الْكُتُبِ
لَا هِيَ التِّي تُهَدِّي إِلَيْكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ :
أَنَا كُلُّي فَدِي نَعْلِيْكَ ...

صَدَقَةٌ

روى البخاري أنَّ رسولَ اللهَ ﷺ قالَ :
قالَ رَجُلٌ لَا تُصْدِقُنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ
فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ
فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ ، تُصَدِّقُ عَلَى سَارِقٍ !
فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، لَا تُصْدِقُنَّ بِصَدَقَةٍ
فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي زَانِيَةٍ
فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصَدِّقُ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ
فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، لَا تُصْدِقُنَّ بِصَدَقَةٍ
فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي غَنِيَّةٍ
فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصَدِّقُ عَلَى غَنِيَّةٍ !
فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ ، عَلَى سَارِقٍ ، وَعَلَى زَانِيَةٍ ، وَعَلَى غَنِيَّةٍ !
فَأُتَيَ ، فَقِيلَ لَهُ
أَمَّا صِدْقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعْلَهُ أَنْ يَسْتَعْفَ عَنْ سُرْقَتِهِ
وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعْلَهَا أَنْ تَسْتَعْفَ عَنْ زَنَاهَا
وَأَمَّا الغَنِيَّةُ فَلَعْلَهُ يَعْتَبِرُ فِي نِفَقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ !

الدَّرْسُ الْأُولُّ

هَذَا هُوَ شَأْنُ النَّاسِ دَوْمًا
إِذَا تَرَفَعَتْ عَنْ رَدِّ الْإِسَاعَةِ ، قَالُوا : جَبَانٌ
وَإِذَا تَصَدَّقَتْ ، قَالُوا : يُرَانِي

إذا صاحبتَ عالماً ، قالوا : يتزلّف
وإذا صافحتَ عاصيَا ، قالوا : هو مثله
إذا أحسنتَ إلى زوجتك ، قالوا : خروف
إن لم تُجاريهم في المعصية ، قالوا : مُتزمّت
وإن لم تُجاريهم في قبول الرُّشوة ، قالوا : غشيم
إن تحجبتِ ، قالوا جاهلةً بالموضة
وإن غطيتِ وجهكِ ، قالوا : تسترُ قبحها
إن أطعْتَ زوجك ، قالوا : ضعيفةُ الشخصيةِ
فَكُنْ أَنْتَ وَلَا تسمح لهم أن يُغَيِّرُوك
وَلَا تتنازلْ عن مبادئك لِإرضائهم
لو تأملتَ حال الناس ، لوجدتَ أكثرهم ليسوا راضين عن الله
فكيفَ يرضي النَّاسُ عن الناس؟!

الدرس الثاني:

خُذْ بِأَيْدِي النَّاسِ إِلَى اللَّهِ
وَتَذَكَّرْ أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ لَمْ يُرْسِلِ الرَّسُولَ إِلَّا لِلْعُصَمَاءِ مِنْ خَلْقِهِ!
فَلَوْ كَانُوا أَهْلَ طَاعَةٍ مَا احْتَاجُوا إِلَى الرَّسُولِ
حَتَّى الشُّوَاظُ مِنْهُمْ أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمْ نَبِيًّا
وَالَّذِي قَالَ 『أَنَا رِبُّكُمُ الْأَعْلَى』 ، أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُ رَسُولًا لِيَقُولَ لَهُ
『قُولَا لِيَنَا』

وَالَّذِينَ قَالُوا : أَنَّ الْأَصْنَامَ بَنَاتِ اللَّهِ
أَرْسَلَ لَهُمْ صَفْوَةَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

فلا تنظر في ذنوب الناسِ كأنكَ ربَّ
 وانظر إليهم كأنكَ عبدَ
 وإن زكاة الهدایة التي حبَّ الله إياها
 أن تأخذ بأيديهم إلى الله
 فما كان لك أن تهتدي بقوتك
 ولكن سبحانه منْ عليكَ
 فانظر في أهلِ المعصيةِ كما تنظر في أهلِ البلاءِ
 وإنَّ المرضَ أهونَ منِ الفسالِ
 فقد يكون رفعةً في الأجرِ، أمَّا الفسالُ فعاقبته وخيمةٌ

الدرسُ الثالثُ

صحيح أننا أمرنا أن نحكم على الأمور بظاهرها
 ولكن كُنْ أذكي منْ أن تخدعكَ المظاهر
 هناك عصاةٌ يحبون الله ورسوله
 أكثر من كثرين منْ تُعَجَّلُ الدِّينَ الذين تعرفونهم
 ولكن غلبتهم شهواتهم ، وتسلطتْ عليهم شياطينهم
 وقد روى البخاري منْ حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
 أن رجلاً على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ
 كان اسمه عبد الله وكان يُلقب حماراً
 وكان خفيف الظل ، يُصْحِّحُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ
 وكان يشرب الخمر ، فجلده النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ مرّةً وأخرى
 وفي الثالثة قال رجل من القوم : اللهم عنِّه ، ما أكثر ما يُؤْتَى به

فقال النبي ﷺ لا تلعنوه ، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله
ورسوله

إنَّ القلوبَ أُسرارٌ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا خَالقُهَا
الَّتِي لَا تَتَحَجَّبُ لَيْسَتْ عَاهِرَةً
وَالَّذِي يَسْمَعُ الْمُوسِيقِيَّ لَا يَكْرَهُ الْقُرْآنَ
وَأَنَا لَا أَدَافِعُ عَنِ الْعُصَمَةِ وَلَا أُبَرِّلُهُمْ
إِنِّي أَقُولُ فَقْطَ : خُذُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ

الدرس الرابع:

إِنْ لَمْ نُعَامِلْ النَّاسَ بِأَخْلَاقٍ وَلِيَنْ
فَنَحْنُ نُقْدِمُ لَهُمْ غَادِجَ سَيِّئَةً عَنِ الْمُتَدَبِّرِينَ
عِنْدَهَا لَنْ يَتَرَكُوا مَعَاصِيهِمْ لِيَكُونُوا مُتَدَبِّرِينَ قَسَّاءً
إِنْ لَمْ نَكُنْ غَادِجَ يُحْتَذِي بِهَا
فَلَا نُلْمِمُ النَّاسَ لَأَنَّهُمْ لَا يَرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا مُثْلَنَا
فَلَا تُبَغْضُوا اللَّهَ إِلَى خَلْقِهِ
مَصَافِحَةً مِنْ يَرْتَادُ الْمَسَاجِدَ لِتَارِكِ صَلَاةً
قَدْ تَحْضُرُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ
وَابْسَامَةً وَكَلْمَةً حَلْوَةً مِنْ مَحْجَبَةِ
قَدْ تَقُودُ سَافِرَةً إِلَى الْحِجَابِ
كَلْمَةً حَلْوَةً مِنْ طَائِعٍ قَدْ تَأْتِي بِعَاصِنِ إِلَى اللَّهِ
وَإِنْ لَمْ يُحَدِّثْ هَذَا صَدِيَّ فِي النَّاسِ يَكْفِيْكَ أَجْرُ الدُّعَوَةِ
تَصْدِقَ صَاحِبَنَا عَلَى زَانِيَّةٍ ، وَعَلَى سَارِقٍ ، وَعَلَى غَنِيٍّ

فلم يقل له ربه
لو تصدقت على عفيفة كان أولى
ولو تصدقت على أمين كان أجدى
ولو تصدقت على فقير كان أنفع
ولكنه أرسل له رؤيا صالحة يخبره فيها أنه قبل صدقته
فالزانية علها ترك زناها!
والسارق علها يترك سرقته!
والغني علها يقتدي بك!

جُرِيجُ الْعَابِد

روى البخاريُّ ومسلمُ في صحيحهما أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال
كان جُرِيجُ رجلاً عابداً ، فاتَّخَذَ صومعةً ، فكان فيها
فأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يَصْلِي ، فَقَالَتْ : يَا جُرِيجَ
فَقَالَ : يَا رَبِّيْ أُمِّيْ وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَانْصَرَفَ
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدْ أَتَتْهُ وَهُوَ يَصْلِي ، فَقَالَتْ : يَا جُرِيجَ
فَقَالَ : يَا رَبِّيْ أُمِّيْ وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَانْصَرَفَ
فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدْ أَتَتْهُ وَهُوَ يَصْلِي فَقَالَتْ : يَا جُرِيجَ
فَقَالَ : يَا رَبِّيْ أُمِّيْ وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ
فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تُمْتَهِنْنَا حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِنَاتِ
فَتَذَكَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جَرِيجاً وَعَبَادَتَهُ
وَكَانَتْ امْرَأَةً بَغِيًّا يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا ، فَقَالَتْ : إِنْ شَتَّتْنَا لَأْفِتَنَّهُ
فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا
فَأَتَتْ رَاعِيَا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا
فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ
فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ : هُوَ مِنْ جُرِيجَ
فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتِهِ ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ
فَقَالَ مَا شَأْنُكُمْ؟
قَالُوا : زَنِيتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ ، فَوَلَدْتَ مِنْكَ
قَالَ : أَيْنَ الصَّبِيُّ؟
فَجَاءُوا بِهِ ، فَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أَصْلِي ، فَصَلَى

فلمًا انصرفَ أتى الصبيُّ، فطعنَ في بطنه وقال : يا غلام ، من أبوك؟

قال : فلان الراعي !
فأقبلوا على جُرِيج يقبِّلونَه ويتمسحُونَ به
وقالوا : نبني لك صومعتكَ من ذهبٍ
قال لا ، أعيدوها من طينٍ كما كانت . ففعلوا

الدرسُ الأول

القدرُ مُوكَلٌ بالمنطق !
فلا تدعُوا على أولادِكم فتوافقَ ساعةَ استجابةٍ
وقد رأى عمر عَبْرَةَ اللَّهِ شيخاً كبيراً يده مسلولة
فسألَه : ما الذي أصابَ يدكَ؟
قال : دعا على أبي في الجاهليةِ أن تُشَلَّ فشلت
فقال عمر : هذا دعاءُ الآباءِ في الجاهليةِ فكيف في الإسلام؟
تعالوا نُعَوِّدُ أنفسنا على الدُّعاءِ «ل» بدلِ الدُّعاءِ «على»
إذا كسرَتْ بنتَ صَحْنَا قلنا كسرَ الله قلبكِ
ما زالَ لو وافقتْ هذه الدُّعوةُ ساعةَ استجابةٍ
أيساوي الصَّحْنُ قلباً؟
لماذا لا نقولُ : أصلحْتِ الله
إذا تشاَجَرَ أخٌ وأخته

قالتْ أم في لحظةِ غضبٍ : انتقمَ الله منكما
ما زالَ لو وافقتْ ساعةَ استجابةٍ فلَيَأْنَا بِطِيقٍ انتقامَ الله؟

ماذا لو قلنا : أصلحَ الله قلبيكم !
تعالوا نستبدل : «عمى يعميك» ، بشرح الله صدرك
و«يغضب الله عليك» بيهديك الله
تعالوا نصلحُ ألسنتنا قبل أن تفسد بها أولادنا !

الدرس الثاني،

وَدَ الزَّانِي لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ زَنَوا
وَوَدَتِ الْمُسْتَرْجِلَةُ لَوْ أَنَّ كُلَّ النِّسَاءَ اسْتَرْجَلَنَّ
وَوَدَ السَّارِقُ لَوْ أَنَّ كُلَّ النَّاسِ سَرَقُوا
هَكَذَا هُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ دُومًا يَزْعُجُهُمْ صَلَاحُ أَهْلِ الْحَقِّ
فَالْأَمِينُ صَفْعَةٌ عَمَلِيَّةٌ عَلَى وَجْهِ الْلَّصِنِ
وَالْعَفِيفُ ضَرِبَةٌ قَاسِمَةٌ عَلَى ظَهَرِ الزَّانِي
وَالْمُوَظَّفُ الشَّرِيفُ ضَرِبَةٌ مُوجِعَةٌ فِي ضَمِيرِ الْمُوَظَّفِ الْمُرْتَشِيِّ
أَهْلُ الْحَقِّ يُذَكَّرُونَ أَهْلُ الْبَاطِلِ بِنَقْصِهِمْ
لَهُذَا يَرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُمْ !
عُصَّاهَا بَنِي إِسْرَائِيلُ أَزْعَجُهُمْ صَلَاحُ جُرِيجِ الْعَابِدِ
فَأَرْسَلُوا لَهُ بَغِيًّا كَيْ يَصِيرَ مِثْلَهُمْ
وَمُشْرِكُو الْعَالَمِ يَوْمَذَاكُ أَزْعَجُهُمْ تَوْحِيدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَرَمَوْهُ فِي النَّارِ لَأَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ
الشَّوَّادُ مِنْ قَوْمٍ لَوْطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَزْعَجُهُمْ أَنَّهُ سَوَّى
فَقَالُوا : «أَخْرِجُوا أَلَّا لَوْطٍ مِنْ قَرِيْتَكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» !

الدرس الثالث،

المؤمن إذا نزلتْ به نازلة فزعَ إلى الصلاة
لأنه يعرف أنَّ كلَّ مشاكلِ الأرضِ حلَّها في السماء
هذا جُرْجِع وقد اجتمعتْ عليه المصائب
تهمة الزَّنا ، وولَدٌ من غير صلبه يريدون نسبته إليه
فقال : دعوني أصلِّي
بركعتين أبطلتْ السماء مؤامرة الأرض
وشهدَ الرَّضيَّع ببراءة النُّقْيَ التُّقْيَ
خَبِيبُ بن عَدِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسرته فريش
ولما أرادوا قتله قال لهم : دعوني أصلِّي
كان يعرفُ أنَّ أجملَ ما يختتمُ المرءُ به حياته صلاة
وهذا سَيِّدُ النَّاسِ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ كان إذا حضرتِ الصلاة
قال لِبَلَالَ : أرْخَنَا بِهَا يَا بَلَالَ
وشتَّانَ بَيْنَ مَنْ يَتَعَامِلُ مَعَ الصَّلَاةِ بِمَنْطِقَ أَرْخَنَا بِهَا
وَبَيْنَ مَنْ يَتَعَامِلُ مَعَهَا بِمَنْطِقَ أَرْخَنَا مِنْهَا

الدرس الرابع،

لا تُصَدِّقْ تهمةَ بلا دليل !
فشأنَ النَّاسَ دوماً أَنْ يَفْتَرِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
فلا تَخُضُّنَ فِي ذَمَّةِ رَجُلٍ لَمْ تَشْهُدْ خِيَانَتَهُ
وَلَا تَخُضُّنَ فِي عَرْضِ امْرَأَةٍ لَأَنَّ فَلَانَا قَالَ
كَفِي بِالمرءِ إِثْمَاً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ

الإنسان سمعة ، وهدر سمعة إنسان كهدى دمه
 وحتى لو ثبتتْ عندك تهمة
 تذكرْ أنَّ الله سترٌ ويحبُّ السُّتر
 فلا تذكرْ عيوبَ إنسانٍ ليس لذكرها حاجةٌ تُرتجى
 بالمقابل لو سُئلتَ من بَاب النصيحة
 فمن الغش أن لا تبوحَ بما تعرف
 السُّترُ شيءٌ وأن تكون سبباً في ابتلاء عفيفةٍ بفاجر
 أو عفيفٍ بفاجرةٍ شيءٌ آخرًا

الدرس الخامس:

كُنْ مع الله يكُنْ معكَ
 خرج النبيُّ ﷺ من مكة خلسةً تحت جنح الظلام
 ثم عادَ ودخلها في وضح النهار من أبوابها الأربع!
 وأدخلَ يوسفَ عليه السلام السَّجنَ مظلوماً
 وخرجَ منه عزيزَ مصرِ
 وفتيةَ الكهفِ فرُوا بدينهم إلى الجبلِ
 فأنامهم الله مطاردين ثم بعثهم وعلى دينهم أهل مدinetهم!
 الناسُ أعجزُ من أن يلحقوا ضرراً لم يأذنْ به الله
 وأن يَجْرُوا نفعاً لم يأذنْ به الله
 فالذى لا يرزقُ نفسه أعجزُ من أن يرزقَ غيره
 والذى لا يملكُ موته أعجزُ من أن تُطلبَ منه الحياة
 فعلقَ قلبكَ بالله!

آسيا بنت مزاحم

روى أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
إن فرعون أوتاد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجلها
فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة
فقالت : « رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله
ونجني من القوم الظالمين »
فكشف لها عن بيتها في الجنة !

الدرس الأول :

يحارب الله الطغاة من بيوتهم
من قصر الذي قال : « أنا ربكم الأعلى » ، خرجنبي !
ومن غرفة نومه خرجت إحدى أعظم النساء في التاريخ
يريد الله أن يخبره كم هو عاجزا
ذبح آلاف الأطفال في طلب موسى عليه السلام
ثم لما عثر عليه رغمأ عنه رياه في قصره
جعل ألف النساء تسجدن له
ولكنه عجز عند امرأته ، لأن القلوب بيد الله ، وإن ملك الناس
الأجساد

مساكين أولئك الذين يعتقدون أنَّ الَّذِينَ أَفْيَوْنَ الشَّعُوبَ
وأنَّه لِيُسَرِّ إِلَّا مَخْدُرٌ يَتَعَاطَاهُ الْفَقَرَاءُ لِيُصْبِرُوا أَنفُسَهُمْ
فَيَعِيشُونَ عَلَى أَمْلَ الجَنَّةِ ، كَمَا يَعِيشُ السَّائِرُ فِي الصَّحَرَاءِ وَرَاءِ
السُّرُّابِ يَحْسِبُهُ مَاءً
هَذِهِ سَيِّدَةُ مِصْرِ الْأَوْلِيِّ ، زَوْجَةُ الْمَلِكِ الَّذِي يَحْكُمُ
وَزَوْجَةُ إِلَهٍ الَّذِي يُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
يَكْفِيهَا أَنْ تَأْمُرَ لِتَطَاعَ ...
وَأَنْ تَنْادِي لِتُعْجَابَ ...
وَلَكُنْهَا عَلِمَتْ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
لَمْ تُؤْمِنْ بِأَنَّهَا رِجَالُ الْجَنَّةِ مِنْ عَطَشٍ
وَلَمْ تُؤْمِنْ بِشَمَارِهَا مِنْ جَوْعٍ
وَلَمْ تَسْأَلْ بِيَتَأْ فِي الْجَنَّةِ لِضَيْقِ بَيْتِهَا فِي الدُّنْيَا
كَانَتْ سَيِّدَةُ الْقَصْرِ ، وَسَيِّدَةُ الْبَلْدِ ، وَسَيِّدَةُ النَّاسِ
وَلَكُنْهَا رَأَتْ أَنَّ الْغَنِيَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ غَنِيُّ الْقَلْبِ
وَأَنَّ الثَّرَاءَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ ثَرَاءُ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ
وَأَنَّ كُلَّ الْبَيْوَتَ مَقَارِنَةٌ بِالْجَنَّةِ ضَيْقَةٌ
فَكَانَهَا قَالَتْ لِفَرْعَوْنَ : خُذْ كُلَّ مَلْكُوكَ وَا تَرْكِنِي لِرَبِّيِّ!

قيل لبلال عَنْهُ شَيْءٌ بعد أن سطع نجم الإسلام في سماء العالم :
كيف كنت تصبر على تعذيب أمية بن خلف لك؟
فقال كنت أخلط حلاوة الإيمان بمرارة العذاب فأصبرا
الإيمان مركب عجيب إذا عملك من القلب قلب حال الناس
وإن صبر بلال فليس في الأمر عجباً كثيراً
بلال رجل ، والرجال أكثر صلابة في البنية الجسدية من النساء
وهو قبل هذا كان عبداً وقد اعتاد العمل والمشقة
ولكن العجب أن تصبر امرأة مُنعمَة اعْتَادَتْ على العز والدلل
على كل هذا العذاب
وضعها فرعون على لوح من خشب
ودق الأوتاد في يديها ورجلها
فكانت كالجبل لا يثن عندهما تقطع الفؤوس الصخر من خاصرته!
وكالأشجار العملاقة لا تبكي عندما تخربها الماشير
جسدٌ رقيق يُعذَّب في الأرض
روحٌ صلبة تُحلق في السماء
و قبل أن تُسلِّم الروح تبتسم ، كما يقول ابن كثير في تفسيره
فيُبَيِّنُ فرعون ويقول : أما زالت تبتسم؟
لم يكن يعلم أن الله أراها البيت الذي سأله إياه في الجنة!

كان الله قادرًا أن يُنجيها من العذاب
فالذي أرسل لها ملائكة تُظللها لن يعجزه أن يرسلهم ليخلصُوها
ولكنه سبحانه جعل الدنيا دار زراعة لا دار حصاد
وأسيا زرعت في الدنيا لتحصد في الآخرة
فأراد الله أن يُنمِي لها زرعها

إياك أن تسيء الأدب مع الله إذا نزل العذاب بأهل الإيان
كما يقول الحمقى إذا رأوا الباطل ينتصر في معركة : أين الله؟!
إن الله أطلق أيدي الناس على بعض ليس عن عجز منه
وأمهل الظالمين ليس عن قلة جُندِ عنده
ولكنه جعل هذه الحياة امتحان
كيف سيرسب الظالم إن لم تكن عنده الحرية أن يظلم؟
وكيف سينجح العادل إن لم تكن عنده الحرية أن يعدل؟
ثم متى كان الطريق إلى الجنة مُبَدِّأ بالورود؟
هذا طريق مشى فيه نوح عليه السلام تسعمئة وخمسين سنة من
المشقة

و طريق نُشر فيه يحيى عليه السلام بالمنشار
و طريق أُلقي فيه إبراهيم عليه السلام في النار
و طريق أُضجع فيه إسماعيل عليه السلام للذبح
إن الجنة غالبة

من خانَ اللهَ لا تتوَقَّعُ منه الوفاءَ مع النَّاسِ
لا تستغربُ أَنْ فرعونَ صَلَبَ امرأَتَه دونَ أَنْ يرَاعِي العَشْرَةَ وَالصَّحْبَةَ
فَهُوَ لَمْ يرَاعِ إِحْسَانَ اللهِ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِهِ
وَعِنْدَمَا يُعَذَّبُ أُمَّيَّةَ بْنَ خَلْفٍ بِلَالًا دونَ أَنْ يرَاعِي سَنَوَاتَ طَوِيلَةَ
مِنَ الْخَدْمَةِ
فَهُوَ عَقَّ اللهَ قَبْلَ أَنْ يَعْقَّ مَوْلَاهُ
وَأَحْسَنَ مَا قَالَتْهُ الْعَجَائِزُ: خَفْ مَنْ لَا يَخَافُ اللهَ!
لَا تَنْتَظِرُ الْأَدْبَرَ مِنْ قَلِيلِ الْأَدْبَرِ مَعَ اللهِ
مِنْ لَمْ يَقُمْ بِحَقِّ اللهِ فَهُوَ عَنِ حَقِّ النَّاسِ أَعْجَزٌ
لَهُذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضُونَ دِينَهُ وَخَلْقَهُ فَرُزُّجُوهُ
لَأَنَّ الَّذِي هُمْ رَاضُوا عَنْهُ فَسَيَرْضُوْهُ فِي خَلْقِهِ
وَلَا تُزِوِّجْ ابْنَتَكَ إِلَّا لِتَقِيُّ
إِذَا أَحْبَبَهَا أَكْرَمْهَا وَإِذَا لَمْ يَحْبَبَهَا لَمْ يُهْنِهَا!

دين وسداد

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن رسول الله



أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل
سأله بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار
فقال: اثنيني بالشهادة أشهد لهم
فقال: كفى بالله شهيداً

قال: فأثنني بالكفيل

قال: كفى بالله كفيلاً

قال: صدقت

دفعها إليه على أجل مسمى

فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها
يقدم عليها للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً

فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة إلى صاحبه

ثم زجَّ موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال:

اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار

فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك

وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك

وأني جهدت أن أجده مركباً أبعث إليه الذي له

فلم أقدر، وإنني أستودعكها!

فرمى بها في البحر حتى وجلت فيه ، ثم انصرف
فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء به
إذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبا
فلما نشرها ، فوجدا المال والصحيحة !

ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال :
والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لأتريك بهالك
فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه
قال هل كنت بعثت إلي بشيء ؟

قال : أخبرتك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه
قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة
فانصرف بالألف دينار راشدا !

الدرس الأول :

الناسُ للناسِ !

وقد سمع عمر بن الخطاب رجلاً يدعوه :
اللهم لا تجعل لي حاجة عند أحد من خلقك
فقال له : ما أراك إلا تدع على نفسك بالموت
فالناسُ لا يستغنى بعضهم عن بعض
من قدرك فإنما توسم فيك الخير

وكفى بالمرء نبلاً أن يكون عند حسن ظن الناس به
وإن العطاء ليس مالاً فقط وإن كان أكثر ما يحتاج إليه الناس !
وإن على كل شيء زكاة

فِزْكَاهُ الْغَنَى أَنْ تَرْحَمَ فَقِيرًا
وَزِكْرَاهُ الْعِلْمُ أَنْ لَا تَكْتُمَهُ عَمْنَ طَلْبِهِ ، وَعَمْنَ لَمْ يَطْلُبْهُ
وَزِكْرَاهُ الْعُقْلُ أَنْ تُسْدِي لِخَتَارَ نَصِيبَةَ
وَزِكْرَاهُ الْجَسْدُ أَنْ تَجْرِي كَسِيْحًا ، أَوْ تَعْبُرَ بِأَعْمَى الْطَّرِيقِ!

الدَّرْسُ الثَّانِي :

مَنْ أَخْذَ مَالَ النَّاسِ يَرِيدُ سَدَادَهُ سَدَادُ اللَّهِ عَنْهُ
وَمَنْ أَخْذَ مَالَ النَّاسِ يَرِيدُ إِتْلَافَهُ أَتْلَافُ اللَّهِ
وَلَيْسَ هَنَاكَ أَحْقَرُ مَنْ يَنْكُرُ الْمَعْرُوفَ
إِلَّا مَنْ يَرِيدُ الْمَعْرُوفَ بِالْإِسَاءَةِ
فَلَا تَكُنْ سَبَبًا فِي انْقِطَاعِ الْخَيْرِ مِنَ الدُّنْيَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَوَقَّفُوا عَنْ تَسْلِيفِ الْمُحْتَاجِ
لَا نَ كَثِيرًا مِنْ طَلْبَا السَّلْفَ نَصِيبُوا وَهَرِبُوا
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَوَقَّفُوا عَنْ تَزْوِيجِ بَنَاتِهِمْ بِلَا مَهْرٍ
لَا نَهُمْ رَأَوْا أَنْ كَثِيرًا مِنْ تَزَوَّجُوا بِلَا مَهْرٍ ظَنَّوْا أَنَّ الْبُنْتَ رَخِيْصَةَ
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَمْ يَعُودُوا يُقْلُونَ مَقْطُوعًا فِي الْطَّرِيقِ
لَا نَ مَقْطُوعِينَ كُثُرٌ كَانُوا غَدَارِينَ
وَأَجْمَلُ مَا قَالَتِهِ الْجَدَاتُ :
مَنْ أَمْنَكَ لَا تَخْنَهُ وَلَوْ كُنْتَ خَوْانًا!

الدَّرْسُ الثَّالِثُ،

إنك لا تعرف في هذه القصة من تعجب
من الرَّجُلِ الذي قَبِيلَ أن يكون اللَّهُ شهيداً وكفياً
أَمْ من الرَّجُلِ الذي خاطر ماله كي لا يُخْلِفُ وعداً قطعه
ما أَجْمَلَ النُّبُلَاءَ حين يتعاملون فيما بينهم
نبيلٌ يُقرِّضُ ماله بلا شهيدٍ ولا كفيلٍ
ونبيلٌ يرْدُ دينه في خشبةٍ!

الدَّرْسُ الرَّابِعُ،

انو الخير يفتح الله لك طريقاً له!
عندما نوى المستدين أن يرد مال الدائن
صارت الخشبة رسالةً والبحر ساعي بريداً
انو أن تكون زوجاً صالحاً وستأتك الزوجة
انو أن تتعلم وستجد من يعلّمك
وانو أن تكون أميناً وستجد من يأْمنك
ما عَلِمَ اللَّهُ خيراً في قلب إنسان إلا بسْطَ له الخيراً

إن استجباركَ أحدَ باللهِ أجزَهُ
وإن سألكَ باللهِ أعطهِ
إنَّ النَّاسَ اعتادَتْ أَنَّ لَا ترُدُّ شفاعةَ شرِيفٍ يُشَفِّعُ
فكيفَ يَنْجُوكَ باللهِ شَفِيعًا
وطلبُ الشُّهُودِ وكتابَ العقودِ لِيُسَمِّيَ شَيْئًا
بِالْعَكْسِ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ لِأَنَّ الدُّنْيَا فِيهَا حِيَاةٌ وَمَوْتٌ وَغَدْرٌ وَخِيَانَةٌ
فَلَا تَزَهَّدْ فِي تدوينِ حَقِّكَ
وَلَا تَنْزَعْجُ مِنْ طَلَبِ أَنْ يُكْتَبَ حَقُّهُ عَنْدَكَ لِيُضْمِنَهُ
وَإِنَّ أَطْوَلَ آيَةً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ آيَةُ التَّدَابِيرِ
وَقَدْ حَضَرَ اللَّهُ فِيهَا عَلَى الْكِتَابَةِ وَالْإِشَهَادِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ تَوَجَّهَ ذَلِكَ بِدُعْوَةٍ أَوْثَقَ مِنَ الْعَقُودِ وَهُوَ الْأَخْلَاقُ ، فَقَالَ :
﴿فَإِنَّ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلِيؤْدِيَ الَّذِي أَمْنَ أَمَانَتِهِ﴾

السَّحَابَةُ

روى مسلم في صحيحه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال :
بِينَمَا رَجُلٌ بِفَلَانٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ
أَسْقَى حَدِيقَةَ فَلَانَ !

فَتَنَحَّى ذَلِكُ الْسَّحَابَ ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ / جَهَةٍ
فَإِذَا شَرَجَةٌ / قَطْعَةُ أَرْضٍ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءُ
كَلَّهُ

فَتَبَيَّنَ الْمَاءُ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يَحْوِلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ
فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا اسْمُكَ؟

قَالَ : فَلَانُ ، - الْاسْمُ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ -

فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَمْ تَسْأَلْنِي عَنِ اسْمِيِّ؟

فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابَ الَّذِي هَذَا مَأْوَهُ ، يَقُولُ :
أَسْقِي حَدِيقَةَ فَلَانَ - لَا سَمْكَ - ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟

قَالَ أَمَا إِذْ قَلْتَ هَذَا ، فَإِنِّي أَنْظَرُ إِلَيْكَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا
فَأَتَصِدَّقُ بِثُلَثِهِ ، وَأَكُلُّ أَنَا وَعِبَالِي ثُلَثًا ، وَأَرْدُ فِيهَا ثُلَثَهَا

الدَّرْسُ الْأُولُ،

مِنْ أَقَامَ أَمْرَ اللَّهِ أَقَامَ اللَّهُ أَمْرَهُ
وَمِنْ سُخْرَ مَا بَيْنَ يَدِيهِ لِلَّهِ سُخْرَ اللَّهُ لِهِ مَا بَيْنَ يَدِيهِ
وَكُلُّ هَذَا الْكَوْنُ بِيَدِ اللَّهِ
فَكُنْ لِلَّهِ كَمَا يُحِبُّ يَكْنِ لَكَ كَمَا تُحِبُّ

وَقَوْنَى الْدُّنْيَا تَحْكُمُ النَّاسَ وَلَا تَحْكُمُ اللَّهُ
فَلِأَجْلِ عَبْدٍ صَالِحٍ يَخْرُقُ سَبِّحَانَهُ هَذَا الْقَانُونُ الَّذِي وَضَعَهُ لِيَحْكُمُ
الْعَالَمَ

وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يَعْطِي الصَّالِحَ بِصَلَاحِهِ مَا يَعْطِي النَّبِيَّ بِنَبُوَّتِهِ!
أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَارًا مُلْتَهِبَةً صَارَتْ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِرْدًا وَسَلَامًا
وَحَوْتًا مُفْتَرِسًا صَارَ لِيُونِسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَضْنًا وَوَعَاءً
وَسَكِينًا حَادًا صَارَ فِي رَقْبَةِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَاجِزًا
وَهَذِهِ غَمَامَةٌ يَسْوَقُهَا مَلَكٌ لِأَجْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ
أَرَادَ اللَّهُ يَوْمَ ذَكَرِهِ أَنْ لَا يَسْقِيَ الْقَوْمَ
وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ لَهُ عَبْدًا لَيْسَ أَهْلًا لِأَنَّ يُحْرِمَ مَعْهُمْ
فَغَيَّرَ قَانُونَ الْعَالَمَ لِأَجْلِهِ
شَأْنَ السَّحَابَ أَنْ يَسْقِيَ الْكُلَّ
وَلَكِنَّهَا سَحَابَةٌ مُخْصُوصَةٌ لِعَبْدٍ مُخْصُوصٍ
أَصْلَحَ دِينَهُ، فَأَصْلَحَ اللَّهُ لِهِ دُنْيَا!

الدَّرْسُ الثَّانِي،

الشَّهْرَةُ الْحَقِيقَةُ لَيْسَتْ أَنْ تَكُونْ مَعْرُوفًا فِي الْأَرْضِ
وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونْ مَعْرُوفًا فِي السَّمَاءِ!
هَذَا فَلَاحٌ مَجْهُولٌ فِي الْأَرْضِ
وَلَكِنَّهُ مَعْرُوفٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى
يَصْدُرُ الْأَمْرُ مِنَ الْمَلِكِ إِلَى الْمَلِكِ أَنْ سُقِّ الْغَمَامُ لِأَرْضِ فَلَانَ
لَوْ نَادَانَا فَنَانٌ بِاسْمِنَا لَطَرَنَا فَرَحًا

ولو نادانا وزير باسمنا لما وسعتنا الأرض
ولو نادانا رئيس باسمنا لما رأينا في ذلك اليوم أحداً من فرط السعادة
هذا الحال وعبد ينادي عبداً
فكيف هي الحال وملك الملوك يصدر قراراً سماوياً :
اسقوا أرض عبدي فلانا

الدرس الثالث،

قالوا قديماً العمل عبادة
هذا صحيح ، ولكن العمل الذي يُسقط حقَّ الله هو عبادة للشيطان
هناك من يضبطُ مُنبئه على صلاة الفجر
وهناك من يضبطُ مُنبئه على ساعة الدوام
وشتان بين من يعرفُ أنه خُلق للعبادة
ويبن من يعتقدُ أنه خُلق للحراثة
للعبادة وقت ، وللعمل وقت
ومن أجلَّ العبادة حتى يفوتَ وقتها لاجلِّ العمل فقد أساءَ الأدب
مع الله
إذ اعتقدَ أنه يرزقُ نفسه
إنَّ الرِّزقَ الذي نطلبُه بالعمل هو أساساً عند الله
فكيف نطلبُ من الله ما نحبُّ بما يكرهنا
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾
يكون العملُ عبادة عندما نقومُ بحقَّ الله قبل حقَّ ربِّ العمل
والمتواكلُ من كَسْبِ غيره بحجة العبادة

ليس أفضل حالاً من تارك الصلاة لأجل العمل
فقد قال سيدنا : «ما أكلَ امرأً طعاماً خيراً من كسب يده ، وإن نبِيُّ
الله داود كان يأكل من كسب يده»
«ولأنَّ يحمل أحدُكم حبلاً فيحتطِبَ خير له من أن يسأل الناس ،
أعطوه أو منعوه»

وقال عن الماكث في المسجد وأخوه ينفق عليه أخوه خير منه!
سرُّ الحياة الموازنة

والامر لم يكن يوماً أغبَّداً أم أعمل
كان المسيح عليه السلام نجاراً في أرض الجليل وهو من أولي العزم
من الرسل
وكان لشعيب عليه السلام غنم ترعاه ابنته لأنَّه بلغ من العمر عتياً
وعندما زوج موسى عليه السلام إحدى ابنته كان المهر العمل
هذا حال الأنبياء فما بال الذين دونهم؟!

الدرس الرابع،

الجزء من جنس العمل
الذي سخرَ أرضه لرضا الله حفظها له
حين أراد سبحانه أن يُعاقب الناس
لهذا كُنْ على ثقة
ما سخرت مالاً لله إلا ثناه لكَ ، وما نقص مالٌ من صدقة
وما سخرت دقائق لقيام الليل
إلا وضع الله فيك نشاطاً يفوق ما وضعه بالذين ناموا الليل بطوله

هناك شيء اسمه البركة لا نلتفتُ إليه
والأشياء لم تكن يوماً بالكم بل بالكيف
كلنا نعرف شخصاً يجمع المال من حرام
ومع هذا يشكو قلته
ونعرف شخصاً يتحرى الحلال فنستغرب كيف يكفيه هذا القليل
وقد قال عمر بن الخطاب : إني لا أسأل الله الرزق فقد فرغ من قسمته
ولكنني أسأله البركة فيه!

مُغِيْثٌ وَبَرِيرَةٌ

روى البخاري في صحيحه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لعمه «يا عباس، ألا تعجبُ من حُبَّ مُغِيْثٍ بَرِيرَةٍ، ومن بُغضِ بَرِيرَةٍ مُغِيْثًا!»

وبَرِيرَةٌ كانت عبدةً مملوكةً لِأَنَّاسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ
وكان لها زوجًّا اسمه مُغِيْثٌ
تاقتْ نَفْسٌ بَرِيرَةٌ إِلَى الْحُرْيَةِ فَكَاتَبَتْ أَسِيَادَهَا لِأَجْلِ الْعَتْقِ
وَقَصَدَتْ الصُّدِيقَةَ بَنْتَ الصُّدِيقِ عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَيْ
تَسَاعِدَهَا فِي مَبْلَغِ عَنْقِهَا

وَعِنْدَمَا تَنْشَقَتْ بَرِيرَةٌ أَنْفَاسَ الْحَرِيَّةِ الْأُولَى فَكَرْتَ فِي أَمْرِ زَوْجِهَا
فَالشَّرْعُ يَعْطِي الْأَمَّةَ إِنْ تَحْرُرَتْ خِيَارٌ أَنْ تَبْقَى مَعَ زَوْجِهَا أَوْ تَفَارِقَهُ
فَقَرَرَتْ بَرِيرَةٌ أَنْ تَرْتَكِ مُغِيْثًا!

فَكَانَ مُغِيْثٌ يَلْحُقُ بَرِيرَةً فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ باكِيًّا يَرْجُوْهَا أَنْ تَرْجِعَ
إِلَيْهِ

وَلَكِنَّهَا لَا تَرَأْفُ حَالَهُ وَلَا تَرْحَمُ حَزْنَهُ
لَمَا يَشْ مُغِيْثٌ أَنْ تَرْجِعَ بَرِيرَةً إِلَيْهِ
قَصَدَ الرَّحْمَةَ الْمَهْدَاءَ طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ عِنْدَهَا

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ يا بَرِيرَةٌ، لَوْ رَاجَعْتَهُ فَإِنَّهُ زَوْجُكَ وَأَبُوكَ وَلَدُكَ
فَقَالَتْ لَهُ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفْتَأْمِنُنِي ؟
فَقَالَ : إِنَّا أَنَا شَافِعٌ
فَقَالَتْ : لَا حَاجَةٌ لِي فِيهِ!

الدَّرْسُ الْأُولُ،

الْحُبُّ مِنْ طَرْفٍ وَاحِدٍ مَذْلَلٌ!

صَحِيحٌ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ فِينَا قُلُوبًا تَسْقُطُ أَحْيَانًا بِالضُّرُبَةِ الْقَاضِيَّةِ أَمَامِ
حَبِيبٍ

وَلَكُنْهُ بِالْمُقَابِلِ خَلَقَ فِينَا إِرَادَةً كَيْ لَا نَتَنَازِلَ عَنْ كَرَامَتِنَا
أَعْرَضْنَا قَلْبَكَ عَلَى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنْ لَا تَتَسُولَ الْحُبُّا
جَرَبْتُ مَرْءَةً، وَتَوَدَّدْتُ مَرْءَةً، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ مَتَى تَتَوقَّفَ
وَقَدْ قَالُوا قَدِيمًا :

أَحْيَانًا لَا يَكْفِي أَنْ تَقْلِبَ الصَّفَحَةَ، وَلَكِنْ يَجْبُ عَلَيْكَ أَنْ تُغَيِّرَ
الْكِتَابَ!

الدَّرْسُ الثَّانِي،

النِّسَاءُ لَسْنَ سَلْعًا لِلْبَيْعِ لَمْ يَدْفَعْ مَهْرًا أَعْلَى
ظُلْلَمُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُجْبَرَ عَلَى رَجُلٍ وَقَلْبَهَا عِنْدَ أَخْرِ
قَتْلِ الْقُلُوبِ أَشَدُ إِثْمًا وَالْمَا مِنْ قَتْلِ الْأَجْسَادِ
فَدْعُ عَنْكَ تَنَاهِيَ الْأَعْرَابِ الْأَوَّلِ
الَّذِينَ رَفَضُوا أَنْ يَزُوْجُوا بَنَاتَهُمْ لَمْ أَحْبَبْنَ لَأَنَّهُنْ أَحْبَبْنَ
وَاقْتَدَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمَهُ جَمِيعًا إِذْ يَقُولُ :
«لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَايِّبِينَ غَيْرَ النِّكَاحِ»!

الدرس الثالث،

كُنْ رجلاً

لا تغدر قلباً ريقاً أحبكَ لأجل أنكَ تعبد العادات والتقاليد!
كل الناس لهم قلوب
وأنكَ إن لم تتزوج حبيبتك
ففي الغالب ستتزوج حبيبة رجل آخر!
كثير من عاداتنا هي أصنام يجب تكسيرها لا تقديم القلوب قرابيناً
لها!

الدرس الرابع،

أشفعُ!

جَبَرُ القلوب مُقدَّم على جَبَر العظام لأنَّ كسرها أشدَّ المآسي
إنَّ استطعتَ أن تجتمع بين قلبيْن فلا تتردد
وإنَّ استطعتَ أن تضع حدَّاً لنزاع عائليٍ فلا تتباطأ
قيمة البشر الحقيقية ليست بما يملكون بل بما يُقدِّمون
قيمة الشجرة ليست في خشبها بل في ثمارها
قيمة الكتاب ليست في أوراقه بل في كلماته
وهكذا الناس إنما يرتفع بعضهم فوق بعض بأعمالهم
وانظر للذين خلَّدُهم التاريخ تجدُهم جميعاً قدموا للعالم شيئاً
أحدُهم اخترع دواء
وآخرُ خطَّ كتاباً

هذا أطفأ حرباً
وذاك شق طريقاً
الناس يندثرون ولا يبقى لهم إلا جميل ما كتبوا
فلا ترحل دون أن ترك أثراً!

الدرس الخامس:

لا يمنعك من الشفاعة أنه قد لا يستجاب لك
يكفيك شرف المحاولة
ويكفيك أننا نؤجر على ما نفعل لا على ما نحقق
وفي الحديث أن يوم القيمة يأتي بعض الأنبياء وليس معه أحد!
 وإن ردت شفاعتك فلا تعتبر هذا إهانة
مهما بلغت من المكانة لن تبلغ مكانته ﷺ
وانظر إليه يشفع عند امرأة كانت أمة
ثم إنها لا تحببه في شفاعته
فهل تعتبر هذا إهانة؟
وهل صار خصماً بعد أن كان شافعاً
لا تفسد أجر الشفاعة بالكثير!

لا تُخْفِرْنَ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا
فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْبَدَ النَّاسَ
يَصُومُ الْأَيَّامَ الطُّوَالَ كَأَنَّهُ لَا يُفْطِرُ
وَيَقُولُ الْلَّيَالِيَ الْمُظْلَمَاتِ كَأَنَّهُ لَا يَرْقَدُ
وَلَكُنْهُ لَمْ يَزَهُ فِي شَفَاعَةِ!
وَلَا تَتَعَذَّرْ بِاِنْشَغَالِ وَضَيقِ وَقْتِ
مِنْ كَانَ فِي حَاجَةِ النَّاسِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ
ثُمَّ أَنْتَ أَكْثَرُ اِنْشَغَالًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟
وَهُوَ بِالْمَفْهُومِ الْدِينِيِّ نَبِيُّ الْأَمَّةِ، وَبِالْمَفْهُومِ السِّيَاسِيِّ رَئِيسُ الدُّولَةِ
وَمَعَ هَذَا كَانَ يَجِدُ وَقْتًا لِلْبَسْطَاءِ
يَشْفُعُ لِزَوْجِهِ عِنْدَ زَوْجَتِهِ
وَلِأَمَّةٍ صَغِيرَةٍ عِنْدَ مَوَالِيهَا
إِنَّا حِينَ نَنْزَلُ إِلَى الْبَسْطَاءِ نَرْفَعُ!

جرة ذهب!

روى البخاري في صحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ :
اشترى رجلٌ منْ رجلٍ عقاراً له
فوجدَ الرجلُ الذي اشتَرَى العقارَ في عقارِه جرَّةً فيها ذهبٌ
فقالَ له الذي اشتَرَى العقارَ :
خذ ذهبك منِّي ، إِنَّما اشتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ
وقالَ الذي لَه الْأَرْضُ : إِنَّما بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا
فَتَحَاكَمَ إِلَيْ رَجُلٍ ، فَقَالَ : أَكُمَا وَلَدٌ؟
قالَ أَحَدُهُمَا : لَيْ غَلَامٌ
وقالَ الْآخَرُ : لَيْ جَارِيَةٌ
قالَ أَنْكِحُوْا الْغَلَامَ الْجَارِيَةَ ، وَأَنْفَقُوْا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ ، وَتَصَدَّقَا!

الدَّرْسُ الْأُولُ

الورعُ في هذه القصة مُذهلٌ
سواءً من البائع أو من المشتري
وقد قال الأوائل الورع ترك تسعة أعشار الحلال مخافة الوقع في
الحرام!
وهذا برأيي - بعيداً عن جمال العبارة وحسن تنميقها - شاق وفيه
مبالغة
وأجمل ما قيل فيه قول ابن تيمية رحمه الله
الْزُّهْدُ ترُكُ ما لَا ينفعُ فِي الْآخِرَةِ

والورعُ ترك ما تخافُ ضرره في الآخرة!
إذاً ترك أغلب الحلال لا يلزم ليكون الإنسان ورعاً
وما دام الله قد أحلَ شيئاً فهو حتماً لا يضر بالآخرة
ولكن أحياناً لا تكون الأمور واضحة جليّة ، هنا يأتي دور الورع
فالذى اشتري الأرض إنما تورعَ أن يأخذ جرّة الذهب
لأنه اعتبر أنه سيأخذ ما ليس له
لأن صك البيع شمل التراب ولم يشمل ما فيه
والبائع إنما تورعَ عن أخذها
لأنه اعتبر أنه باع الأرض بما فيها
وما أجمل أن يتعامل الناس فيما بينهم بالورع قبل أن يتعاملوا
بالعقود
وأن يتعاملوا فيما بينهم بالأخلاق قبل أن يتعاملوا بالقوانين
وعلينا أن نعرف أن القوانين والمحاكم إذا أعطتنا ما ليس لنا
فهذا لا يجعله حلالاً!
وقد قال سيدنا ﷺ : «إنما أنا بشر
وأنكم تختصمون إليّ ، ولعلَ بعضكم أن يكون أحن بحجته من
بعض
فأقضيَ له على نحوِ ما أسمع
فمن قطعْتُ له من حقِ أخيه شيئاً
فلا يأخذَه إنما أقطعَ له قطعةَ من نار»!

القصة تثبت أن الملكية الفردية قدية قدم الإنسان
وقد دأب الشيوعيون على إخبارنا أن الملكية الفردية كانت معدومة
قدماً

وأن أول نظام عرفه البشرية هو الشيوعية الأولى
حيث لم يكن أحد يملك شيئاً

فكانت هناك شيوعية في كل شيء
في الأراضي حيث لم يكن يملكها أحد وإنما هي للجماعة
وفي النساء حيث كانت أي امرأة من حق أي رجل ا
وهذا افتراض عقيم بلا حجة ولا دليل
على العكس تماماً فإن الإسلام يُكذب هذا الادعاء بالأدلة
والبراهين

وأول البشر على ظهر الأرض آدم وأولاده من صلبة مباشرة
وقد قتل قابيل أخيه هابيل بسبب شجار على أحقيته كل منهما
بالزواج من امرأة

فأين هي الشيوعية الجنسية التي يتحدث عنها هذا الفكر العقيم
و قبل حادثة القتل كانت هناك محاكمة
بأن قدم قابيل وهابيل مما يملكان قريباً
فكان قابيل مزارعاً وهابيل صاحب غنم
إذاً لم يكن الزرع مشاعراً للجميع وإنما لصاحبه
ولم تكن الأغنام مشاعراً للجميع وإنما لصاحبها
وليس البغاء أول مهنة في التاريخ كما يزعم هؤلاء

وإنما كان الناس يحصدون ويزرعون ويتبادلون السلع بما يشبه البيع
اليوم

والملكية الفردية ليست سبباً في نزاع الناس فيما بينهم
وإنما جشع الناس ونظر بعضهم لما في أيدي بعض
وعلاج الجشع لا يُحلّ بجعل الملكيات مشاعراً
وإنما بتربية النفوس وتهذيبها
وهذا منطق عقيم كمن يقول لك علاج الاغتصاب
أن تكون كل النساء مشاعراً!

الدرس الثالث،

إن الله وزع الأرزاق بالعدل ولم يوزعها بالتساوي
لأن العدل مبدأ أسمى من المساواة!
وقد أعطى أحدهنا عقلاً دون مال كما كان لقمان
وقد يعطي مالاً دون صحة
وقد يعطي زوجة دون ولد
وقد يعطي زوجاً دون أخلاق
وقلما يجمع الله الدنيا كلها لأحد!
فكما يقصد الحاجة غنياً إذا نزلت به الحاجة
على الناس أن يقصدوا صاحب العقل في النزاع
فالبائع والمشتري في الحكاية تخاصما في جرة الذهب ورعاً
وإلا فإن كل واحد منهم قد يتنازل عنها لصاحبه
ولكنهما احتكما إلى من وجدا أنه يملك عقلاً ورأياً

فكان الحالُ العقريُّ الذي أنهى الخصومة ولم يصب الورع بأذى
فأعرفُ على من تعرض مشكلتك
البعضُ يجعلون من المشاكل الصغيرة مشاكل أكبر
فينطبقُ عليهم المثل العالميُّ : جاء ليكحلها فعمها!

الدرسُ الرابع.

ما أجمل الخصومة بين النبلاء
الجشعون يريدون حقهم وحق غيرهم
أما النبلاءُ فلهم شأنٌ آخر
إنهم حتى لا يحتاجون إلى حكم بينهم
 تماماً كما قال ابن ذاك الأعرابي لأبيه
كان الأبُ يحكم ويقضي بين الناس
ولما بلغ من العمر عتيماً أحزنه أن هذا البيت
لن يعود مقصوداً كما في حياته
فقال له ابنه الوحيد : أنا أقضي بين الناس عنك
فقال الأبُ لابنه إذا تخاصم إليك بخيل وكرم ماذا تفعل؟
فقال : أخذُ من الكرم للبخيل
فقال له : وإن تخاصم إليك بخيلان؟
فقال أعطي مني وأصلح بينهما
فقال له وإن تخاصم إليك كريمان؟
فقال له كريمان لا يحتاجان إلى حكم!
فطابت نفسُ الأب بعقل ابنه

ماشطة ابنة فرعون

روى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :
لَا كَانَتْ اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةً طَيِّبَةً
فَقَلَّتْ : يَا جَبَرِيلَ مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ ؟
فَقَالَ هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فَرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا
قَلَّتْ : وَمَا شَأْنَهَا ؟
قَالَ : بَيْنَمَا هِيَ تَمْشِطُ ابْنَةَ فَرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَ الْمَشْطُ مِنْ يَدِهَا
فَقَالَتْ : بِسْمِ اللَّهِ
فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فَرْعَوْنَ : أَبِي ؟
قَالَتْ : لَا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ
قَالَتْ : أَخْبِرْهُ بِذَلِكَ ؟
قَالَتْ : نَعَمْ
فَأَخْبَرْتَهُ ، فَدَعَاهَا ، فَقَالَ : يَا فَلَانَةً إِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي ؟
قَالَتْ : نَعَمْ ، رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ
فَأَمْرَ بِقِدْرٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأَحْمَمْتُ ثُمَّ أَمْرَ أَنْ تَلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا
قَالَتْ لَهُ : إِنْ لَيْ إِلَيْكَ حَاجَةٌ
قَالَ : وَمَا حَاجَتِكَ ؟
قَالَتْ : أَحَبُّ أَنْ تَجْمِعَ عَظَامِي وَعَظَامَ وَلْدِي فِي ثُوبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفَنَنَا
قَالَ : ذَلِكَ لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ
قَالَ : فَأَمْرَ بِأَوْلَادِهَا فَأَلْقَوْا بَيْنَ يَدِهَا وَاحِدًا وَاحِدًا
إِلَى أَنْ اَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى صَبِيَّ لَهَا مُرْضَعًا وَكَانَهَا تَقَاعِسْتَ مِنْ أَجْلِهِ
قَالَ : يَا أَمَّاهَ ، افْتَحْمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهُونَ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ

الدرس الأول

عدد الذين تكلموا في المهد فيه أكثر من رواية
فرواية مسلم تقطع أنهم ثلاثة عيسى عليه السلام ، وابن الراعي
في قصة جريح العابد
والطفل الذي رد على دعاء أمه وسيأتي بيان القصة لاحقاً
وتضييف رواية أحمد واحداً رابعاً هذا خبره
ولا يفوتنا ذكر الطفل الذي شهد ليوسف عليه السلام بالبراءة
وانها إن كانت من الإسرائيليات فليس في شرعننا ما يردّها
وقد قال سيدنا : حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج
وطفل الأخدود الذي ورد في رواية مسلم
وبهذا يصبح العدد ستة !

الدرس الثاني

كتُمُّ المعتقد إذا كان سبُّدي إلى ال�لاك لا شيء فيه
فها هو القرآن يدحّ مؤمن آل فرعون الذي كان يكتُم إيمانه بقوله :
﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه أنتلُون رجلاً أن يقول
ربِّي الله﴾ !
ولقد كان كتمان الإيمان في حالته أنسٌ له من وجوه
فهو أولاً حافظ على حياته ، ففرعون الذي قتل زوجته لإيمانها
لم يكن ليرحم أحداً من قرابته إذا أمن بموسى عليه السلام
ثانياً كان قريباً من القصر يعرف ما يدور فيه

وما يخطط له فرعون وما يكيد له

وعين في قصر العدو خير من سيف في مواجهته!

ثالثاً: لم يكن الجهر بالإيمان سبّاجٌ منفعة إلا منفعة شخصية

إذ بقتله سيرتقي في الشهداء كأسيا والمأشطة

ونجاة الدعوة وفوزها مقدمة على نجاة الأفراد وفوزهم

كذلك لا يمكننا أن نقول أن كأسيا يوم جهرت بإيمانها كانت متهرة

ولا أن المأشطة لم تحسب العواقب جيداً

فسيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى حاكم ظالم فأمره ونهاه فقتله

ويُحسب للمأشطة ثباتها وشجاعتها وقوّة إيمانها

فهي بعرف هذا الزمن ليست إلا خادمة

بينما فرعون بعرف أهل مصر فهو الملك الحاكم والإله المعبد

وأن تتحدى خادمة السلطة السياسية والدينية المتمثلة بشخص

فرعون

لعمري هذه الجرأة التي ما بعدها جرأة!

الدرس الثالث،

الإيمان عندما يتمكن من القلب

يُحول صاحبه من مجرد إنسان من لحم ودم إلى جبل لا يرکع ولا

يلين.

وهذا شأن المؤمنين في كل الغصور

كأسيا المرأة الرقيقة تصبر على الصليب

والمأشطة المرأة الضعيفة لا تهتز ولا تلين

بلال لا تُركعه رمال مكة الملتئبة

ولا الصخرة الضخمة التي وضعها أمية بن خلف على صدره
هو صوت واحد لا ينقطع في مواجهة العذاب : أحد .. أحد!

والسُّحرة الذين جاؤوا النزال موسى عليه السَّلام

قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا

قولهم يومئذ لفرعون : «إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»!

وفي صحيح البخاري :

«قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجلُ ويُحفر له في الأرض فَيُجعل فيها

ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فَيُجعل نصفين

ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظامه

ما يصده ذلك عن دين الله»!

عندما يجعل الله طريقك إلى الجنة معبدة

فهذا من فضله وكرمه سبحانه

فلعله علم أنك لا تصر على البلاء

فرفعه عنك!

وعندما يمتحنك إياك أن تلين

تأس من كانوا قبلك

وليكن شعارك في وجه كل طاغية قول السحرة لفرعون :

«إنما تقضي هذه الحياة الدنيا»!

الذِّي يَتَصَدَّقُ لِيُسْ كَارِهًا لِلْمَالِ
وَالَّتِي تَبْحَجِبُ لَا تَكْرَهُ الْأَزِيَاءِ وَالْمَوْضَةِ
وَالَّذِي يُقْدِمُ عَلَى سَاحَاتِ الْمَوْتِ طَلْبًا لِلشَّهَادَةِ لَا يَكْرَهُ الْحَيَاةِ
وَالْمَاشِطَةِ الَّتِي قُتِلَ أُولَادُهَا أَمَامَ عَيْنِيهَا
لَمْ تَكُنْ نَاقِصَةً الْأُمُومَةِ
هُؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
وَانْظُرْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعْدِ لَحْظَةٍ مِنَ الْمَوْتِ
كُلُّ مَا تَفْكِرُ بِهِ أُولَادُهَا!

وَتَطْلُبُ مِنْ فَرْعَوْنَ أَنْ يَجْمِعَ عَظَامَهَا وَعَظَامَ أُولَادِهَا وَيَدْفُنُهُمْ مَعًا
وَلَوْلَا قَلْبُ الْأُمِّ مَا طَلَبَتْ مِنْ طَاغِيَةٍ طَلْبًا
وَلَكِنْ^١ الدُّنْيَا أَمْ!

الدَّرْسُ الْخَامِسُ :

الْطَّغَاهُ هُمُ الْطَّغَاهُ عَلَى مَرَّ الْعَصُورِ

تَبَدَّلُ الْأَسْمَاءُ وَالْأَسْالِيبُ ، وَالْعُقْلَيَاتُ وَاحِدَةٌ!

فَرْعَوْنُ يُقْتَلُ وَيُصْلَبُ

قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَوْنَهُ فِي النَّارِ

أَمِيَّةُ وَأَبُو جَهْلٍ يُعَذَّبَانِ

هَذَا يَأْخُذُ مَالَ مُؤْمِنٍ . . . وَذَلِكَ يَسْجُنُهُ

ثَالِثٌ يَعْتَدِي عَلَى عَرْضِهِ

رَابِعٌ يَهْدِمُ بَيْتَهُ

خَامِسٌ يُقْتَلُ أُولَادُهُ . . .

من غبائهم يسيرون في خطى بعض
ويلقون ذات المصير في كل عصر
ولا ينفرض الطغاة!

مكتبة الرمحي أحمد @ktabpdf تيليجرام

الأبرصُ والأقرعُ والأعمى

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ
إِنَّ ثَلَاثَةَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصُ ، وَأَقْرَعُ ، وَأَعْمَى
بِدَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيهِمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا
فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحْبَبْتُ إِلَيْكَ ؟
قَالَ : لَوْنُ حَسْنٍ ، وَجَلْدُ حَسْنٍ ، قَدْ قَدَرْنِي النَّاسُ
فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ ، فَأَعْطَيَ لَوْنًا حَسْنًا وَجَلْدًا حَسْنًا
فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحْبَبْتُ إِلَيْكَ ؟
قَالَ : الْإِبْلِ
فَأَعْطَاهُ نَاقَةً عَشْرَاءَ ، وَقَالَ لَهُ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا
وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحْبَبْتُ إِلَيْكَ ؟
قَالَ : شَعْرُ حَسْنٍ ، وَيَذْهَبُ عَنِي هَذَا ، قَدْ قَدَرْنِي النَّاسُ
فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ ، وَأَعْطَيَ شَعْرًا حَسْنًا
فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحْبَبْتُ إِلَيْكَ ؟
قَالَ : الْبَقَرِ
فَأَعْطَاهُ بَقْرَةً حَامِلًا ، وَقَالَ لَهُ يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا
وَأَتَى الْأَعْمَى ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحْبَبْتُ إِلَيْكَ ؟
قَالَ يَرْدُ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي ، فَأَبْصَرَ بِهِ النَّاسُ
فَمَسَحَهُ فَرَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ
فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحْبَبْتُ إِلَيْكَ ؟
قَالَ : الْغَنَمِ
فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالدَّامِ

فكان لهذا وادٌ من إبل ، ولهذا وادٌ من بقر ، ولهذا وادٌ من غنم

ثم إن أتني الأبرص في صورته وهيئته

فقال رجل مسكون تقطعت بي الحال في سفري

فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك

أسألك بالذي أعطيك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بغيرًا

أتبلغ عليه في سفري

فقال له : إن الحقوق كثيرة

فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقدرك الناس ؟ فقيرًا فأعطيك

الله ؟

فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر

فقال إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت

وأتني الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا

فرد عليه مثل ما رد عليه هذا

فقال : إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت

وأتني الأعمى في صورته فقال : رجل مسكون وابن سبيل وقطعت

بي الحال في سفري

فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك

أسألك بالذي رد عليك بصرك شاء أتبليغ بها في سفري

فقال : قد كنت أعمى فرد الله بصري ، وفقيرًا فأغناي ، فخُذ ما شئت

فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله

فقال : أمسيك مالك ، فإنما أبتليت ، فقد رضي الله عنك وسخط

على صاحبيك .

الابلاء ليس بالشر فقط وإنما بالخير أيضاً!
والنجاح في امتحان الابلاء بالشر ، الصبر
والنجاح في امتحان الابلاء بالخير ، الشكر
وهذا سليمان عليه السلام لما علم بقدوم بلقيس إليه يجمع وزراءه
من الإنس والجن
ويطلب منهم إحضار عرش بلقيس من اليمن
وما عجز عنه جنبي خارق القوى
لنجح فيه مؤمن خارق الإيمان
كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أحباب
وبطরفة عين كان العرش بين يديه
فعرف أنه امتحان فلم يتكبر ولم يتغطرس ولم يزد على أن قال :
«هذا من فضل ربي ليبلوني ألا شكر أم أكفر»!
النجاح في امتحان الغنى أن تنفق على نفسك وتوسيع على الناس
والرسوب أن تبخل فتعيش عيش الفقر وتحاسب حساب الغنى
والنجاح في امتحان القوة أن تقيم العدل وتساعد الضعفاء
والرسوب فيه أن تعتمدي وتظلم وتفتري
فإذا غررت قوتك على الناس فتذكري قوة الله عليك!
إذا تأخر الزواج فهذا ابتلاء
يريد الله أن يرى ماذا تصنع
أتصبر حتى ينفع عليك أم تنساق إلى الفاحشة والرذيلة
وإذا تأخر الإنجاب فهذا ابتلاء

يريد الله أن ينظر ماذا تصنع

تصبر وتعلج وتستغفر

أم تتسخط وتذهب إلى الدجالين والمشعوذين والعاجزين من دون الله

وتذكر أنه لما تأخر الإنجاب على زكريا عليه السلام

جاءه البشري وهو في المحراب

نحن أمة تسأل في السجود وتُبشر في المحراب!

الدرس الثاني،

شكراً للنعمة باللسان والجوارح

ولا يسد أحدهما مكان الآخر

يريد الله أن يسمع الحمد في لسانك ولا أحد أحب إليه المدح من الله!

وي يريد أن يرى ماذا أنت صانع بنعمته عليك

وأن البخل ليس في المال فقط وإن كان هذا رأس البخل

رأي تعبئه وأنت تعلم أنه ينفع بخل

شهادة تكتمها وأنت تعلم أنها ترجع حقاً لصاحب بخل

خلاف بين زوجة وزوجها وأنت قادر على أن تسويه ولا تفعل بخل

كيس ثقيل لا تحمله عن عجز بخل

وابن سبيل منقطع في الطريق لا تقله سيارتك بخل

نبيك يذكر عندك ولا تصلني عليه بخل

الكرم جميل في كل شيء في الرأي والأخلاق والمساعدة

وأجمل الكرم في المال وإن كان لا يُقلل من قيمة ما عداه
 وانظر لعاقبة البُخل في القصة
 فهذا الأبرصُ كان عنده وادٍ من الإبل
 ولكنه بَخلَ بواحدةٍ على من قال له ليس لي بعدَ الله غيرك
 فأخذَ اللهُ كل إبله
 وانظر إلى الأقرع كيف كانت عاقبته
 بَخلَ ببقرةٍ وكان عنده وادٍ من البقر
 فأخذَ اللهُ كل بقره
 أما الذي أعطى وتذكّر سيرته الأولى
 فقيل له بارك الله لك في مالك
 موقفٌ واحدٌ يرفعكَ أبداً الدهرِ
 وموقفٌ واحدٌ ينزلكَ أبداً الدهرِ
 وما الحياةُ إلا مواقفٌ فإياكَ أن ترسب

الدرسُ الثالث:

المالُ ليس دليلاً لحبِّ الله للعبد
 ومن أجمل ما قيل في هذا:
 أعطى اللهُ الدنيا كلها لسليمان عليه السلام والنمرود
 ولو كانت معياراً لتمايزِ الناسِ ما ساوي فيها بين نبيٍّ وطاغيةٍ!
 كانت ملوكُ الرؤوم تنامُ على الحرير وتأكلُ بملاعق الذهب
 ومحمدٌ ﷺ تمرُّ الأيامُ ولا يوقدُ في بيته نار لطعام
 ويوم الخندق ربطَ حجراً على بطنه

وكان يرعى الغنم في صغره لأثرياء قريش
 عاش فقيراً ومات فقيراً درعه مرهونة عند يهودي
 وهو أكرم خلق الله على الله
 فإذا أعطيت فاشكر
 وإذا مُنعت فاصبر
 فالله إن أعطاك فقد أعطاك ما ليس لك
 وإن منعك فقد منعك ما ليس لك
 ولا تنظر إلى ما في أيدي الناس
 فإنك لا تعلم هذا الذي أعطيك مِنْ حُرْمَةً!
 وعلى مرّ التاريخ كان المال والغنى في الكفار
 أكثر منه في المؤمنين
 والغنى ليس مذمة بحد ذاته
 فنعم المال الحلال في يد العبد المؤمن
 ولكن إياك أن تعتقد أنّ صيق الرزق يعني أن الله يكرهك
 وأنّ المرض يعني أن الله يعذبك
 ولكنه تعالى يعطي لحكمة، وينع لحكمة
 ولن نبلغ مرتبة الإيمان الكامل حتى نعلم: أنّ منع الله عطاء!

الدرس الرابع:

الطيبُ الحَقِيقِيُّ فِي السَّمَاءِ!
 العجوزُ العَقِيمُ أَصْلَحَهَا اللَّهُ فِي لَحْظَةٍ لَتَنْجِبَ نَبِيًّاً
 وَالَّذِي مَسَهُ الْفَرُّ أَعْوَامًا قَالَ لَهُ رَبُّهُ

«اركضْ يرجلكْ هذا مغتسلْ بارد وشرابْ!»

فعادَ أباهى ما كانَ!

يُناديه زكريا عليه السلام : «ربْ لا تذرني فرداً»

فيبشره بيعيى!

الأبرصُ الذي يعجزُ عن شفائه أطباءُ الدنيا ولو اجتمعوا عنده

قال له الله : كُنْ صحيحاً فكانَ

والأقرعُ أعادَ له شعره

والأعمى ردَ عليه بصره

تعالجوا عند أطباءِ الأرض فنحنْ أمةُ أمرتْ بالتلداوى

وطلبُ العلاج عند الأطباء لا يتنافي مع التوكلِ على الله

لأنه واقعٌ في قدر الله

فإن شاء شفى على يد إنسان

وإن لم يسألَ لم يغْنِ أطباءُ الدنيا عنكَ شيئاً

ولكن ونحن نأخذ بالأسباب

تعالوا نتذكَّر الطبيبُ الحقيقِي

هذا الأمرُ الناهي في الكون وعلى كلِّ ما فيه!

اشربْ دواءكَ لأنَّه سبب في الشفاء

وقبله قُلْ كما علمنا نبينا

اللهم لا شفاء إلا شفاؤكَ ، شفاء لا يغادر سقماً

الخمر

روى النسائي أن النبي ﷺ قال
اجتنبوا الخمر فإنها أمُّ الخبائث
إنه كان رجلاً من خلا قبلكم تعبد
 فعلقتها / عشقتها امرأةٌ غريرة فأرسلت إليه جاريتها
 فقالت له إننا ندعوك للشهادة
 فانطلق مع جاريتها فطافت كلما دخل باباً أغلقته دونه
 حتى أفضى إلى امرأةٍ وضيئلةٍ عندها غلام وباطية خمر
 فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع على
 أو تشرب كأساً من هذه الخمرة، أو تقتل هذا الغلام!
 قال: فاسقني من هذا الخمر كأساً
 فسفته كأساً
 قال: زيديني
 فلم يلبث أن وقع عليها، وقتل الغلام
 فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر
 إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه

الدرس الأول:

لو كانت الحياة تضعنا دوماً في خيار بين الخير والشر
 لتفضلت علينا كثيراً!
 فخيار كهذا رفاهية ليست متاحة على الدوام!

ولكنها في كثير من مواقفها تضعنا بين أمرين ، أحلاهما مرًا !
وقد قال عمر بن الخطاب : ليس الفطنة من عرفَ الخير من الشرَّ
 وإنما الفطنة من عرفَ خيرَ الشررين
واختيارُ أخفَّ الأضرار قاعدةً أصوليةً من قواعدِ الشريعة السمحاءِ
ولكن أخفَّ الأضرار لا يُقدر بالهوى أو بالمازاج
 وإنما يُقدر بما سيؤولُ إليه من نتائج ، وما ينجمُ عنه من تبعات !
وإنْ كان بالإمكان أن لا تفعلَ أيُّ شرًّا من بين شررين مُتاحين فهذا
الأصل

لأنَّ ما تراه شرًّا أصغر من غيره
فقد يكون في الحقيقة بباباً لشَرٍّ كبير وشارة لنار مستعرة
وانظر لصاحبنا وقد اعتقدَ أنَّ الخمرَ أهون شرًّا من القتل والرِّزْنَا
فإذا به بعد الخمر يقتلُ ويُنْزَنِي ويقعُ فيما هرب منه بدايةً !

الدرسُ الثاني،

الذين يُخْيِرونك بين خياراتٍ متاحةٍ إنما يُؤْطِرونَ تفكيرك
يسجنون عقلكَ بين هذا وذاك
ويوهمونك أنَّ المباح فقط هو ما عرضوه لك
وهذا يحدثُ معنا دوماً في الحياة وكمثال بسيطٍ على هذا
لو زرت صديقاً وسألتك : أشربُ الشاي أمَّ القهوة
إنما وضعتكَ بين خياراتٍ لا ثالث لهما وليس لك إلا أن تختار
ولكن هذا وذاك لا يكونُ دوماً بهذه البساطة بحيثُ أيُّ خيارٍ يفي
بالغرضِ

أحياناً يكون الطريقان المعروضان عليكَ طريقين خاطئين
يريدونكَ أن تمشي في أحدهما معتقداً أنه خيرٌ من الأول أو أقلَّ
ضرراً

دوماً هناك طريقٌ ثالث أنتَ لا تراه في هذه اللحظة
غاب عن تفكيرك لأنَّه لم يكن بين الخيارات المتاحة
كُنْ فطناً ، وعندما تأتي المحنُ خذ الخيارَ الثالثَ غير المدرج على
القائمة!

الدرسُ الثالثُ

جعل الله تعالى في النباتِ حياةً دون روح وعقل
وجعل الحيوانات بحياةٍ وروح دون عقل
وجعل الإنسان بحياةٍ وروح وعقل
فإِلَّا إِنَّهُ لَا يَشْغُلُهُ إِلَّا إِشْبَاعُ غَرِيزَتِهِ
وَمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ عَقْلًا إِلَّا لِأَنَّهُ يَعْقُلُ صَاحِبَهُ
أَيْ يَرْبِطُهُ أَنْ يَفْعُلَ مَا لَا يَلِيقُ بِالنَّاسِ
لِهَذَا رُفِعَ الْقَلْمُ عَنِ الْمَجْنُونِ
فَالْعَقْلُ مَنَاطُ التَّكْلِيفِ ، وَمَنْ غَابَ عَقْلُهُ فَلَا حِسَابُ عَلَيْهِ
هَذَا فِي حَالٍ كَانَ ذَهَابُ الْعَقْلِ قَدْرًا مِنَ اللَّهِ وَقَضَاءُ
وَلَكِنَّ مَنْ أَذْهَبَ عَقْلَهُ بِيَدِهِ فَهُوَ مَحَاسِبٌ عَمَّا يَفْعُلُ أَثْنَاءِ غِيَابِ
عَقْلِهِ

فَمَنْ شَرَبَ الْخَمْرَ وَسَكَرَ وَقُتِلَ ، يُقْتَلُ مَنْ قَتَلَهُ
وَلَا أَعْرِفُ لِمَذَا يَرِيدُ الْبَعْضُ أَنْ يَجْعَلُوا مِنْ أَنفُسِهِمْ حِيَوَانَاتٍ

وقد أكرمهم الله فجعلهم بالعقل بشراً
وإنه لما وصل عبد الرحمن الداخل صقر قريش إلى الأندلس
جاووه بزق فيه خمر

فقال لهم : إني بحاجة إلى ما يزيد في عقلي لا ما ينقصه !
وصحِّحَ أنَّ شربَ الخمرَ كبيرةً ليست مُخرجةً من المِلَّةِ
إلا أنَّ الحديثَ الشَّرِيفَ يُصوِّرُ لَنَا قَلْبَ الْإِنْسَانِ كَبِيتٍ
لَا يجتمعُ فِيهِ الإِيمَانُ وَشُرْبُ الْخَمْرِ مَعًا تَحْتَ سَقْفِهِ
وَإِنْ أَحَدُهُمَا مَا يُلْبِسُ أَنْ يُخْرِجَ الْأَخْرَ .

الدرس الرابع :

هذه الدُّنْيَا ملائكة بالمحن والفتنة لأنها دار ابتلاء
وأنَّ الْبَلَاءَ يقعُ لِلْإِنْسَانِ بِمَا يَهْوِي بِفَطْرَتِهِ وَبِمَا يَكْرَهُ !
ويُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَعَ عَلَيْهِ الْأَمْرَانُ
فَقَدْ ابْتَلَى بِالْبُغْضِ الشَّدِيدِ ، وَبِالْحُبُّ الشَّدِيدِ
وَالْبُغْضِ الشَّدِيدِ هُوَ الَّذِي أَلْقَاهُ فِي الْجُبُّ
وَالْحُبُّ الشَّدِيدِ هُوَ الَّذِي أَلْقَاهُ فِي السُّجْنِ
هذا كان حالُ النَّاسِ مع يُوسُفَ فَكَيْفَ كَانَ حَالُ يُوسُفَ مَعَ النَّاسِ ؟!
إِنَّهُ لَا أَبْتَلِيَ بْنَ يَكْرَهِهِ صَبَرَ
وَلَا أَبْتَلِيَ بْنَ يَعْشَقُهُ بِجَنَّوْنِ صَبَرَ
فَلَا شَدَّةَ الْبُغْضِ جَعَلَتْهُ يَنْزَلُ لِمَسْتَوِيِ إِخْوَتِهِ
وَلَا شَدَّةَ الْحُبُّ لَهُ جَعَلَتْهُ يَطَّاوعُ امْرَأَةَ الْعَزِيزِ
وَبِرَأْيِي إنَّ الْبَلَاءَ بِالْبُغْضِ أَيْسَرُ مِنَ الْبَلَاءِ فِي الْحُبِّ !

لأننا إذا أبتلينا من يبغضنا
فهو في الغالب لن يُخْيِرَنَا فيما نُحِبُّ
ولكننا إذا أبتلينا من يُحِبُّنَا
فهو في الغالب سيعرض علينا حراماً نُهِبُّ إِلَيْهِ بالفطرة
في يوسف عليه السلام كان شاباً وسِيماً قوياً يشتهي ما يشتهي
الرَّجَالُ
فطرة الله التي فطر عليها الناس
ولكنه صبر واعتصم بالله
وإن صبره على امرأة العزيز أشدَّ من صبره على إخوته

رِجَلانْ مِنْ خَشَبٍ

روى مسلم في صحيحه أن النبيَّ ﷺ قال :
كانت امرأة من بنى إسرائيل قصيرة
تمشي مع امرأتين طويلتين
فاتخذت رجلين من خشبِ
وختاماً من ذهبٍ مغلقٍ مُطبقٍ ، ثم حشته مسكاً
وهو أطيب الطيب
فمررت بين المرأةين فلم يعرفوها
وكان إذا مرت بال مجلس حركته فتفح ريحه !

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ :

مكتبة الرمحى أَحمد @ktabpdf تليجرام

قالتْ أُعْرَابِيَّةً لابنِتَهَا الْمُقْبَلَةَ عَلَى الزَّوْجِ تَنْصَحُهَا :
لَا تَقْعُ عَيْنَهُ مِنْكِ إِلَّا عَلَى جَمِيلٍ وَلَا يَشْمَنَ مِنْكِ إِلَّا طَيِّبًا
وَاعْلَمُمِي أَنَّ خَيْرَ الْطَّيِّبِ الْمَاءَ
وَهَذِهِ وَصِيَّةُ جَامِعَةٍ مَاتَعَهُ تُلْخَصُ خَبْرَةُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ فِي الْحَيَاةِ
فَالْتَّجَمُلُ مَطْلُوبٌ ، وَالْعَطْرُ مِنْ أَجْمَلِ التَّجَمُلِ
فِيهِ تَصْبِحُ الْمَرْأَةُ مَتْعَةً لَحْوَاسِ الرَّجُلِ ، عَيْنَهُ وَأَنْفُهُ وَقَلْبُهُ
وَإِنْ كَانَ التَّطْيِيبُ فِي الْحَدِيثِ وَرَدَ فِي مَوْضِعِ الذَّمِّ
فَهَذَا الذَّمُ لَيْسَ لِذَاتِ التَّطْيِيبِ
وَإِنَّا وَرَدَ ذَمَهُ لِمَكَانِهِ وَكَيْفِيَتِهِ !
وَالْمَرْأَةُ مَأْمُورَةٌ أَلَا تَبْدِي زِينَتَهَا إِلَّا لِزَوْجِهَا وَمَحَارِمِهَا

وفي الحديث : أيا امرأة استعطرتْ وخرجت ليشم الناسُ ريحها
فهي زانية

وهذا من باب التشنيع والترهيب وليس من باب الزنا الموجب للحد!

ففي الإسلام باب عظيم اسمه باب سد الذرائع
فهذا الإسلام الحكيم لا ينتظر أن تشب النار
ليعمد بعد ذلك إلى إطفائها
إنه يحول دون اندلاع النار بداية
وكل ما أدى إلى وقوع المنكر فهو منكر

الدرس الثاني :

تهم المرأة بالظاهر كثيراً للسبعين :

الأول : أن عندها غريزة أن تُشتهى

والثاني : أنها تميل إلى الرجل أكثر من ميله إليها!

وهذا ليس مذمة ولكنها فطرة الله التي فطر عليها الناس

وكل مخلوق خلق من شيء يبقى فيه شيء من أثر تلك الخلقة

فآدم - أي الرجل - مخلوق من تراب لهذا هو أقل عاطفة وأكثر سعيًا

للانتاج

بينما حواء - أي المرأة - مخلوقة من آدم لهذا هي أكثر ميلاً إليه

ميل الرجل إلى المرأة ميل الكل إلى الجزء

بينما تميل المرأة إلى الرجل ميل الجزء إلى كلها!

لها لا تجد المرأة حرجاً أن تعيش في كنف الرجل

ليهتم بها ويرعاها ويعطف عليها ويعولها
فهي لا تشعر بنقص هنا لأنها لم تخلق للعمل والجناية والكدر
بينما يجد الرجل بفطرته حرجاً أن تعوله المرأة وتنفق عليه
وأنه إذ يقبل أن يتشاركا الإنفاق على البيت معاً فعلى مضمض من
فطرته

إلا أنه من العسير أن يتكيف مع فكرة أن يكون عالة عليها
فطرة الله التي فطر عليها الناس!
هذا لا يعني أن الرجل لا يشتهي المرأة
وهي ليست منية عينه وقلبه

إنما المقصود أن الرجل يستحيل أن يجعل من امرأة حياته كلها
بينما من الممكن جداً أن يكون رجل هو دنيا امرأة كلها!

الدرس الثالث:

على المرأة أن لا تجعل فطرتها تغلب على دينها
وإن كان لا سبيل إلى تناحية الفطرة
وإن الدين ما جاء ليكتب الغرائز وإنما ليهدى بها
فما دامت قد خلقت بحنين شغوف إلى الرجل كما سبق
فهذا لا يعني أن تجعل من نفسها محظ شهوة كل الرجال
وعندما أباح الإسلام للرجل التعدد
فهذا يلزم بالضرورة أن الله حباه جسداً وعاطفة تساعداه على القيام به
وهذا شيء لن يستطيع الرجال شرحه للنساء مهما حاولوا
ولن تستطيع النساء فهمه الرجال في مهما حاولن!

هذا لأنهن مفطورات على الاكتفاء بالواحد
وتوّجّر المرأة إذا تفنت في غوايةِ رجل واحد هو حلالها
وتائماً إن كرست فطرتها لتكون محط شهوة كل الرجال
والمرأة الحقة هي امرأة مع رجل واحد هو زوجها
ورجل مع ما تبقى من رجال هذا الكوكب!

الدرس الرابع،

كما يحب الرجل أن لا يرى من المرأة إلا جميلاً ولا يشم منها إلا طيباً

وهي مأجورة إذا قامت بهذا وكانت سبب إشباعه وتحقيق عفته
فهي بالمقابل تحب منه ما يحب منها

وقد قال ابن عباس : إنني لا تزين لها كما تزين لي !
وهو أيضاً مأجور حين يلبي فطرتها وغريزتها وحاجاتها
وتقصير الرجل ليس مبرراً لالتفات المرأة لغيره
كما أن تقصير المرأة ليس مبرراً للرجل لالتفات لغيرها في حرام
إلا أنها مطالبون بسد أبواب الذرائع

لماذا على الرجال أن يكونوا أكثر اهتماماً بظهورهم ورائحتهم منك؟
تراهم زوجتك وتسأل : لماذا هو ليس كذلك؟

ولماذا على النساء أن يكن أكثر اهتماماً بأنوثتهن منك؟
يراهن زوجك ويتسرّع : لماذا هي ليست مثلهن؟

إن الزواج الذي ينال فيه الزوج والزوجة رضاهما الجنسي والعاطفي
الناتم

تهونُ أمامه كل المشاكل الأخرى
والزواج الذي لا يتحققُ فيه هذا الإشباع
ينتجُ عنه مشكلات هي في الحقيقة نتيجة لهذا الخواء الجنسي
والعاطفي
خذوها قاعدة جريئة مني : أكبرُ مشاكل البيوت تبدأ في السرير!

الدرس الخامس

الكعبُ العالي القديم هو إلى حد كبير رجلين من خشب!
وختامُ العطر القديم هو نفسه العطر الذي يبعثُ بالقلوب اليوم!
الناسُ هم الناس في كل عصر
الذي يختلفُ فقط هي وسائلهم التي تصبحُ مع الزمن أنيعَ وأفتك
وقد صدقَ عليه السلام حين قال :
«لتتباعنَّ سَنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوَ الْقَنْدَةَ بِالْقَنْدَةِ حَتَّى إِذَا دَخَلُوا
جَهَنَّمَ ضَبَّ دَخْلَتْمُوهُ»!

وإنَّ أول فتنة بنى إسرائيل كانتُ في النساء!
لتتقِّ اللهَ النساءُ في الرِّجالِ فإنَّهن موضع شهوة
وليتقِّ اللهَ الرجالُ في النساء فإنَّ لهنَّ حقوقاً
وليسَتْ أدواتَ التجميلِ ولا العطر ولا الكحل حراماً
إنما هذه وسائلَ حُرمتها وحلَّها تكون بوجوه استخدامها
كُلُّ عَطْرٌ في محلِّه عليه أجر
وكلُّ قلمٌ كحلٌ ليس في محلِّه عليه أجر
وحتى في العلاقة الزوجية أجر

ألم يقل سيدنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وفي بُضع أحدكم صدقة»
قالوا يا رسول الله : أياً تي أخذنا شهوته وله فيها أجر؟
قال : أرأيتم إن وضعها في غير محلها إلا يكون عليه وزر؟
قالوا بلى
قال وكذلك إن وضعها في محلها فله أجر!

سارة والفرعون

روى البخاري في صحيحه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ :
لم يكذبْ إبراهيمُ النبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذْبَاتٍ
ثَنَتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ !

قوله : **«إِنِّي سَقِيمٌ»** قوله : **«بَلْ فَعْلَهُ كَبِيرُهُمْ»**
وقالَ : بَيْنَمَا هُوَ ذَاتُ يَوْمِ وَسَارَةٍ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَرٍ مِّنَ الْجَبَابِرَةِ
فَقَيْلَ لَهُ : إِنَّ هَذَا رَجُلًا مَعَ امْرَأَةٍ مِّنْ أَحْسَنِ النَّاسِ
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟
قَالَ : أَخْتِي أَ

فَأَتَى سَارَةَ فَقَالَ : يَا سَارَةَ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي
وَغَيْرِكَ

وَإِنْ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتَهُ عَنْكَ أَنْكَ أَخْتِي ، فَلَا تَكَذِّبِنِي
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاهُلُّهَا بِيَدِهِ ، فَأَخْذَ
فَقَالَ لَهَا : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَطْلُقَ يَدِي ، وَلَا أَضْرِكِ ، فَدَعَتْ فَأَطْلَقَ
ثُمَّ يَتَنَاهُلُّهَا الثَّانِيَةُ ، فَأَخْذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ
فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ لِي ، وَلَا أَضْرِكِ ! فَدَعَتْ فَأَطْلَقَ
فَدَعَا بَعْضَ حَجْبَتِهِ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُنِي بِإِنْسَانٍ ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي
بِشَيْطَانٍ !

فَأَتَتْ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ يَصْلِي ، وَقَالَتْ :
كَفَ اللَّهُ يَدُ الْفَاجِرِ ، وَأَخْدُمْ هَاجِرَا

الدرس الأول

يقودنا هذا الحديثُ الشَّرِيفُ إلى الحديث عن عصمة الأنبياء وللعلماء فيه قولان شهيران معتبران

الأول . عصمة الأنبياء المطلقة في الدين والدُّينِ فلا يصدر منهم الخطأ الثاني : العصمة في الدين والإبلاغ عن الله ، واحتمال وقوع الخطأ في شأن الدُّينِ

وأنا إن كنتُ أميل إلى الرأي الثاني فلا أرى فيما أفهمُ من هذا الدين إمكانية كذب الأنبياء ولو في الدينِ

لأننا لو قلنا به لكانَ هذا فتح باب في مناقشة الكذب في الدعوة والأنبياء أكرمُ من هذا وأرفعُ شأنًا والله أحكم وأحزم أن يعصم في الدين ولا يعصم في الكذب ولو كان في الدينِ

فأما كذبتي إبراهيم في ذات الله

فالواضح منها أنهمًا من باب إقامة الحُجَّة على قومه لا أكثرًا وأما الكذبة مع الفرعون فهي تدخلُ كما أرى في باب التورية!

فالمسلمُ أخو المسلم وسارة أختُ إبراهيمَ ديانةً لا نسبًا

وفي المعارضِ مندوحة عن الكذب كما قال سيدنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وقد استخدمَ -بابي هو وأمي- التورية

فيوم هجرته مع أبي بكر ، سأله أعرابي : من أيَّ القبائل أنت؟

فقال له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نحن من ماء!

فقال الأعرابيُّ : قبائلُ العربِ كثيرة

وقد أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا أنه من الماء الذي خلق منه الناس!

و بما أنَّ الحديث عن الكذب فمن نافلة القول أن تُعرَج على مواضع
إياحته!

يبين الإسلام الكذب في ثلاث حالات:
الأول : الكذب على الأعداء

فليس من المعقول أن يأخذوا أسيراً مسلماً ثم يسألوه فيصدقهم!
والحكمة من إياحته هنا ، رفعُ الضرر عن جماعة المسلمين
أما الثانية فالكذب لإصلاح ذات البين

حيث يباح لمن أراد أن يصلح بين متخاصلين أن يذكر كلاماً طيباً
لم يقله أحد المتخاصلين في الآخر!

والحكمة منه رأب الصدع بين الناس لصلاح دنياهם

وأما الثالثة : فهي كذب الرجل على زوجته ، والزوجة على زوجها
وهو كذب من باب تطبيب الخواطر والمحاجمة وحسن العشرة
لا يدخل فيه الكذب الذي فيه ضرر وخداع وغش

كثناء الرجل على طعام زوجته والإشادة به وهو غير ذلك
أو مدحها والغزل بها وخبرها أنها أجمل امرأة في الدنيا وهي
ليست كذلك

وما يقال في الرجل يقال في المرأة

فقد سأله رجل زوجته إن كانت تحبه وناشدتها الله أن تصدقه
فقالت له : أما إنك قد ناشدتنِي الله ، فلا أحبك!

فسكاكها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فأرسل عمر في طلبها .. وأنبأها

فقالت له يا أمير المؤمنين ، أتريدني أن أكذبه!
قال لها : نعم اكذبه ، أكُلُّ الْبَيْوْتِ بُنِيَتْ عَلَى الْحُبُّ
ألا إنَّ النَّاسَ يَتَعَالَمُونَ بِالْمَرْوَةِ وَالْذَّمَّةِ!

الدرس الثالث،

خرجت إلى الطبيعة صبيحةً ليلةً كان فيها عاصفة هوجاء
فوجدت كثيراً من الشجر قد انكسر وصار ركاماً
أما الأعشاب فكانت على حالها سليمة معافاة
فتعلمت درساً بليغاً هو : أحياناً على المرء أن ينحني
العقل يقدّر المواقف ولا يخوضُ صراعاً خاسراً
 علينا أحياناً أن نقدر قوّة الخصم جيداً
لأن أي خطأ في الحسابات يعني نهايتنا!
وأحياناً تغدو الطريقة الوحيدة للفوز ببعض الخلافات هي عدم
خوضها أساساً
وقد كان إبراهيم عليه السلام حكيمًا
كان يعرف أنه إذا وقف في وجه الفرعون ومات سيموت شهيداً
ولم يكن عليه السلام جباناً ولا زاهداً في الشهادة
ولكنه كان يعلم أنه أرسل لأمر أعظم من أن يُفرط فيه في مواجهة
فأخذ بالأسباب ما استطاع وأوكل الأمر إلى ربّه
ولأنَّ الجرائم من جنس العمل عادت الزوجة التي أرادها الطاغية
لنفسه
سليمةً معافاة في شرفها ، ومعها امرأة صارت فيما بعد زوجة أخرى!

بنتُ الأصل لا تمنُ على زوجها!

كانت سارة من أجمل نساء الأرض

وقد قال بعض المفسرين أن جمال يوسف عليه السلام هو عرق من جدته سارة!

ورغم هذا الجمال كله ، كانت أديبة حبيبة

تعين زوجها على الحق ولا تتكبر عليه بجمال حبها الله إياها

وكذلك كانت أمها خديجة رضي الله عنها بنت أصل

فاحشة الشَّرَاء وزوجها ﷺ من أفق الناس

وقد تركت مالها كله بين يديه

ولم تجعل هذا الفارق المادي حجر عثرة في طريق زواجهما

وهذا ما جعلها كبيرة عنده حتى بعد موتها

وما كان يرضي أن تمس بكلمة وهي تحت التراب

وقد كانت عائشة رضي الله عنها تغار منها لكثر ذكره لها

وقالت له يوماً : أما زلت تذكرها وما كانت إلا عجوزاً في غابر الأزمان

وقد أبدل ذلك الله خيراً منها

فقال : والله ما أبدلني الله خيراً من خديجة ، تلك امرأة رُزقت حبها

أعطتني إذ حرمني الناس ، وأوتني إذ طردني الناس ، وأمنت بي إذ كذبني الناس

ال المسلم غال ، والحفاظ عليه مطلب شرعيًّا
صحيح أنه ليس جباناً ، وأنه مرحباً بالموت إن كتب
ولكن الناس ليسوا قرابين تُزهق وبالإمكان حفظ دمائها
وقد كان عمر^{عَزِيز} مُعجباً بفتوحاتِ عمرو بن العاص رضي الله
عنه
لأنَّ عمرو كان داهيةً كما هو معلوم ، يعقدُ الأحلاف ويتجذب
الخصوم
ولا يخوض معركةً بإمكانه أن يترك للعدو باباً للهرب منها
وقد كان عمر يقول : لعمري هذا هو النصر !
كان يُعجبه في القائد أن يحقن دماء جنده وأعدائه إن استطاع !
أن يصل إلى غايته دون دم
هذه حقيقة يجب أن لا تغيب عن القادة حتى وهم في ساحات
الوغى
ليعتبروا بحفظ إبراهيم عليه السلام على نفسه
وبدهاء عمرو وثناء عمراً

حوار بين آدم وموسى عليهما السلام

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال :
احتَجَّ آدمُ وموسى عند ربهما ، فَحَجَّ آدمُ موسى !
قال موسى : أنتَ الَّذِي خَلَقْتَ اللَّهُ بِيدهِ
وَنَفَخْتَ فِيَكَّ مِنْ رُوحِهِ
وَأَسْجَدْتَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ . . .
وَأَسْكَنْتَ جَنَّتَهُ

ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ إِلَى الْأَرْضِ بِخَطْيَتِكَ؟ !
فَقَالَ آدُمُ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ
وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَرَّبَكَ لِحَيَاةِ
فِي كُمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التُّورَةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلُقَ؟
قال موسى : بِأَرْبَعينَ عَامًا
قال آدمُ : فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا : « وَعَصَى آدُمُ رَبَّهُ فَغُوِيَ »؟
قال : نَعَمْ

قال : أَفْتَلَوْمَنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعينَ سَنَةً؟
قال رسول الله ﷺ : فَحَجَّ آدمُ موسى !

الدَّرْسُ الْأُولُ،

الْبَلَاءُ يَنْزَلُونَ النَّاسَ مِنَازِلَهُمْ
وَلَا يَحْفَظُ فَضْلُ الْفَضْلِ إِلَّا الْفَضْلُ!
فَكُنْ نَبِلًاً وَلَا تَعْجُّ تَارِيخَ صَاحِبِ فَضْلٍ بِمَوْقِفِ وَاحِدٍ
الْكَرِيمُ إِذَا مَرَّ لَا يُنْسِي كَرْمَهُ السَّابِقِ
وَالْحَلِيمُ إِذَا غَضِبَ مَرَّ لَا يُنْكِرُ حَلْمَهُ السَّابِقِ
وَالْمَثَابُ إِذَا وَهَنَ مَرَّ لَا يَجْحَدُ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ مَثَابَةٍ
وَانْظُرْ لِحَوْارِ النَّبَلَاءِ بَيْنَ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
إِنَّهُمَا يَخْتَصِمَانِ فِي أَهْمَّ قَضِيَّةٍ فِي الْوَجُودِ «قَضِيَّةُ الْجَنَّةِ»
فَلَا لَوْمَ مُوسَى لِآدَمَ أَنْسَاهُ فَضْلَ آدَمَ
وَلَا دَفَاعٌ آدَمَ عَنْ نَفْسِهِ أَنْسَاهُ فَضْلَ مُوسَى
فَاحْفَظْ لِلنَّاسِ مَكَانِتِهِمْ وَلَا اخْتَلَفْتَ مَعَهُمْ!

الدَّرْسُ الثَّانِي،

نَحْنُ أَمَّةُ الْغَيْبِ!
وَمَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَمْ نُشَهِّدْهُ أَكْثَرُ مَا نَؤْمِنُ بِهِ وَقَدْ شَهَدْنَاهُ!
نَؤْمِنُ بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالصَّرَاطِ وَالْمَلَائِكَةِ وَكُلُّهَا غَيْبٌ
وَأَوْلُ صَفَةٍ مِنْ صَفَاتِ الْمُتَقِينَ فِي الْقُرْآنِ إِعْلَانُهُمْ بِالْغَيْبِ!
وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا فِي فَاتِحةِ الْبَقْرَةِ :
«ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رِيبَ فِيهِ هُدَى لِلْمُتَقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يَنْفَقُونَ»

فَالإِيمَانُ بِالْغَيْبِ جَاءَ قَبْلَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدْقَةِ
ذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَةَ دُونَ إِيمَانٍ لَيْسَ إِلَّا مَشْقَةٌ مَنْزُوعَةُ الْأَجْرِ!
وَهَذَا حَوَارٌ جَرِيٌّ فِي عَالَمِ الْغَيْبِ أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْأَمِينُ
تَوْمَنُ بِهِ كَمَا تَوْمَنُ بِسَائِرِ الْفَيْبِيَّاتِ دُونَ : مَتَى وَلِمَاذَا وَكِيفَا

الدَّرْسُ الْثَالِثُ :

رَأَيْكَ يَحْتَمِلُ الْخَطَا فَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مُعْتَبِرًا نَفْسَكَ مَعْصُومًا!
وَمَا أَخْذَكَ عَلَى النَّاسِ لَيْسَ إِلَّا رَأِيًّا
رَبِّا لَوْ عَرَفْتَ ظَرْوَفَهُمْ وَسَمِعْتَ مِنْهُمْ لَا عَنْهُمْ
لَعْلَمْتَ أَنَّكَ بَنَيْتَ مَوْقِفًا خَاطِئًا مِنْهُمْ
فَهَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُقْتَنِعًا أَنَّهُ أَخْطَأَ
فَمَا اتَّهَى الْحَوَارُ إِلَّا وَحْجَ آدَمَ مُوسَى!
فَلَا تَحْلِلْ مَوْقِفًا وَتَسْتَخْلِصْ مِنْهُ رَأِيًّا وَتَجْعَلْهُ بَعْدَ ذَلِكَ دِينًا!
إِنَّ الْمَسْمَارَ بِمَنْظَارِ الْخَشْبَةِ : مَجْرُومٌ يَثْقِبُهَا
لَوْ عَلِمْتَ الْخَشْبَةَ الضَّرَبَ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَأْسِ الْمَسْمَارِ لِعَذْرَتِهِ!

الدَّرْسُ الرَّابِعُ :

الرَّأْيُ يُضْرِبُ بِالرَّأْيِ ، وَالْحُجَّةُ تُقْرَعُ بِالْحُجَّةِ!
السَّيْفُ لَا يَلْغِي رَأِيًّا صَابِيًّا وَلَا أَثْخَنَهُ!
وَالْقُوَّةُ لَا تُلْغِي حَقًا وَلَا انتَصَرَتْ عَلَيْهِ جُولَةً!
فَلَا تُفْكِرْ بِيَدِيكَ!

إنَّ الذِّي يَسْتَخْدِمُ سَيْفَهُ حِيثُ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَسْتَخْدِمُ عَصَاهُ أَحْمَقُ
وَالَّذِي يَسْتَخْدِمُ عَصَاهُ حِيثُ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَسْتَخْدِمُ لِسَانَهُ أَهْوَجُ
وَالَّذِي يَسْتَخْدِمُ لِسَانَهُ حِيثُ تَكْفِي نَظَرَةً مُتَسَرِّعَةً
كُنْ قَوِيًّا وَلَا تَكُنْ أَهْوَجًا
وَتَذَكَّرُ دَوْمًا أَنْ كَسْبَ الْأَشْخَاصِ مُقْدَمٌ عَلَى كَسْبِ الْمَوَاقِفِ
وَالَّذِي يَسْعَى لِلِّاتِصَارِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ لَّنْ يَقْنِي مَعَهُ أَحَدًا

الدَّرْسُ الْخَامِسُ :

تَكَرَّمَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ حَفَظَ لَهَا قُرْآنَهَا
وَأَنَّهُ سَبِّحَهَا إِذَا لَمْ يَحْفَظِ الْكِتَبَ السَّابِقَةَ فَلِيُسَعِّ عَجَزُهُ مِنْهُ
وَلَكِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَقْضِيَ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
وَابْحَثُ فِي التُّورَاةِ عَنْ «وَعَصَى آدَمَ رَبَّهُ فَغُوِيَ» فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَا
وَفِي الْحَدِيثِ خَبْرُ نَبِيٍّ لَّنَبِيٍّ أَنَّهَا مُوْجَدَةٌ
وَلَكِنَّ أَحْبَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَرَفُوا التُّورَاةَ
كَمَا حَرَفُوا رَهْبَانَ النَّصَارَى الْإِنْجِيلِ
وَإِنَّهَا لَنْعَمَةٌ أَنْ نَتَلَوْ كِتَابًا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ حَقًّا
وَأَنْ نَقْرَأَ كِتَابًا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ
وَإِنَّهُ هَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ حَيَاةٌ أُنْزَلَ : لِيَنذَرَ بِهِ مَنْ كَانَ حَيَاً
لَا لِيُقْرَأُ عَلَى الْأَمْوَاتِ وَتُقْامَ بِهِ الْأَجْوَرُ
وَلَوْسَتُ أَنَا قَشْ مَسْأَلَةُ اِنْتِفَاعِ الْمَيْتِ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ عَدْمِهِ
هَذَا بَحْثٌ يَطْوُلُ ، لَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَهُ وَلَا الْمَوْضِعُ سَرْدَهُ
وَلَكِنَّ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ حَيَاً مَا كَانَ لَيَنْتَفِعْ بِهِ مَيْتًا

نُثِبُّ مَا أَثَبَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ
نَثَبَتُ الْيَدُ لِلَّهِ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ الَّذِي لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ
وَإِنْ كَانَتْ الْيَدُ هَنَا بِمَعْنَى الْقَدْرَةِ كَمَا أَوْلَاهَا مُسْلِمُونَ نَعْتَقِدُ صَحَّةَ
إِسْلَامِهِمْ
فَمِنْ الْخَشُوْذِ كَرْهَهَا أَسَاسًاً فَكَلَّا قَدْ خَلَقْنَا اللَّهَ بِقَدْرَتِهِ!
وَعِنْدَمَا قَالَ اللَّهُ لِإِبْلِيسَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَ
فَلَوْ كَانَتْ تَعْنِي الْقَدْرَةَ
لَقَالَ إِبْلِيسُ : وَأَنَا خَلَقْتُنِي بِقَدْرَتِكَ!
وَلَكُنَّا وَنَحْنُ نَؤْمِنُ بِهَذَا نَلْتَمِسُ الْعَذَّرَ لِإِخْرَانِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ
تَأْوِلُوا
وَلَا نُشَكِّكُ بِإِسْلَامِهِمْ وَإِعْنَاهُمْ فَمَا أَرَادُوا إِلَّا تَنْزِيهُ اللَّهُ
عَمَّا اعْتَقَدُوا أَنَّهُ يُنْقَصُّ مِنْ حَقِّهِ
وَمِنْ كُفَّرَ مُسْلِمًا أَثَبَتَ لِلَّهِ مَا جَاءَ بِظَاهِرِ النَّصِّ وَلَمْ يَتَأَوَّلْ
فَقَدْ أَسَاءَ الْأَدْبَرَ مَعَ اللَّهِ!
وَأَيُّ قَلَّةُ أَدْبَرُ أَكْبَرُ مَنْ أَنْ يَعْتَقِدُ مُسْلِمٌ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابًاً ظَاهِرَهُ
الْكُفَّرُ!
وَحْسَابُ النَّاسِ جَمِيعًا عَلَى اللَّهِ!

كتبَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ
وَكُلُّ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ
وَأَمَّا أَفْعَالُ النَّاسِ الَّتِي كَتَبَهَا اللَّهُ بِعِلْمِهِ الْمُطْلَقِ
لَا يُسَقِّطُ كَتَابَتِهَا مَسْؤُلِيَّتِهِمْ عَنْهَا فَلَا تُنْزَلُ هَذِهِ الْحَادِثَةُ عَلَى كُلِّ
فَعْلٍ

وَلَا لَا نَفِي مَفْهُومُ الْثَوَابِ وَالْعَقَابِ
وَلَا تَهْمَنَا اللَّهُ سَبَحَانَهُ بِالظُّلْمِ دُونَ أَنْ نَدْرِي
فَكَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى أَفْعَالِهِمْ قَدْ كَتَبَهَا عَلَيْهِمْ
وَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا أَنْ عَلِمَ اللَّهُ مُطْلَقٌ لَا يُسَاوِرُهُ خَطَأٌ
وَلِتَقْرِيبِ الْفَكْرَةِ نَأْخُذُ هَذَا الْمُثْلَ
رِزْقَكَ اللَّهُ وَلِدَأْ وَرِبِيَّتَهُ تَحْتَ نَاظِرِيكَ لِسَنِينَ طَوِيلَةَ
عَرَفْتَ أَخْلَاقَهُ وَمَعْتَقَدَاتَهُ وَنَفْسِيَّتَهُ
ثُمَّ لَمَّا عَرَفْتَ كُلَّ هَذَا تَبَأَتَ أَنَّ ابْنَكَ هَذَا سَيِّرَقُ
قَدْ تَصَدَّقَ بِنَبَوَةِ تُكَ وَقَدْ تَخَبَّبَ
فَإِنْ صَدَقْتُ فَهَلْ تَكُونُ قَدْ أَجْبَرْتَهُ عَلَى السُّرْقَةِ؟
أَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنْكَ قَدَرْتَ الْأَمْرَوْرَ فَأَصَبْتَ
وَهَذَا كَذَالِكَ ، مَعَ فَارَقَ مَهْمَ يَعْجِبُ أَلَا يَغْيِبَ عَنِ الْبَالِنَاَ
أَنَّ عَلِمْنَا مَحْدُودَ وَعْلَمَ اللَّهُ مُطْلَقَ
وَأَنَّ عَلِمْنَا حَدَسَ وَعْلَمَ اللَّهُ يَقِنَّ
وَالنَّاسُ لَيْسُ لَهُمْ أَنْ يَحْتَجُوا بِقَدْرِ اللَّهِ عَلَى أَفْعَالِهِمْ
طَلَّا أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ أَنْ يَفْعُلُوا أَوْ لَا يَفْعُلُوا

ثُمَّ إِنَّا لَا نَعْرِفُ قَدْرَ اللَّهِ إِلَّا حِينَ يَقْعُدُ
وَكُونُ الْإِنْسَانَ قَدْ قُتِلَ أَوْ سُرِقَ فَقَدْ فَعَلَ قَدْرَ اللَّهِ غَيْرُ مُجْبَرٍ عَلَيْهِ
وَإِلَّا مَا بَقِيَ دِينٌ ، وَلَا كَانَ هُنَّاكَ غَايَةٌ مِّنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ
يَعْلَمُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ قَبْلَ خَلْقِهِمْ
وَلَكِنَّهُ يَرْسُلُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ لِيَمْشُوا فِي دُرُّوبِ أَقْدَارِهِمْ مُخْتَارِينَ!

الذى قتل مئة نفس

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال :
كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً
فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على راهب
فأتاها فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟
قال : لا
فقتلها ، فكمّل بها مئة
ثم سأله عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم
قال : إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة ؟
قال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة
انطلق إلى أرضِ كذا وكذا
فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم
ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء
فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاها الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
قالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله
وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط
فأتاهم ملوك في صورة أدمي ، فجعلوه بينه
فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيهما كان أدنى فهو له
فиласوه فوجدو أدنى إلى الأرض التي أراد
فقبضته ملائكة الرحمة

إذا أشَكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فِي دِينِكَ فَاقْرَعْ بَابَ الْعَالَمِ لَا الْعَابِدِ
عِبَادَةُ الْعَابِدِ لِنَفْسِهِ وَجَهِلُهُ لِلنَّاسِ
وَتَقْصِيرُ الْعَالَمِ فِي الْعِبَادَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِلْمِهِ لِلنَّاسِ!
إِذَا مَرَضَ أَحَدُنَا قَرَعَ بَابَ الْأَطْبَاءِ
وَإِذَا تَلْفَتْ سِيَارَتُهُ سَأَلَّ عَنْ أَمْهِرِ مِيكَانِيَكِيِّ
وَإِذَا أَرَادَ تَفْصِيلَ طَاولةَ بَحْثٍ عَنْ نَجَارِ فَذَّ
وَإِنَّ الَّذِينَ أَغْلَى مِنْ كُلِّ مَا سَبَقَ فَنَأْخُذُهُ مِنْ أَهْلِهِ
لَيْسَ كُلُّ رُوَادَ الْمَسَاجِدِ عُلَمَاءَ فَقَهَاءَ
الْعِبَادَةُ أَمْرٌ مُحَمَّدٌ وَلَكِنَّهَا شَيْءٌ ، وَالْعِلْمُ شَيْءٌ أَخْرَى
حَتَّى الصَّحَابَةُ لَمْ يَكُونُوا جَمِيعاً أَهْلَ فِتْوَى
وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَمَيَّزُونَ
فَهُذَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ عَنْ يَقِينِ اللَّهِ أَقْرَأَ الصَّحَابَةَ لِكِتَابِ اللَّهِ
وَهُذَا مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَنْ يَقِينِ اللَّهِ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ
وَعِنْدَمَا أَرَادَ الصَّدِيقُ عَنْ يَقِينِ اللَّهِ جَمْعَ الْقُرْآنِ وَمِنْ بَعْدِهِ عُثْمَانَ
أَوْ كَلَوْا الْأَمْرُ لِأَبِي بْنِ كَعْبٍ لَا إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ
وَعِنْدَمَا أَرَادَ خَوْضُ حَرُوبَ الرَّدَةِ وَلَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ خَالِدًا عَنْ يَقِينِ اللَّهِ
إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا إِخْتِصَاصٌ ، وَلِكُلِّ عِلْمٍ أَهْلُهُ
وَعِنْدَمَا جَاءَ الزُّبُرْقَانُ بْنُ عَدَى إِلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
يَشْكُوُ إِلَيْهِ أَنَّ الْحُطَيْثَةَ قَدْ هَجَاهَ قَائِلاً :
دَعْ الْمَكَارَمَ لَا تَرْحُلْ لِبُغْيَتِهَا

وأقعدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسِي

قال له عمر على ضلوعه في الشعر ما أرى فيه هجاءً
فقال له الزبيرقان : أيكون حسيبي من المكارم أن أطعم وأكسي؟

فأراد عمر عَزَّلَهُ اللَّهُ أن يثبت

فلم يرسل في طلب أبيه وهو أقرأ الصحابة لكتاب الله

ولا إلى ابن عباس وهو ترجمان القرآن

ولا إلى معاذ وهو أعلم الناس بالحلال والحرام

ولا إلى أبي هريرة وهو أكثر الصحابة رواية للحديث النبوى

وإنما أرسل في طلب حسان بن ثابت

لأن القضية شعر وأهل الفتوى فيها هم الشعراء

فقال حسان : لم يهجه فقط ، بل ذرق / بال عليه

كنية عن شدة الهجاء

فحبس عمر عَزَّلَهُ اللَّهُ الحطينة!

الدرس الثاني :

من قال الله أعلم ، فقد أفتى!

فلا تخرج أن تقول الله أعلم إذا لم تعرف حكم مسألة

فلا تحمل وزر الناس لأنك خجلت أن تقول الله أعلم

وها هو الشعبي المحدث العالم والفقيه والقاضي

يُسأل عن مسألة ، فيقول : الله أعلم

فقالوا له : أما تستحي أن تقول الله أعلم وأنت فقيه العراق؟!

فقال إن الملائكة لم تستحق يوم قالت :

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾!

وها هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة
الذي كان يقال فيه ، لا يُفْتَنُ وَمَالِكُ فِي الْمَدِينَةِ
جاءَهُ رَجُلٌ مِّنْ الْعَرَقِ بِأَسْئَلَةٍ
فَأَجَابَ عَنْ بَعْضِهَا ، وَسَكَتَ عَنْ بَعْضِهَا الْأَخْرَى
فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : مَاذَا أَقُولُ لِأَهْلِ الْعَرَقِ يَا مَالِكَ؟
فَقَالَ لَهُ : قُلْ لَهُمْ إِنَّ مَالِكًا لَا يَعْلَمُ !

الدرسُ الثالثُ

إِيَّاكَ أَنْ تَعْتَقِدُ أَنْ ذَنْبَكَ مَهْمَا عَظُمَ فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَرِيدُ مِنْكَ إِلَّا هَذَا !

يَرِيدُ أَنْ يُكَبِّرَ الذَّنْبَ فِي عَيْنِكَ وَيُصَغِّرَ رَحْمَةَ اللَّهِ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ أَوْسَعُ مِنْ ذَنْبَكَ ، كُنْ عَلَى ثَقَةٍ بِهَذَا
هَذَا رَجُلٌ قُتِلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا ثُمَّ قَرَرَ أَنْ يَتُوبَ

فَانْتَكَسَ مُجَدِّدًا وَأَكْمَلَ ضَحْيَاهُ عَلَى الْمَثَةِ

ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ خَيْرًا هَيَّأَ لَهُ سَبَبَ التَّوْبَةِ

وَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ ، فَصَدَقَهُ اللَّهُ

حَمَلَ زَادَهُ وَمَتَاعَهُ وَارْتَحَلَ ، فَجَاءَهُ الْمَوْتُ فِي الطَّرِيقِ

وَفِي رِوَايَةِ الْبَخَارِيِّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا قَاسُوا الْمَسَافَةَ

كَانَ الرَّجُلُ فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ تَامًا

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ أَنْ تَقَرِّبَهُ حَتَّى كَانَ أَقْرَبَ لِبَلْدِ الصَّالِحِينَ !

هَذَا التَّائِبُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا سَفَاحًا

يقتلُ عند أهون سبب ، وقد قتلَ رجلاً لم تعجبه فتواه
وليس بعد الشركِ ذنبٌ أعظم من القتل ، وقد تاب الله عليه
فلا علاقاتك المحرمة أكبر من رحمة الله
ولا قبولك الرئوسة أكبر من رحمة الله
ولا شربكَ الخمر أكبر من رحمة الله
وانظرْ إلى الصَّحابة الذين عاصروا البعثة الشريفة كيف كانوا قبلها
هذا عمر خرج ليقتلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا عكرمة أهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح
وهذا خالد قلبَ نصر المسلمين هزيمة يوم أحد
ثم انظرْ إلى رحمة الله
عمر يملأ الأرض عدلاً ورحمة
وعكرمة شهيدُ اليرموكِ وقائد الميمنة
وخالد سيف الله المسؤول الذي أدب به أبو بكر الروم وفارس
والناسُ معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا
وما زلنا نرى ونسمع في عصرنا عن أشخاص
كانوا من أشرس أعداء الإسلام فصاروا بالتوبة أشرس المدافعين عنه
فإن عُرِفتَ في المعصية
فما زال الباب مفتوحاً لُتُعرَفَ بالطاعة

لا تقفُ بينَ النَّاسِ وَبَيْنَ اللَّهِ!
النَّاسُ يَحْتَاجُونَ لِمَنْ يَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ
فَلِمَذَا تُدْفِعُهُمْ عَنْهُ!
حَدَّثَ الْعَصَمَةَ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ قَبْلَ عَذَابِهِ
وَعَنْ عَدْلِهِ وَعَفْوِهِ قَبْلَ انتقامِهِ
فِي الْجَنَّةِ مُتَسَعٌ لِلْجَمِيعِ فَلَا تَقْلُقْ عَلَى مَكَانِكَ!
عَامِلُ الْعَصَمَةِ بِالرَّحْمَةِ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ
يَرَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاهِبًا يَقُومُ اللَّيلَ عَلَى دِينِ باطِلٍ
فَيَبْكِي
وَيُسَأَّلُ : مَا يُبَكِّيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
فَيَقُولُ عَامِلَةُ نَاصِبَةٍ تَصْلِي نَارًا حَامِيَةً!
لَمْ يَسْرُهُ أَنْ يَدْخُلَ رَجُلٌ النَّارَ وَهُوَ عَلَى دِينٍ أَخْرَى
فَهُلْ يَسْرُهُ أَنْ يَدْخُلَهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
وَيَدْخُلَ عَلَى يَهُودِيٍّ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ فَيَدْعُوهُ فَيُسْلِمُ
فَيَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بَيْنَ النَّارِ!
إِنَّ أَحَبَّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيْهِ أَشَدَّهُمْ تَحْبِبِيَا لِعِبَادَهِ إِلَيْهِ!
أَلَا يَكْفِي النَّاسُ ذُنُوبَهُمُ الَّتِي أَحْاطَتْ بِهِمْ ، وَشَيَاطِينَهُمُ الَّتِي
تَسْلُطُ عَلَيْهِمْ
حَتَّى نَكُونَ نَحْنُ نَحْنُ أَيْضًا عَلَيْهِمْ
يَقُومُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّهُ فِي آيَةٍ
﴿إِنْ تَعْذِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

فيخبره ربه أنتا سترضيكَ في أمتك
هذه الرحمة يجب أن نضعها نصبَ أعيننا
وأن نكره الذَّنبَ لا المُذنبِ!
وفي الحديث : أن نبياً ضربه قومه فأدموه
فأخذ يسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا
يعلمون!

الدرس الخامس :

الموتُ يأتي بغنة
فصاحبُنا ماتَ في الطَّريقِ وما ظنَّ وهو يشيَ أن يموت
ولكن ما أحلاها من موتةٍ وما أحلاها من طريق
مات في الطريق إلى الله!
اجعلْ حياتكَ سَفراً إلى الله ، ثم ما ضركَ متى تموت!
وانظر حولكَ كم زرع ما عاش صاحبُه ليحصدَه
وكم بيتٍ بُنيَ ما عاش صاحبُه ليسكنَه
وكم مقعدٍ دراسيٍّ مات صاحبه وما تخرجَ منه!
كم طفلٍ دفنتَ ، وكم صغيرٍ شيعَتَ
كم فتاةٍ كالبدرِ حُسناً ، حُملَت إلى القبر لا إلى عريسها
لا تقلْ غداً أتوب
فإنْ غداً قد لا يأتي عليك
وكل الذين ماتوا منذ ساعة ، اعتقادوا مثلنا أنهم لن يموتا!

النَّوَايَا مَنَاطُ قَبْوِ الْأَعْمَالِ
النِّيَّةُ وَحْدَهَا تَرْفَعُنَا عَالِيًّا وَإِنْ لَمْ نَعْمَلْ !
أَصَابَتْ مَجَاهِدَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ زَمْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَنَظَرَ فَقِيرٌ إِلَى الْجَبَالِ وَقَالَ :
اللَّهُمَّ إِنْكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ هَذِهِ الْجَبَالِ ذَهَبَ لَا نَفْقَطُهَا عَلَى
عِبَادِكَ

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ قُلْ لِعَبْدِي أَنَا قَبَلْنَا مِنْهُ صَدْقَتِهِ !
وَالنِّيَّةُ وَحْدَهَا تَحْطُنَا وَإِنْ عَمَلْنَا
فَهُذَا ابْنُ سَلْوَلَ يَصْلِي الْفَجْرَ جَمَاعَةً خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَهُوَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ !
أَصْلَحْ نِيَّتَكَ تَصْلُحْ أَعْمَالَكَ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ كَمَنْ يَزْرَعُ قَمْحًا فِي الْبَحْرِ فَلَا يَنْالُهُ إِلَّا الْجَهَدُ
وَمَا لَهُ فِي كُلِّ هَذَا مِنْ أَجْرٍ !

رفاق الغار

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ :
بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشُونَ أَخْذَهُمُ الْمَطْرُ

فَأَوْلَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ

فَانْحَطَتْ عَلَى فِيمْ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ ، فَاطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ

فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحةً

فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعْلَهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ

فَقَالَ أَحَدُهُمْ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالدَّانِ شِيخَانِ كَبِيرَانِ ، وَامْرَأَتِي

وَلِي صَبِيَّ صَغَارٍ أَرْعَى عَلَيْهِمْ ، فَإِذَا أَرْحَتُ عَلَيْهِمْ

حَلْبَتُ ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدِي فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ

وَإِنَّهُ نَأْيَ بِي الشَّجَرُ يَوْمًا فَلَمْ أَتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوْجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا

فَحَلْبَتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلَبُ ، فَجَثَتْ بِالْحَلَابِ

فَقَمَتْ عَنْدَ رُؤُسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقَظَهُمَا مِنْ نُومِهِمَا

وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِي الصَّبِيَّةِ قَبْلَهُمَا ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عَنْدَ قَدْمِيَّ

فَلَمْ يَزُلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ

فَافْرُجْ لَنَا فُرْجَةً نَرِي مِنْهَا السَّمَاءَ

فَفَرْجَ اللَّهُ لَهُمْ فُرْجَةً فَرَأُوا مِنْهَا السَّمَاءَ

وَقَالَ الثَّانِي : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأْشَدَّ مَا يَحْبِبُ

الرِّجَالُ النِّسَاءَ

وَطَلَبَتْ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبْتَ حَتَّى أَتَيْهَا بِمَائَةِ دِينَارٍ

فَتَعْبَتْ حَتَّى جَمَعَتْ مَئَةَ دِينَارٍ فَجَثَتْهَا بِهَا

فلما قعدت بين رجليها قالت :
 يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه
 فقمت عنها !
 فإن كنت تعلم أنني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك
 فافرج لنا منها فرحة ، ففرج لهم فرحة !
 وقال الآخر : اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز
 فلما قضى عمله قال أعطني حقي
 فعرضت عليه حقه ، فرغبت عنه
 فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرأ ، وراعيها
 فجاءني وقال : اتق الله ولا تظلمني ، وأعطني حقي
 فقلت : اذهب إلى تلك البقر وراعيها فخذها
 فقال : اتق الله ولا تهزا بي
 فقلت : إني لا أهزا بك ، خذ تلك البقر وراعيها
 فأخذه فذهب به
 فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك
 فافرج لنا ما بقي ، ففرج الله ما بقي !

الدرس الأول :

قصة مجهولة الزمان والمكان والشخصيات
 ذلك أن كل هذه الأشياء ليست إلا تفاصيل لا تزيد شيئاً لضمون القصة
 لطالما كان بيت القصيدة في الأفكار والأعمال
 وهذا شيء مشترك بين القصص القرآنية ، والقصص النبوية

فحين يُحدّثنا القرآنُ عن ابني آدمَ عليه السَّلامُ لا يذكر اسميهما وإنما عرفنا هذا من أخبارِ الأمِّ السابقة ذلك أنه إن كانا «هابيل وقايبيل» أو «أحمد وخالف» فلا إضافة ما يعنيها هو موقف كل شخصية من هاتين الشخصيتين الحسُود الطمَاع ، رافض حكم الله ، قاتلُ أخيه والمُؤمنُ التقي ، القوي الورع

الذِي مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَدْعُهُ إِلَى أَخْيَهِ لِيَقْتُلَهُ وَلَوْ بَادَرَ أَخْوَهُ وَحِينَ يُحدّثنا القرآنُ عن مُؤمنٍ آلِ فرعون يخفي اسمه أيضًا ذاك أن العبرة في الموقف

وَحِينَ يُحدّثنا عن شاهد يوسف عليه السلام فلا يذكره إلا «شاهد من أهلها»

وهويتها إنما عرفناها من الأحاديثِ والأثار

لأنَّها تفصيل صغير والمهمُّ منها الموقف لهذه الشخصية

والذِي جاء من أقصى المدينة يسعى لنصرةِ المُرسَلين في سورة «يس» ورد ذكره «رجل» هكذا بالتنكير

ذلك أن الموقف أَهْمَّ من الناس!

وَحِينَ يُحدّثنا القرآنُ عن النُّمرود لا يذكر اسمه

ذلك أن المهمَّ من القصة موقف الطغيان لا هوية الطاغي

وَحِينَ يُحدّثنا عن الذِي يُحَمِّل إسماعيل عليه السلام لا يسميه لنا

ذلك أنَّ المهمَّ هو موقف البرِّ المذهَل

وحتى الذين ذُكرت أسماؤهم سواءً في القصص القرآنيُّ أو النبويُّ فإنما ذُكرت للموقف الذي قام به هذا الشخص

فحين يحدّثنا اللهُ عن محاولةِ إحراقِ إبراهيم عليه السلام

فليخبرنا عن المجتمعات المريضة ، وثبات المؤمن
لا ليسرد لنا سيرة ذاتية لإبراهيم ولا تأريحاً للأم السابقة
وإن كان هذا يتحققُ ضِمناً في سياق القصة
وحين يُحدِّثنا عن طوفان نوح عليه السلام
فليخبرنا كيف يُصبحُ النَّاسُ بالضلال أَحَطَّ من الحيوانات
بنداءٍ واحدٍ تركبُ الحيوانات السفينة
وبتسعمئة وخمسين سنةً من الدُّعوة لا يركبُ معه إلا قليل
وليخبرنا أنَّ الدُّعَاه لا يُلْهُن لأنَّه لا تعنهم النتائج
المهم أن يبقوا سائرين على الطريق!
وحين يُحدِّثنا عن موسى عليه السلام مع فرعون
فليخبرنا أنَّ قدرَ الله نافذ لا محالة رغم أنف الطغاة
قتلَ فرعونُ أَلَافَ الْأَطْفَالَ فِي طَلْبِ مُوسَى
ولما جاءَ موسى رَبِّاه فِي قَصْرِهِ
وليخبرنا أنَّ الأَسْبَابَ إِنَّما تُجْرِي عَلَى النَّاسِ وَلَا تُجْرِي عَلَى اللهِ
فَالْعَصَمَا لَا تَشْقُّ بَحْرًا بِالْعَادَةِ وَلَكِنَّهَا تَفْعَلُ إِنْ أَرَادَ اللهُ هَذَا
لَهَا فِي كُلِّ حَدِيثٍ ، وَفِي كُلِّ مَوْقِفٍ ، وَفِي كُلِّ قَصْةٍ
تَأْمُلُ الْفَعْلَ لَا الْفَاعِلَ ، وَالْحَدِيثُ لَا الْقَائِمُ بِهِ
وَلَوْ تَأْمَلْتَ فِي الْحَيَاةِ جِيدًا لَوْجَدْتَ أَنَّ الْمُرْصَاعَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
هُوَ ذَاتُهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ إِنَّمَا يَتَغَيَّرُ الْمُحَارِبُونَ
كُلُّ طَاغِيَّةٍ فِي أَيِّ عَصْرٍ هُوَ فَرَعُونَ وَالنَّمْرُودُ
وَكُلُّ دَاعِيَّةٍ فِي أَيِّ عَصْرٍ هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى
كُلُّ جَيْشٍ لِلْبَاطِلِ هُوَ جَيْشُ أَبْرَهَةَ وَجَيْشُ قَرِيشٍ يَوْمَ بَدرٍ
وَكُلُّ طَائِفَةٍ مُجَاهِدَةٍ هِيَ جَيْشُ يَوْسُعَ بْنَ نُونٍ وَجَيْشُ الصَّحَابَةِ

إذا ذُكرتَ باللهِ ارتدعْ ولا تأخذك العزة بالإثم
 أحياناً تُصبح المكابرة بعد اقتراف الذنب أكبر من الذنب نفسه
 وانظر إلى آدم وابليس كلاهما قد عصى ربه
 عصى إبليس ربه لحظة رفض الشجود لأدم
 وعصى آدم ربه لحظة أكله من الشجرة المحرمة
 واحدة بواحدة وليس العاقبة سواء
 فلما عُوِّتب إبليس استكبر ، ولما عُوِّتب آدم استغفر
 وشتان بين متكبر ومستغفرا
 إياك أن تُذَكَّر بالله فتطفى ...
 فإنَّ ذنب الغافل أيسر من ذنب المصر
 إذا قلت كلمة أغضبت قريباً وجاء من يُذكرك بخطئك
 فلا تجمع عليك خطأين : خطأ الكلام السيء وخطأ الاستكبار
 إذا قطعت رحماً وجاء من يذكرك فضل صلة الأرحام
 فلا تجمع ذنب قطع الرحم وذنب الاستكبار
 إذا ارتكبت إثماً بحق الله فتركت صياماً أو صلاةً وذُكرت
 فلا تتجبر فإما وصف الله الوليد بن المغيرة بأنه أدبر واستكبار
 وإن ذنباً ترتكبه وتشعر بالانكسار بعده
 قد يكون لك عند الله خير من طاعة تملاك بالعجب!
 هذا بعد اقتراف الذنب ، أما قبلها فلا عذر
 لأن فيها جرأة على الله ما بعدها جرأة
 إن صار إليك أمرٌ مالٌ تحفظه وأردت أن تُضيئه فذُكرت فارتدع

فإن شر ذنب يُرتكب بعد تذكير لأن فيه تحذير واصراراً
وتذكّر أن الكبير هو الصغير أمام الحق!

وهذا عمر بن الخطاب يحكم بلاداً شاسعة ورعية بالملائين
يصعد المنبر ويريده أن يحدد المهور بعدما رأى مغalaة الناس فيه
فتقوم إليه الشفاء بنت عبد الله وتقول له: ليس لك هذا
إن الله يقول: «وَإِنْ أَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَاراً» فبأي حق تحدده؟

فيقول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: أصابت امرأة وأخطأ عمر!

فلم يجد حرجاً أن ينزل على الحق أمام الناس وهو الخليفة
فما بال أحدهنا يرفض الحق بينه وبين من ينصحه

وهذا بطل قصتنا يشتهي ابنة عمّه كأشد ما يشتهي الرجال النساء
وينفق وقته عملاً وكذا يجمع مالاً للحصول عليها
ولما صارت بين يديه ذكرته بالله قائلة: اتق الله ولا تفتن الخاتم إلا بحقه
فقام عنها وهي أحب نساء الأرض إليه!

الدرس الثالث،

إياك وحقوق الناس فالله يغفر ما كان له ولا يتراهل بما للناس
وهذا الشهيد يغفر كل ذنبه مع أول قطرة من دمه إلا الدين!
هذا لأن الدين من حقوق الناس!

وأيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به

وقد جاء في الحديث: «إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي»
ولعل أحدكم أن يكون الحن بحجه من أخيه فأقضى له على نحو
ما أسمع

فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة
من نار»^١

إن حقوق الآخرين لا يحلها أن يُقضى بها النبي ﷺ
فما بالك إذا قضت بها المحاكم التي أقامها أهل الأرض
ما ليس لك حرام عليك وإن قضت به محاكم الدنيا كلها
وتذكر أن في الآخرة محكمة تُرد فيها الحقوق حيث لا درهم ولا
دينار
إنما الحساب بالحسنات والأعمال ، وقت أننا أحوج ما نكون إلى
حسنة

إياك أن تستقوى بالقانون على الضعفاء
وإياك أن تُصدق مقوله الأغبياء القانون لا يحمي المغفلين
والبسطاء والضعفاء
كون الناس بسطاء لا يحل سرقتهم
فالسرقة حرام بغض النظر عن هوية المسروق بسيطاً كان أم ذكياً!
وما ابتلي به الناس في هذا العصر ، المظاهر الفارغة
يدفع أحدهم بقشيشاً بالألاف في مطعم فاخر
ويسرق أجر عامل بسيط لا يساوي ثمن فنجان قهوة في مطعم فاخر
إن الكرم الحقيقي أن تؤدي للناس ما لهم عليك
لا أن تهدي مسؤولاً سيارة وتسرق خادمتك!
والأناقة الحقيقية هي أناقة دفع الحقوق
لا أناقة ربطة العنق والعطور الباهظة
للأسف هذا عصر لا يعرف الناس فيه الأناقة إلا في الثياب
ولو تأملت أرواحهم وقلوبهم لوجدتها رثة

وانظر لصاحبنا ترك العامل أجره ومضى قبل أن يأخذه
فأخذه ونمأه وشغله ولما عاد أعطاه كل شيء
لا نريد أن نشغل رواتب البسطاء والمساكين وإن كان هذا شيء
جميل
نريد أن نعطيهم حقوقهم
هذه المبالغ الزهيدة سرقتها لن تغريك ، وتأديتها لم تُفقرك
فلا تكن عباداً للمال ، لا يدفع حقاً إلا بالقوة
الأحرار يدفعون ما عليهم ، ولو كانوا على قدر من القوة أن لا
يسألهم أحد!

الدرس الرابع:

الدُّعاء سلاح المؤمن فلا تستهين به!
وفي الحديث : لا يرُدُّ القدر إلا الدُّعاء
فما بنا آخر باب يُطرق هو باب الله
منذ متى كان الرزقُ والشفاءُ والأولاد والأزواج والنصرُ بيد الناس؟
هذه أمور كلها بيد الله وما الناس إلا أسباب
فما بنا نتعلقُ بالأسباب ونترك مُسببها
والأخذُ بالأسباب شيءٌ م مشروع بل واجب
ولكن إياك أن تجعل يقينك على الأسباب
الدواءُ سببٌ في الشفاء ولكن الشافي هو الله
والعملُ سببٌ في الرزق ولكن الرازق هو الله
والزواجُ سببٌ في الأولاد ولكن المعطي هو الله

كم من إنسان تداوى ولم يشفَ
وكم من إنسان عمل ولم يغتنِ
وكم من إنسان تزوج ولم يُنجبِ
إن الله يُحبُّ أن يُسأَل ، والإنسان يُحبُّ أن يُعطي
فقدَمْ لله ما يُحبُّ ليعطيك ما تُحبُّ
إن الله إذا نظرَ إلى قلبك ورأك زاهداً عنه بالأسباب
ترككَ إلى ما زهدتَ به عنه
وإذا نظرَ في قلبك ورأى أنه ليس فيه أكبر منه سبحانه
هياً لكَ الأسباب وسخر لكَ الناس
هذا آدم عليه السلام وزوجته يذنبان فيدعوان :
«ربنا ظلمتنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»
فكانت المغفرة
وهذا نوح عليه السلام لما ضاق ذرعاً بقومه يدعوه :
«ربُّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً»
فكان الطوفان!
وهذا إبراهيم عليه السلام يُسلم أهله لربه فيدعوه :
«فاجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم»
فكانت مكة حنين القلوب على مدار العصور!
وهذا لوط عليه السلام تضيقُ عليه الأرض فيدعوه :
«ربُّ انصرني على القوم المفسدين»
فيحمل جبريل القرى بجناحه ، حتى إن الملائكة لتسمع نباح
الكلابِ فيها
لشدة اقترابه بها من السماء ، ثم يقلبها رأساً على عقب!

وهذا يوسف عليه السلام تُسد أبوابُ الأرض في وجهه فيدعوه
﴿وَلَا تُنْصِرْ فِيْنِي كَيْدُهُنَّ أَصْبَحَ إِلَيْهِنَّ وَأَكْنَنَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾
فيصبح عزيز مصرًا

وهذا موسى عليه السلام يهوله المسؤولية التي ألقاها على عاتقه
فيدعوه

﴿رَبَّ اشْرَحْ لِي صَدْرِيْ ، وَيُسَرِّ لِي أَمْرِيْ ، وَاحْلُلْ عَقْدَةَ مِنْ لَسَانِيْ
يَفْقَهُوْ قَوْلِيْ ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِيْ ، هَارُونَ أَخِيْ﴾
وعلى الفور يخبره ربه : ﴿قَدْ أَوْتَيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾
وهذا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلِمَ أَنَّهُ نَعَمُ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ فَدَعَاهُ
﴿وَهُوَ لِي مَلِكًا لَا يَنْبَغِي لَأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾
فَمَلْكُهُ اللَّهُ رَقَابُ الْجَنِّ !

وهذا يُونس عليه السلام في ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت
فيدعوه

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبَّحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
فيصبح بطنَ الحوت المفترس ، له وعاءً وحصناً !
وهذا زكريا عليه السلام يشتاقُ أَنْ يَكُونَ أَبَا فَيَدُعُهُ

﴿رَبَّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾
فتُناديَهُ الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب تبشره بِيحيى عليه
السلام

الدنيا معركة مستعرة ، والدُّعَاءُ سلاحُ المؤمن
والمحارِبُ الذكيُّ لا ينزلُ إِلَى سَاحَةِ المعركةِ دونَ سلاحِهِ !

إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا هُمْ بِحَسْنَةٍ وَلَمْ يَفْعَلُوهَا
 كُتُبَتْ لَهُ حَسْنَةٌ كَامِلَةٌ
 وَإِنْ فَعَلُوهَا كُتُبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ
 وَإِذَا هُمْ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلُوهَا كُتُبَتْ لَهُ حَسْنَةٌ كَامِلَةٌ
 وَهَذَا صَاحِبُنَا أَرَادَ الزِّنَاءَ وَسَعَى لِهِ سَعْيَهُ
 وَلَا هُمْ بِهِ وَذُكْرٍ بِاللَّهِ ارْتَدَعَ فَصَارَتْ لَهُ مِنْقَبَةٌ
 أَزَاحَ اللَّهُ لَهُ بِهَا صَخْرَةً كَبِيرَةً عَنْ بَابِ الْغَارِ
 إِذَا هَمْمَتْ بِسَيِّئَةٍ وَتَذَكَّرَتْ أَنَّهَا سَيِّئَةٌ
 فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرُكَ لَا إِنْ يَحْبِكَ
 الَّذِينَ يَبغِضُهُمُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِمْ بِالْغَفْلَةِ فَلَا يَرَوْنَ إِلَّا مَا قَلَّى عَلَيْهِمْ
 شَهْوَاتِهِمْ
 فَلَا تَرِدْ الْحُبُّ بِالْبَغْضَاءِ!
 كُلُّ خطوةٍ أَرَدْتَ أَنْ تَمْشِيَها فِي حِرَامٍ وَارْتَدَعْتَ
 سُتُّكْتَبُ لَكَ خطوةً مُشَيَّتها فِي حَلَالٍ
 وَكُلُّ درهمٍ كُنْتَ سُتْنَفِقَهُ فِي حِرَامٍ ثُمَّ ارْتَدَعْتَ
 سُيُّكْتَبُ لَكَ درهَمًا كَأَنَّمَا أَنْفَقَتْهُ فِي صَدَقَةٍ
 كُلُّ كَلْمَةٍ فِي باطِلٍ كُنْتَ سُتْقُولَهَا ثُمَّ ارْتَدَعْتَ
 سُتُّكْتَبُ لَكَ كَأَنَّهَا كَلْمَةً قَلَّتْهَا فِي حَقٍّ
 يَا لِرَحْمَةِ اللَّهِ حَتَّى الظَّرِيقَ إِلَى النَّارِ تُصْبِحُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
 حِينَ قَرَرْتَ أَنْ لَا تَمْشِي فِيهَا!

اخترْ دوماً رفقة صَالحة
هذا كلبٌ خَلَدَ الله سُبْحَانَه ذِكْرَه في كِتابِه العَزِيزِ
فقط لأنَّه اخْتارَ رفقةً صَالحةً
فلا يَكُنْ كَلْبٌ أَفْقَهَ مِنَا فِي اخْتِيَارِ الصَّمْحَةِ!
وَانْظُرْ إِلَى الْثَلَاثَةِ أَصْحَابِ الْغَارِ
مَاذَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ الله خَبِيَّةٌ وَعَمَلَ صَالِحًا
لَكَانُوا بَقُوا فِي الْغَارِ وَهَلَكُوا
وَلَكِنْ اجْتَمَعَ صَلَاحَهُمْ مَعًا فَنَجَوْا جَمِيعًا
وَمِنْ أَمْثَالِ الْجَدَّاتِ: الصَّاحِبُ سَاحِبٌ!
وَشَتَانٌ بَيْنَ صَاحِبٍ يَأْخُذُ بِيَدِكَ إِلَى الْجَنَّةِ
وَبَيْنَ صَاحِبٍ يَأْخُذُكَ مِنْ يَدِكَ إِلَى النَّارِ!

قضاء سليمان عليه السلام

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال :
كانت امرأتان معهما ابناهما فجاءَ الذئب فذهبَ بابن إحداهما
فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك
وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك
فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى
فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه
فقال اثنوني بالسُّكين أشقه بينكم
فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها
فقضى به للصغرى !

الدرس الأول :

فضل الله الأنبياء عليهم السلام بعضهم على بعض
فأولوا العزم من الرسل أفضل الأنبياء على العموم
أما على الخصوص فقد يعطي اللهنبياً أمراً لم يعطه لغيره
وهذا لا يقتضي فضل المعطى على الذي لم يعط
فهارون عليه السلام أفضح من أخيه موسى عليه السلام
بشهادة موسى نفسه ، ونص القرآن الكريم
ولا خلاف أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام وكلامها
فأفضل !
وسليمان عليه السلام أوتى ملائكة لم يعطه أحد قبله ولا بعده

وكان عيسى عليه السلام فقيراً وهو أفضل من سليمان وكلاهما
فاضل!

وألاَّ الله لداود الحديد ولم يلنه محمد
وهو أفضل خلق الله على الإطلاق

وما يُقال عن الأنبياء عليهم السلام يُقال فيمن دونهم من الناس
فحالد بن الوليد أوثي حنكة في الحرب ليست لأبي بكر رضي الله
عنهمما

وأبو بكر لا يعدله أحدٌ من الصحابة
وكان أبيُّ بن كعب أقرأ لكتاب الله من عمر رضي الله عنهمما
ولا خلاف أن عمر أفضل من أبيٍّ

وكان معاذ بن جبل أعلم بالحلال والحرام من عثمان رضي الله
عنهمما

وعثمان أفضل من معاذ!
فالفضلية إذاً إنما تكون بالمجموع والعموم وليس بوحدة فقط
هذا أمر يجب أن لا يغيب عن ذهاننا ونحن نقرأ هذه القصة
كما لا يجب أن ننظر لحكم داود عليه السلام بالخطأ المخصوص
فلا شك أنه اجتهد في الحكم وقضى بما رأى من أدلةٍ
وقد تكون الكبرى أفعى لساناً من الصغرى
ولما لم يكن من بينة لهذه أو تلك كان منه ما كان

كان سليمان عليه السلام داهية في القضاء
والقصة التي بين أيدينا ليست إلا واحدة وهناك غيرها
وقد ذكر الله دهاءه في القرآن إذ حكم وأبوه في الحرج
﴿وَوَدَادُ وَسَلِيمَانٌ إِذْ يُحَكِّمُهُنَّ فِي الْحَرْجِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غُنْمُ الْقَوْمِ
وَكَنَا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾

والقصة أنَّ أغنام رجل دخلت في الليل على زرع رجل آخر
فأكلت من الزَّرْعِ مَا أَكَلَتْ ، وأتلفت منه ما أتلفت

ثم إن الرجلين اختصما إلى داود عليه السلام
فقضى أن يعطي صاحب الأغنام أغنامه لصاحب الزَّرْعِ نظير ما أفسد
فلما خرجا من عنده التقى سليمان عليه السلام

فسمع من هذا ومن ذاك

ثم قال : ليس الحكم هذا

وإنما يأخذ صاحب الأرض أغنام صاحبه فينتفع بلبنها
ويقوم صاحب الأغنام على أرض صاحبه فيصلح ما أفسد
ما شنته

فإذا عادت سيرتها الأولى ، أخذ هذا أرضه واستردَّ هذا غنمها
وأثنى الله على حكم سليمان عليه السلام قائلاً : ﴿فَفَهَمَنَا هَا
سَلِيمَانٌ﴾

ولم ينسَ فضل داود فقال : ﴿وَكَلَّا أَتَيْنَا حِكْمَةً وَعِلْمًا﴾

ومن دهاء سليمان عليه السلام في القضاء

أنَّ رجلاً جاءه وقال له : يا نبِيَّ الله إن لي جيرانًا يسرقون إوزي

فنادى سليمان عليه السلام : الصلاة جامعة!
ثم صعد على المنبر وخطب في الناس قائلاً :
ما بال أحدكم يسرق إوزًّ جاره ثم يدخل المسجد والريشُ على
رأسه!

فمسح رجلٌ رأسه
فقال سليمان عليه السلام : خذوه فإنه صاحبكم!
لا بدّ من يقضى أن يكون عالماً بالمسألة التي يحكم فيها
في بعض المسائل تحتاج إلى علم أكثر من اجتهاد ورأي
لأن الشرع قد قال كلمته فيها ، كالمواريث مثلاً
ولكن لا يستغنى القاضي عن الدهاء والحيلة
وقد عرضنا في حكم سليمان قصصاً ثلاث
لم يكن فيها نصوص وإنما هو بإعمال العقل والفتنة
ولا يسعنا ونحن نتحدث عن القضاء والدهاء فيه
أن نقفز عن داهيتيْن من دهاته هما : إياس بن معاوية وشريح

القاضي
فكلاهما كان قاضياً داهية ، سجّل أحکاماً باهرة
واياس بن معاوية ولـيـ القضاء لعمر بن عبد العزيز عَنْ يَدِهِ
ويروي ابن الجوزي عنه في أخبار الأذكياء
أنَّ رجلاً خبأ مالاً في حضرة صاحبه عند شجرة
فما كان من صاحبه إلا أن عاد وأخذ المال ومضى
فجاء صاحبُ المال إلى إياس شاكِيًّا
ولكن الصاحب أنكر معرفته بالحادثة والمال
فقال إياس لصاحب المال : اذهب إلى الشجرة لعلك تتذكر

أما أنتَ فاجلسْ معي ريثما يرجع صاحبك
وبينما إِيَّاس يقضى بين الناس إذ قال للرجل :
أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة؟
قال : لا ، إن المكان بعيد

فقال له : يا عدو الله ، أما أنكرتَ معرفتك بالمال والشجرة من قبل؟
وهكذا أُوْقَعَ به

ومن ذكائه أَنَّه كان في مكان ، فدخلت ثلاثة نسوة
فحَدَثَ ما يدعو إلى الخوف

فقال : أما هذه فحامل ، وهذه مرضع ، وهذه عذراء
فقلن صدقتَ

فقيل له كيف عرفتَ؟

قال : أما الأولى فوضعتْ يدها على بطْنِها
وأما الثانية فوضعتْ يدها على صَدْرِها
وأما الثالثة فوضعتْ يدها على فرجِها

وإنَّ الإِنْسَان إِذَا هَالَهْ أَمْرٌ حَمِّى أَعْزَزَ مَا يَمْلِكُ!
و جاءَهْ رَجُلٌ يَقِيمُ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ فِي الْخَمْرِ

فقال له : إِذَا أَكَلْتُ عَنْبَاً ، أَتَجْلَدُنِي؟

فقال له لا

فقال : إِذَا شَرَبْتُ مَاءً ، أَتَجْلَدُنِي؟

فقال له لا

فقال : ما بالك إِذَا إِذَا وَضَعْتُ الْعَنْبَ فِي الْمَاءِ وَصَارَ خَمْرًا ،
جَلَدْتَنِي؟

فقال له إِيَّاس إِذَا رَمَيْتُك بِالرَّمْلِ ، أَتَتَالَمُ؟

فقال : لا

فقال : إن رميتك بالماء ، أتألم؟

فقال : لا

فقال : إن ضربتك بهذه الآنية المصنوعة من تراب وماء ، أتألم؟

فقال : نعم ، فليس هذا هو ذاك

فقال له : وأنت أيضاً ليس هذا هو ذاك!

وقيل له إننا لنأخذ عليك ثلاثة

فقال : ما هي؟

قالوا إنك دميم ، وإنك تُعجب بقولك ، وإنك سريع في الحكم!

فقال : أما دمامنة خلقتني فليس بيدي

وأما إعجابي بقولي ، أفلا تعجبون أنتم به؟

قالوا : بلى

فقال : فإعجابي به أولى

فكم إصبعاً في يد أحدكم؟

قالوا : خمسة

فقال : لم استعجلتم في الجواب؟

قالوا : لا ترى بما عندنا علمه

فقال : وأنا مثلكم

وكان وقاها على الحق رغم كل هذا

وكان يقول : ما غلبني في القضاء إلا رجل

ذلك أني كنتُ في مجلس القضاء بالبصرة

فدخلَ علىَ رجلَ شهدَ عنديَ أنَّ البستانَ الفلانِيَّ ، وذكرَ حدودَه ،

هو ملكُ فلان

فقلتُ له : كم عدد شجره؟

فسكت ثم قال : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟
فقلتُ : منذ كذا

فقال كم عدد خشب سقفه؟ فلم أعرف

فقلتُ له : الحق معك ، وأجزت شهادته

أما شریع القاضی فكان هو الآخر داهیة عصره

وعاصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

يروي الشعبي أن امرأة جاءته تُخاصِم زوجها فأرسلت عينيها وبكت

فقلتُ : يا أبا أمية ما أظن هذه الباكية إلا مظلومة

فقال لي : يا شعبي ؟ إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون

وأتى عدي بن أرطأة شريحاً وهو في مجلس القضاء

فقال لشريح أين أنت؟

قال : بينك وبين الحائط

فقال : اسمع مني

قال : لهذا جلست مجلسي هذا

قال إني رجل من أهل الشام

قال الحبيبُ القريب

قال وتزوجت امرأة من قومي

قال : بارك الله لك بالرفاء والبنين

قال : وشرطت لأهلها أن لا أخرجها

قال : الشرطُ أملك

قال وأريدُ الخروج

قال في حفظ الله

قال : اقضِ بيتنا
قال : قد فعلتُ

وحدث موقف بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حيث اشتري عمر فرساً من أعرابي وأعطاه ثمنه
فركبه عمر وبعد مسيره لاحظ فيه عيّباً ، وقال للرجل :
خذ فرسك فإنه معطوب!

فقال الرجل : لا أخذه وقد بعثه لكَ سليمان
فقال عمر : اجعل بيني وبينكَ حكماً
فقال الرجل يحكمُ بيننا شریع بن الحارث الكندي
فقال عمر : رضيَتُ به

ولما سمع شریع من الأعرابي ومن عمر وحان وقت الحكم ، قال
هل أخذتَ منه الفرس سليمان يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر : نعم
فقال شریع : احتفظْ بما اشتريتَ أو رُدْ كما أخذتَ
فنظر عمر إلى شریع معجبًا وقال :
وهل القضاء إلا هذا ، قول فصل وحكم عدل
سِر إلى الكوفة فقد وليتكَ قضاءها!

الدرس الرابع :

تحتَلُّ أحكام الرجال لأن عقولهم بالأساس تختلف
ومن هنا جاءت المذاهب الفقهية!
فكل فقيه يُعمل عقله في النص ويستتبّط منه ما لا يستتبّطه غيره

وكل يُصيب ويخطئ ولا عصمة إلا للأنبياء
وحتى الأنبياء إذا ما حكموا بالاجتهاد أصابوا وأخطأوا
ولكنهم إذا ما حكموا بالوحى أصابوا لا شك
وهذا مبحث طويل وقد سبق الكلام فيه
فهذا نبيان كريمان يعملان عقليهما في مسألتين
فيقضى داود عليه السلام بالولد للكبرى
ويقضى به سليمان عليه السلام للصغرى
ويقضى داود أمراً في الحرج ويرى سليمان غيره
هذا وهم أنبياء

لهذا لا تتعصبو للمذاهب وأقوال الرجال واجتهداتهم إن اختلاف
الفقهاء رحمة

ولو أراد الله أن يحمل الناس على عمل واحدٍ لقضى في الأمر
و فعل

فللذكر مثل حظ الأنثيين في الميراث بلا مجال للاجتهاد
والسارقُ تقطع يده والاجتهاد في الحيثيات لا في أصل الحكم
وهناك أشياء سكت الله عنها رحمة غير نسيان
 علينا أن تكون أرحب صدراً في التعامل مع المذاهب الفقهية
الأخرى

ولو نظرنا إلى أدب العلماء مع بعضهم لارحنا واسترخنا
فهذا أحمد بن حنبل تلميذ الشافعى يُجله ويقدره
ولكنه يخالفه في مسائل
وهذا الشافعى يرى غير ما يرى أحمد ويوقره
فلا تتعصبو!

المفاخرة بالأنساب

روى أحمد في مسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال :

انتسب رجلان على عهد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه

فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان ، فمن أنت لا أُم لك ؟

فقال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه

انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام

فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان - حتى عد تسعه - ، فمن أنت لا أُم لك ؟

قال : أنا فلان بن فلان بن الإسلام

فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن قُلْ لهذين المنتسين

أما أنت أيها المنتشي أو المنتسب إلى تسعه في النار ، فأنت
عاشرهم !

وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهما !

الدرس الأول :

النَّاسُ بقلوبهم لا بجيوبهم ، وبأخلاقهم لا بملابسهم

بأي طريق يمشون في الحياة لا من أي صُلب أتوا !!

ولو انتفع أحد بنسب لا نتفع به أبو لهب الهاشمي

ولو تضرر أحد بنسب لضرر به بلال بن رباح وقد كان عبداً ملوكاً

ولما جاء ذكر لقمان في القرآن وقد كان كذلك ملوكاً

لا يرکن أحداً إلى نسب مهما كان رفيعاً

ولا يحيط أحد من نسب مهما كان وضيعاً
فكلاً إنسان يموت وحده ، ويُدفن وحده ، ويُحاسب وحده
فما انتفع ابن نوح عليه السلام من نسبه وهو ابن نبيٍّ
وما تضرر إبراهيم عليه السلام من نسبه وهو ابن مشرك
وفي الحديث : «يا فاطمة بنت محمد اعملني فإني لا أغني عنكِ
من الله شيئاً

ويا عباس عم محمد اعمل فإني لا أغني عنكِ من الله شيئاً
لا يأتيني الناس يوم القيمة بأعمالهم وتأتوني بقرباتكم»

الدرس الثاني،

من حق الإنسان أن يفخر بأبائه
ولكن هناك فرق شاسع بين الفخر والكبر
فإن كان نسبك رفيعاً
فلا تقترب عملاً يُسيء إلى نسبك
 وإن كان نسبك وضيعاً
فلا يجتمع عليك وضاعة النسب ووضاعة العمل
لا تدخل عملاً حقيراً على نسب شريف
ولا يجتمع عليك وضيعين : وضاعة النسب ووضاعة العمل
فهذا سليمان بن داود عليهما السلام نبيٌّ من صلب نبيٍّ
يسأل ربه «أوزعني أن أشكك نعمتك التي أنعمت عليَّ»
يبتسم لنملة ، ويسأل عن هدهد غاب وقد ملك الأرض من شرقها
إلى مغربها

فما غره نسب وما أفسده ملك

ولقد كان في قصصهم عبرة لا تسلية وترويحاً عن النفس فقط

وهذا يوسف عليه السلام أرفع البشر نسباً

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

نبيُّ ابنُ نبِيٍّ ابنُ نبِيٍّ

ينبّري للمجاعة ويطعم المساكين ويسأله : لمَ تصوم وأنتَ على

خزائن الأرض

فيقول : كي لا أنسى الجياع !

الدُّرْسُ الثَّالِثُ

الله أعدلُ من أن يُدخل أبَا النار بسوءٍ صنيع ابنِ له

أو أن يُدخل ابناً النار بسوءٍ صنيع أبيه

ولكن ما ورد في الحديث خبر منه سبحانه وتعالى

فقد علم في أصلاب أي الجبابرة تنقل صاحبنا

عليينا أن نتأدب مع الله ونحْن نقرأ الآيات والقصص

إنه اللهُ العادل الذي يجب أن لا يساورنا شكٌ في عدله

والرَّحِيمُ الذي يجب أن لا يساورنا شكٌ برحمته ولو انتقم !

وإن كنا قد أمرنا أن نحسنَ الظنَّ بالنَّاسِ

فما بالنا بالظنِّ باللهِ !

إياكَ أن تقيس أفعال الناس على الله ، أو أفعال الله على الناس

إنه الربُّ الذي لا يظلم قيد أهلة

وليس البشري الذي تحركه سورة الغضب فيأخذ الصالح بالطالع

وإنه سبحانه ليغفو عن المساء تكرماً
 فيدخل بغياناً النار بسقيا كلب عطش
 ويتجاوز عنمن لم يفعل خيراً قط إلا أنه كان يتجاوز عن الناس
 وإنه سبحانه ليكرم الولد بصلاح أبيه
 وما أرسل نبياً وبعداً صالحًا ليقيناً جدار يتيمين
 إلا لأن أباهما كان صالحًا
 ولكنه أجل من أن يأخذ المصلح بالمسيء لأن بينهما نسب وقرابة

الدرس الرابع،

مكتبة الرمحي أحمد **@ktabpdf** تيليجرام
 تواصعوا!

إن الجنة منزل كل هين لين سهل قريب
 والنار منزل كل غتل متكبر
 وقد بلغ من تواضعه 
 أنه نهى الصحابة أن يقفوا له إجلالاً إذا دخل عليهم
 وقد دخل عليهم مرة فوقوا ، فغضب
 وكان إذا غضب عرف ذلك في وجهه
 فلم يكن يسب ولا يشتم ولا يفحش
 فلما رأى حسان ذلك عليه أراد أن يلطف الموقف فقال :
 وقوفي للعزيز على فرض
 وترك الفرض ما هو مستقيم
 عجبت لمن له عقل وفهم
 يرى هذا الجمال ولا يقوم

فابتسم عليه السلام وقد كان بطيء الغضب سريع الرضا!
وكان يحضره الأعرابي فيرتعد منه
فيهدي من روعه ويقول له هون عليك إنما أنا ابن امرأة في مكة
كانت تأكل القديد!

ويجلس في مجلسه فتأتي الجارية بنت سبع سنين
تأخذه من يده فيمشي معها ولا يدرى إلى أين
ثم تسأله أن يشفع لها عند أسيادها
لأنهم أرسلوها في بعض حاجتهم فتأخرت عليهم ، فيمضي
ويشفع!

وكان لأنس رضي الله عنه أخ اسمه عبد الله
وكان عليه السلام يلاعبه وكناه أبا عميراً
وكان لأبي عميرا عصفور صغير اسمه النغير يلاعبه
فيسأله النبي عليه السلام بعد فترة : يا أبا عميراً ما فعل النغير؟
فيبكي أبو عميراً لأن النغير مات
فيعتنقه بأبيه هو وأمي

وهذا كان دأب صحابته فقد رياهم على التواضع ولبن الجانب
أبو بكر ينظف بيت عجوز وهو الخليفة

ويمشي في الطريق فيشده الصبية من ثوبه قائلين : يا أبااته يا أبااته
حتى قوي البأس والشكيمة عمر كان في الحق هكذا
ولكنه في الرُّعية له قلب أم رؤوم
يصاحب زوجته لتولُّد امرأة أعرابي ليس له إلا الله
ويحملُ الدقيق على ظهره ويطيخُ لآيتام المرأة بيديه
يأتيه رسول كسرى ويسأل عن قصره ، فلا يجد قصرًا ولا حاشية

هازم الإمبراطوريات مستلقي تحت شجرة ينام ملء جفونه عن
شواردها

وحفيده عمر ابن عبد العزيز يمشي في المسجد وهو مظلوم
فيطأ قدم رجل لم ينتبه له
فيقول الرجل بغضب أأعمى أنت؟!
فيقول عمر لا

ويغضب لل الخليفة من معه
فيقول لهم : دعوه ، رجل سأله فاجبناه!
وينطفئ السراج يوماً فيقوم ليضع له زيتاً
فيقولون له يا أمير المؤمنين لو فعلها أحد غيرك؟
فيقول : قمتُ وأنا عمر ابن عبد العزيز وعدتُ وأنا عمر ابن عبد
العزيز
ولقد كان في قصصهم عبرة!

الرَّضِيع

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :
كانت امرأة ترضع ابنًا لها من بنى إسرائيل
فمرّ بها رجل راكب ذو شارة
فقالت : اللهم اجعل ابني مثله !
فترك ثديها وأقبل على الراكب وقال : اللهم لا تجعلني مثله !
ثم أقبل على ثديها يمسه
قال أبو هريرة : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمس إصبعه !
ثم مرّ بأمّة فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثلها
فترك ثديها ، فقال : اللهم اجعلني مثلها
فقالت : ولم ذاك ؟
فقال : الرّاكب جبار من الجبارية
وهذه الأمة يقولون سرقت زنيت ولم تفعل !

الدرس الأول :

هذا درسٌ تأخر موضعه في الكتاب
ولكن كما قال الأوائل : أن تأتي متأخرًا خير من أن لا تأتي أبدًا
ثم إن بعض الأشياء نافع متى أتى
والمطر أنفع للأرض إن تأخر عنها من هطوله تباعًا لأيام
القصة أسلوب محبب إلى النفوس سواءً كان وعظاً أم تسلية
 فهو قريب إلى القلوب ، أخذ بالسامع ، شيق وماتع

وما قصّ علينا القرآن فقد وقع لا محالة ، وإن كان بخلاف العادة
فإن إبراهيم عليه السلام أُلقي في النار ولم يحترق يقيناً
وموسى عليه السلام شقَّ البحر بعصاه حقاً
ويونس عليه السلام مكث في بطن الحوت صدقًا
وسليمان عليه السلام كَلَمُ الطير وحكم الجن واقعًا
ونوح عليه السلام صنع السفينة وسارت به في موج كالجبال لا
شك عندنا
وإسماعيل عليه السلام فُدي من الذبح بكبش لا جدال معنا
وما صَحَّ من قصص النبي ﷺ له صِدق قصص القرآن
وما جاء من قصص القرآن والسنّة من غريبٍ فما قصّ علينا إلا
لغرابته
وإنا نُصدق هذه القصة يقيناً
لأننا نؤمن يقيناً كذلك بصدق راويها وصدق من رووا عنه
ونؤمن بغربيها لأننا نؤمن من قبل أن كلَّ شيء بيد الله سبحانه
فعلينا أن نتأدب مع الله ورسوله ونحن نسمع ما يخبرانا به
فالقصص القرآني والنبوى ليست ألف ليلةٍ وليلةٍ تُروى للممتعة فقط
وليسَت قصَّة أبي زيد الهملاي تُسْتَحْضُرُ فيها الشجاعة والفروسيَّة
وليسَت قصَّة جلجامش يطوف الأرض بحثًا عن نبتة الخلود في
خرافة ممتعة
وليسَت الشاهنامَة ولا الإلياذة ولا كتاب الموتى عند الفراعنة
إنها على متعتها للعظة والاعتبار أولاً «فاقتصر القصص لعلمهم
يتفكرون»!
النماذج البشرية التي عرضها القصص القرآني والقصص النبوى

إنما هي غاذج مكررة تتغير أسماؤها في كل عصر ليس إلا
في كل عصر هناك موسى وفرعون وإبراهيم والنمرود
في كل عصر هناك طاغية وأصحاب أخدود
في كل عصر هناك محمد وأبو جهل
في كل عصر هناك معركة بين المسلمين القلة وقريش الكثيرة
في كل عصر عايد كجريح وقوم سوء كقومه
في كل عصر أشخاص بسطاء إيمانهم كالجبار الرواسي كالماشطة
في كل عصر هناك زوج سوء كفرعون
وزوجة سوء كزوجتي نوح ولوط
في كل عصر ولد عاقد كابن نوح وعم ظالم كأبي لهب
والمراد من القصص هذه أن نعرف أننا لسنا الأوائل
ولن تكون الا واخر
إن الناس في هذه الحياة يتداولون الأدوار ، مؤمنهم وكافرهم حتى
تقوم الساعة !

الدرس الثاني،

لا تخدعنك المظاهر الأشياء عكس ما تبدو أحياناً
صعد ابن مسعود رضي الله عنه أعلى نخلة
فضحك الصحابة لدقة ساقيه ونحوهما
فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لساقي ابن مسعود أثقل في الميزان من
جبل أحداً
لورأى أحدنا عمر رضي الله عنه وفي ثوبه سبعة عشر رقعة

لأشاح بنظره عنه!

ولورأى أبا بكر رضي الله عنه يسير في طرقات المدينة
والأولاد يشدونه من ثوبه يقولون له : يا أبناه يا أبناه
لاستخف به

ولورأى المرأة التي كانت تقم المسجد في عهد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه
ما كلف نفسه أن ينظر إليها

ولورأى البراء بن مالك رضي الله عنه
أشعرت أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لا يأبه له
لما أباه له أيضا

المظاهر خداعه والناس بقلوبهم لا بثيابهم
ولست ضد الأناقة في اللباس والهيئة

على العكس عاما ، إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده
ولكن المظاهر ليست كل شيء

هذا فارس صنديد يُشار إليه بالبنان
تتمنى المرأة أن يكون ابنها مثله

خدعت بالظاهر شأننا جميعا ، إذا رأينا القوة والمال في يد الناس

ولكن الله أنطق الصبي ليرفض دعاء أمه

فما فائدة المال والجمال إذا كان أحدهنا جبارا

وهذه أمة سوداء تُتهم زوراً بالسرقة والزنا

فتدعوا الأم أن لا يكون ابنها مثلها

فينطقه ربه اللهم اجعلني مثلها

ذلك أنه خير لك أن تكون مظلوما ولا تكون ظالما

وإنه لا يضرك إن كنت مجهولاً في الأرض معروفاً في السماء

البيوت أسرار والناس صناديق مغلقة!
صور أعياد الميلاد في موقع التواصل
لا تعني بالضرورة أن الزواج سعيد
وصور الطعام الشهي في الانستغرام
لا تعني بالضرورة أن الناس يملكون كل ما يشتهون
أحياناً من قلة السعادة يريد الناس إخبارنا أنهم سعداء
اصطحب رجل زوجته إلى حديقة الحيوانات
فمر بالقرب من قفص القرود
فشاهدوا قرداً يلاعب أنثاه
فقالت الزوجة يا لها من قصة حب رائعة
وعندما مرا بجوار قفص الأسود
رأيا الأسد يجلس صامتاً بينما تلهو اللبؤة بعيداً عنه
فقالت الزوجة : يا لها من قصة حب مأساوية
اللى الزوج عصا صغيرة تجاه اللبؤة
فهاج الأسد ورأر وأقبل مسرعاً يحمي أنثاه
وعندما عاد إلى قفص القرود ألقى عصا صغيرة على الأنشى
فظل القرد يلهو ويلعب كأن شيئاً لم يحدث
فإياك أن لا ترى إلا ما ترى

الدرس الرابع:

أحياناً يطلب الناس ما فيه مضرتهم

ولا يعلمون أن منع الله عطاء!

إن من الناس من لا يصلحه إلا الفقر

ومن الناس من لا يصلحه إلا الغنى

هناك مرضى لو كانوا أصحاء لتجبروا

وهناك فقراء لو كانوا أغنياء لتكبروا

وإن غنياً شاكراً لو كان فقيراً للكفر

وصححاً عابداً لو كان مريضاً لفجر

وتذكر دوماً قول عمر رضي الله عنه

لو كُشفت لنا حُجب الغيب ما اختار أحدنا لنفسه إلا ما اختاره الله له

حضر أحد الفقراء إلى أحد الحكماء يشكو إليه

وكان كل يوم يُذكره أنه لا يعرف ظروف الناس

ولما صاح به ذرعاً أراد أن يعطيه درساً عملياً

جمع رجال القرية وطلب من كل واحد أن يكتب مشكلته

فكتب الجميع مشاكلهم دون ذكر أسمائهم

ووضع الحكيم الأوراق في صندوق

وقال لصاحينا : هذه حياة الناس بين يديك فاختر واحدة لك

وببدأ الرجل يفتح ورقة ويلقيها لأنها لم تعجبه

ثم فتح الثانية والثالثة والرابعة إلى أن أتى على الأوراق كلها

عندها قال للحكيم : لا أريد إلا حياتي

إن الغنى في الرضا

والله ، إن مال الدنيا كله دون رضا فقر

وفقر الدنيا كله مع الرضا غنى !

رؤيا

روى البخاري من حديث سمرة بن جنديب رضي الله عنه قال :
كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه يُكثِر أن يقول لأصحابه

هل رأى أحدكم منكم من رؤيا؟

فمن رأى رؤيا يقصُّها على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه

وأنه قال ذات غداة :

أتاني الليلة آتیان ، وإنهما ابتعثاني

وانهما قالا لي انطلق ، وإنني انطلقت معهما

فأتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة

وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيُثْلِغ بها رأسه

فيتدهدَّد الحجرُ ها هنا ، فيتبع الحجرَ فيأخذُه ، فلا يرجعُ إليه

حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه

فيفعل به مثل ما فعلَ به المرأة الأولى

فقلت لهما : سبحان الله ما هذان؟!

فقالا لي انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على رجل مستلقي لقفاه

وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد

وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه

فيُشرِّشِر شِدْقَه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه

ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول

فما يفرُغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان

ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرأة الأولى

فقلت : سبحان الله ما هذان؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على مثل التثور فإذا فيه رجال ونساء عراة

وإذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أسفلِ منهم

إذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوا / أحدثوا ضوضاء وصرخوا

قلتُ لهم ما هؤلاء؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على نهر أحمر مثل الدم

وإذا في النهر رجلٌ ساجٌ يسبح

وإذا على شَطِ النهر رجلٌ قد جَمَعَ عنده حجارةً كثيرةً

وإذا ذلك الساج يسبحُ ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمعَ
عندَه الحجارة

ثم يأتي الساج فيفغر له فاهُ فيلقمهُ حجراً

فينطلقُ يسبح ، ثم يرجعُ إليه

وكلما رجعَ إليه فغرَ له فاهُ وألقمهُ حجراً

فقلت لهم : ما هذان؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على رجلٍ كريهِ المرأة «المنظر»

كأكراه ما أنتَ راءِ رجلاً مرأةً ، فإذا عنده نار يحُشُّها ويُسْعِي حولها

فقلت لهم : ما هذا؟

فقالا لي : انطلق انطلق

فانطلقنا ، فأتينا على روضةٍ مُعتمدةً (أي شديدةِ الخضررة) فيها من

كل لونِ الربيع

وإذا بينَ ظهري الروضةِ رجلٌ طویلٌ ، لا أكادُ أرى رأسه طولاً في السماء

وإذا حَوَلَ الرجل من أكثرِ ولدانِ رأيَتُهم قط
فقلتُ لهما : ما هؤلاء؟

فقالا لي : انطلق انطلق
فانطلقنا فانتهينا إلى روضةٍ عظيمة ، لم أرَ روضةً قط أعظمَ منها ولا أحسن

فقالا لي : أرقَ فيها
فارتقينا فيها ، فانتهينا إلى مدينةٍ مبنيةٍ بلبنِ ذهبٍ ولبنِ فضةٍ
فأتينا بابَ المدينةِ فاستفتحنا ففتحَ لنا
فذخلناها ، فتلقانا فيها رجالٌ شطَرٌ من خلقِهم كأحسنِ ما أنتَ راءٌ
وشطَرٌ كأقبحِ ما أنتَ راءٌ

فقالا لهم (أيَ الملَكين) : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر
وإذا نهرٌ معرضٌ يجري كأنَّ ماءَ المخضٍ من البياضِ
فذهبوا فوقَعوا فيه ، ثمَّ رجعوا إلينا قد ذهبَ ذلك السوءُ عنهم
فصاروا في أحسنِ صورةٍ

فقالا لي : هذه جنةٌ عدنٌ وذاك منزلكِ
فقلتُ لهم : بارك الله فيكما ذراني أدخله
قالا : أما الآن فلا ، وإنك داخله

فقلتُ لهم : فإني قد رأيتُ منذ الليلةِ عجباً ، فما هذا الذي رأيتُ؟
قالا : أما إننا سنُخبرُكِ

أما الرجلُ الأولُ الذي أتيتَ عليه يُبلغُ رأسه بالحجرِ
فإنَّه الرجلُ يأخذُ القرآنَ فيرفضه وينامُ عن الصلاةِ المكتوبةِ!

وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه ، يُشَرِّشُ شِدْفَهُ إلى قفاه ، ومن خرَهُ إلى
قفاه ، وعينه إلى قفاه

فإنه الرجلُ يغدو من بيته فيكذب الكذبةَ تبلغُ الأفاق
وأما الرجالُ والنساءُ العرَاءُ الذين في مثل بناءِ التنور

فإنهم الزُّناةُ والزُّواجِيَّةُ !

وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يسبحُ في النهر ويُلقمُ الحجارة
فإنه أَكَلَ الرِّبَّا

وأما الرجلُ الكريهُ المراةُ ، الذي عند النار يحشُّها ويُسْعِي حولها
فإنه مالكُ خازن جهنم

وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الروضة فإنَّه إبراهيم عليه السلام
وأما الولدانُ الذين حَولَهُ فَكُلُّ مولودٍ ماتَ على الفطرةِ .

فقال بعضُ الصحابةِ : يا رسولَ اللهِ ، وأولادُ المشركينَ؟

فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : وأولادُ المشركينَ!

وأما القومُ الذين كانوا شَطَرَّاً منهم حسناً وشطَرَّاً قبيحاً
فإنهم قومٌ خلطوا عملاً صالحاً وأخْرَسْيَّاً ، تجاوزَ اللهُ عنهم

الدرسُ الأولُ :

رؤيا الأنبياءِ وحيٌ

هذه حقيقةٌ ومعتقدٌ يجبُ أن نثبتَّ به ونحن نستخلصُ العبرَ من
الحديث

وهذا محظٌّ إجماعُ عندِ الأمةِ ولا خلافٌ فيهِ فيما أعلمُ
وأي رأيٌ مخالفٌ يُرَدُّهُ القرآنُ

فإن إبراهيم عليه السلام قال لابنه ﴿يا بني إني أرى في المنام أني
أذبحك﴾

فقال إسماعيل عليه السلام : ﴿يا أبتي افعل ما تؤمر﴾!
نص حكم صريح وحاسم يسقط معه كل تكليف!
أما رؤيا الناس فعلى ثلاثة وجوه
الرؤيا الحسنة وهي من الله تحمل بشرى للمؤمن أو تنبئ بخبر
مستقبل لالإنسان
كرؤيا العزيز التي أوكها يوسف عليه السلام بالقطط!
ورؤيا سيئة من الشيطان يريد أن يحزن بها المؤمن
وحديث النفس وهي أمور تهم الإنسان ويحدث بها نفسه فيراها في
نومه!

والنوع الأول فقط هو الذي يخضع للتأويل والتفسير لمن أوتي قدرة
فتاؤيل الأحلام فتوى وقد نهينا عن الفتوى بما لا نعلم

الدرس الثاني:

يقودنا الحديث عن التأويل إلى طرح السؤال التالي
هل تأويل الأحلام علم يلقيه الله في قلب إنسان ما
أم أنه بالتعلم ولا يختلف عن العلوم الأخرى كالرياضيات والنحو
والفيزياء
والذي خلصت إليه بعد قراءات طويلة في الأمر
أنه بين هذا وذاك!
وأغلبه إلهام من الله يحبونه بعض الناس

والنوع الأول ينطبق عليه تعليم الله تعالى ليوسف عليه السلام هذا
العلم

كما في القرآن : **«وَيَعْلَمُهُ مَنْ تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ»**
أما بعضه فله قواعد وأسس يجب أن ينتبه إليها الناس
وهو أن الرؤيا تُعبّر باعتبار الرائي وإن كانت واحدة!
فقد جاء رجل لابن سيرين وأخبره أنه رأى أنه يُؤذنُ
فقال له : أنت سوف تمحى إلى بيت الله الحرام
وجاءه آخر وأخبره أنه يُؤذنُ
قال له : أنت سترى وتسجن!

فلما استغرب طلابه قال لهم موضحاً :
الأول رأيتُ فيه علامات الصلاح فأخذته على قول الله تعالى :
«وَأَذْنَنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ»!

والثاني رأيتُ فيه علامات الفجور فأخذته على قول الله تعالى
«وَأَذْنَنَ مُؤْذِنَ أَيْتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ»!
أيضاً هناك أمور لا يراها الجميع

فمثلاً رؤيا العزيز بالقطط ، هذه رؤيا الملوك والحكام ولا يراها العوام
وقد رأى عبد الله بن الزبير رؤيا فأرسل رجلاً إلى سعيد بن المسيب
ليعبرها له على أنها رؤيا الرجل لا رؤيا عبد الله
فقال له سعيد بن المسيب : مثلك لا يرى هذا
أخبركَ مَنِ الرُّؤْيَا أَمْ تَخْبِرُنِي؟
قال الرجل : أَخْبَرْنِي أَنْتَ
فقال سعيد : الرؤيا لابن الزبير!

وكان عبد الله قد رأى أنه يقاتل عبد الملك بن مروان فيصرعه

ويثبت في جسمه أربعة أوتاد

فأولها سعيد أن عبد الملك سيقتل ابن الزبير

وسيخلفه أربعة من أبنائه!

وهذا ما حدث فعلًا فقد قُتل ابن الزبير على يد الحجاج عامل عبد الملك

وخلفه أولاده سليمان وهشام والوليد ويزيد!

أيضاً تؤول الرؤيا بحسب الفصول وبحسب لغة العرب ومثلها الشاعر

وقد تحدثتُ عن هذا في كتاب حديث الصباح بالأمثلة

وما أريد أن أكرر ما قلتُ ولكن شيء استجد فذكرته!

الدرس الثالث،

الحديث كما أجمع العلماء في شرحه عما يكون في البرزخ
والبرزخ هي الفترة بين موت الناس وبعثهم للحساب
وإن كان إنكار عذاب القبر ونعمته ليس مُخرجاً من الملة
كما هو رأي جمهور الفقهاء

إلا أن فيه عشرات بل مئات النصوص التي لا سبيل لردتها

ما أدين لله به أن القبر أول منازل الآخرة

وأنه إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنان

وما ردَّ نعيم القبر وعدابه إلا من أعمل عقله خارج النصوص

فإنه لما رأى العظام البالية سأله أين النعيم والعذاب

والحقيقة إن هؤلاء جهلوا أنَّ بين الجسد والروح علاقة

ترزيد وتنقص بحسب المراحل التي فيها الإنسان

فنحن نمر بأطوار مختلفة تختلف فيها علاقة الروح بالجسد
وقد مر البشر براحل وتبقى لهم مراحل
ويمكن تلخيص مراحل النمو البشري بما يلي :
أولاً : مرحلة العدم ، وكانت قبل خلق آدم
حيث لم يكن للبشر وجود إلا في علم الله
ثانياً مرحلة الذر

حيث خلق الله أرواح بني آدم جميعاً دفعة واحدة
وأشهدهم على ربوبيته لهم فشهدوا بالوحدانية له سبحانه
وهذا مصدق قوله جل في علاه :

﴿وَإِذْ أَخْذَ رِبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيْتُهُمْ وَأَشَهَدُهُمْ عَلَى
أَنفُسِهِمُ الْأَسْتُ بِرِبِّكُمْ قَالُوا بَلِّي شَهَدْنَا . . .﴾

ثم إذا شاء أن يخلق إنساناً أرسل روحه مع الملك لينفخها فيه
ثالثاً : مرحلة الوجود الفعلي على ظهر الأرض
وهي مرحلة من نفخ الروح إلى نزعها
رابعاً : مرحلة البرزخ

وهي مرحلة من موت كل إنسان إلى بعثه
خامساً مرحلة الخلود الأبدى

تبدأ من فراغ الله من حساب العباد ولا تنتهي
فإما إلى نار وإما إلى جنة

ولا شك أن علاقة الروح بالجسد مختلفة اختلافاً كثيراً من مرحلة
إلى أخرى

في مرحلة العدم لا علاقة إذ لا روح ولا جسد
وفي مرحلة الذر روح بلا جسد

وفي مرحلة الوجود الفعلي يكون التعيم والعقاب للجسد والروح تَبَعَ
له

فلو ضربنا إنساناً ضرباً مبرحاً فإنما تُعذَّبُ جسده
ولكن لعلاقة الروح بالجسد فإن هذه الروح تشقي
أما في القبر فالتعيم والعقاب على الروح والجسد له تَبَعَ
أما في مرحلة الخلود فالتعيم والعقاب على الجسد والروح سواءً
سواءً

الدرس الرابع:

من عدل الله تعالى أن الجزاء من جنس العمل!
وانظر لأصحاب العذاب في البرزخ
فإنَّ كل واحد منهم إنما عذَّبَ بمثيل ما صنع
فمن أعطي القرآن ورفضه ونام عن الصلاة المكتوبة ضُرب رأسه
لأنَّ الرأس هو موضع السجود
وهذا الرأس الذي أبى أن يسجد لله بالوقت الذي أمر ثُلُغَ
وانني أرى أن استحقاق العذاب يكون باجتماع الأمرين معًا
ردَّ القرآن والنوم عن الصلاة المكتوبة
وردَ القرآن هو رد العمل به ورفضه بالقلب وليس بالتلاوة
فلا يجرؤ أحد أن يقول أن من آمن بالله ورسوله والبعث والحساب
وقام بأركان الإسلام دون أن يقرأ القرآن سُيُعذَّبُ
وردَ القرآن على قدر الإنسان ودوره في الحياة
فالحاكم يردُّ القرآن برفضِ تحكيم شرع الله

والناس ردهم للقرآن هو رفضُ أحكامه في حياتهم اليومية
ك ردُّ الرجلِ لآياتِ المواريث وظلم من اشتركوا معه بالوراثة
وك ردُّ المرأة للحجاب

أما النوم عن الصلاة وحده وإن كان ليس بالأمر الهين
فإن في السنة ما يجعلني أقول أنه لا يجرُ مثل هذا
ففي الحديث «من نام عن صلاةٍ أو نسيها فليؤدّها متى ذكرها فلا
كفارة لها إلا هذا»!

وحدثُ الصحابيُّ الذي شكته زوجته للنبيِّ ﷺ
أنه ينام عن صلاة الفجر

فقال له الصحابي إنَّه من قوم يغلبُهم النوم
فقال له الصادق المصدوق : فإذا استيقظت فصل
ولم أذكر هذا للتشجيع على النوم عن الصلاة معاذ الله
ولكن من باب عدم كتم العلم ليس إلا
وأما الرَّجُلُ الذي كان يكذب الكذبة حتى تبلغُ الأفاق
فكان عقابه أن يُشقَ شدقة وهو موضع الكذب
وأما الزناة فحشروا عراة وجمعوا فوق التنور
تصيب منهم النار مكان العورة وهي موضع الزنا
وأما أكل الربا فالقمه حجراً في نهر الدم
لأن الفم هو موضع أكل الربا

إياك أن تشك برحمة الله!
وقبل الرحمة تذكر أن الله عادل
وفي الحديث تجلّى رحمة الله وعدله
فأما العدل فإن الله يقتصر للعباد من العباد
فإن كنت قد أشفقت على الكاذب
فتذكر ما فعل الكذب في الحياة الدنيا
كم سمعة شوهرت بالكذب
وكم حقا أكل بالكذب
وكم فتنة حصلت بالكذب
وكم بيت هدم بالكذب
وكم دم أريق بالكذب
أيسرك أن يمر هذا دون حساب ولا عقاب؟
وإن كنت أشفقت على الزناة
فتذكر ما فعل الزناة في الحياة الدنيا
كم ولد الحق بغير أبيه
وكم عرض هتك
وكم شرف استبيح
أيسرك أن يمر هذا دون حساب ولا عقاب؟
وإن كنت أشفقت على أكل الربا
فتذكر ما فعله الربا في المجتمعات
كم فقير دفع أضعاف دينه

كم أرضٌ نُزعت من صاحبها لدفعه دينه وعجزه عن سداد مال الربا
كم مشروعٌ أغلق بسبب الربا الفاحش
وكم فرصٌ للعمل سُدت بوجه الشباب لأن رأس المال جبان
يقرر الربع المضمون الحرام على الحال الذي فيه مخاطرة
أسرك أن يمرّ هذا دون عقاب؟
ثم في حديث العذاب والعدل تأتي الرحمة
فهذا إبراهيم عليه السلام يرعى الأطفال الذين ماتوا ومعهمأطفال
المشركين
لرحمته لم يأخذ ولدًا بشرك أبيه
 تمامًا كما من رحمته أنه لن يعذب من لم تصله رسالة
﴿وَمَا كُنَّا مُعذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾
وانظر للذين خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً تعرف الرحمة
ألم يتتجاوز الله عنهم
وعفهم المخالفة فإن الذين عذبوا لم يكن لهم عمل صالح
 وإنما كانت حياتهم الدنيا ظلماً بظلم ، وفجوراً بفجور .

الدرس السادس:
عليينا أن نعرف لماذا أنزل الله تعالى القرآن
هذا القرآن لم يُنزل ليقرأ على الأموات ولكن ليتحاكم به الأحياء!
﴿لِينذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾
إن هذا القرآن دستور حياة متكامل
لا يتم الإسلام إلا بالعمل بمقتضاه
ليس من الإسلام في شيء أن نصلّي ونصوم ونحج ونركي

ثم نستورد شرائنا من الشرق والغرب ، أو نكتب أخرى بأيدينا
إن الله حين شرع الحدود فلنعمل بها ، أعجبتنا أم لم تعجبنا
وعندما وضع المواريث فلنطبقها ، أعجبنا أم لم يعجبنا
وعندما أحل البيع وحرم الربا فلنلتزم
وعندما نظم الزواج فلنطبع
وعندما وضع حقوق الجار فلننفذ
وعندما وضع حقوق الأقارب فلنصل الأرحام
إن قبول القرآن لا يعني أبداً قبول تلاوته فقط
 وإنما قبول تحكيمه والتزام أوامره ونواهيه
الشخص الذي يقول لنصل ونصوم ونحاج ونذكر
ونتعامل بالنظام الرأسمالي
فهذا لم يفهم الإسلام بعد
والذي يريد نظام عقوبات غير ما أقره الإسلام
فإنه يتهم الله بسوء التشريع!
والذي يريد نظاماً اقتصادياً غير ما أقره الإسلام
فإنه يقول من حيث لا يدري أن البشر أعرف من الله بالتشريع!

الدرسُ السَّابِعُ :

الكذب قبل أن يكون حراماً فإنه يخدش المروءة!
وقد كان العرب في جاهليتهم أهل مروءة
فهذا أبو جهل ، بقترون عليه اقتحام بيت النبي ﷺ
فيقول : أتريدون أن تقول العرب أني رؤعت بنات محمد

وعندما صفع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها
قال : اكتموها عنني لا تعرف بها العرب
وهذا أبو سفيان يوم كان على الشرك يسأله قيصر عن النبي ﷺ
فيحدثه عن صدقه وأمانته ولا يكذب
إنَّ من الكمال أن لا نفعل الخطأ لأنَّه حرام
وأنَّ نفعل الصواب لأنَّه حلال
 وإنَّ كان هذا أمراً حسناً
ولكنْ جربوا أن تفعلوا الحلال لأنَّه يزيد المروءة
وأنَّ لا تفعلوا الحرام لأنَّه يقدح فيها
إنَّ أكبر إساءة في الحياة هي أن يُسيء الإنسان إلى نفسه
وما أحلها من مقوله
«إنَّ الرجل ليصدق ويتحرج الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً»

الدرس الثامن :

إياك وأعراض الناس !
إنَّ الله قوة من لا قوة له ، وسلاح من لا سلاح له
من هتك عرضًا سبأته من يهتك عرضه
هذه الدنيا دين وسداد
فلا تجنب على عرضكِ بانتهاكِ أعراض الناس
وتذكر أنه ما ارتفع يوسف عليه السلام إلا بالعفة
وما أتاها الملوك منقاداً إلا لأنَّه رفض الرذيلة
ولقد كان في قصصهم عبرة

نأتي للرجل قبيح المنظر الذي هو مالك عليه السلام خازن النار
إن الله لم يخلق قبيحاً عن عجز منه أن يخلق جميلاً
ولكنه سبحانه لا يفعل هذا إلا لحكمة
وحكمة تعالى في خلق مالك على هذه الصورة
هي زيادة العذاب على أهل النار
فكم يأنس الإنسان بالوجه الحسن والخلقية الجميلة
فإنه يستوحش بالوجه القبيح
وقد خلق الله سبحانه مالكاً على هذه الهيئة
ليؤدي الدور الذي خلق لأجله
 فهو خازن النار وخلقه منظر حسن غير مناسب لوظيفته
وعفهم الخالفة فإن رضوان خازن الجنة
غاية في الحسن والجمال وذلك لزيادة نعيم أهل الجنة
وأما في الدنيا فالجمال والقبح أرزاق من عند الله
قسمها الله تعالى بين عباده بما شاء لغاية يعلمها سبحانه
 فعلينا أن نتأدب مع الله
 فإن من عاب الصنعة إنما عاب الصانع
 وحاشا ربنا أن يتهم ويرمى بالعجز والقصير
 لنظر إلى الأمر أنه من الأرزاق التي يتفاوت فيها الناس
 من الناس الغني والفقير
 صاحب العيال والعقيم
 طويل الأجل وقصير العمر

السعيد والحزين والفرح والمغموم
وهكذا أيضاً منهم الجميل ومنهم القبيح
فمن وجد فيه الجمال فليشكر
ومن وجد فيه القبح فليصبر
فإنما الدنيا امتحان!

الذى أضاع ناقته!

روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :
للأشد فرحاً بتوبة عبد المؤمن
من رجل حمل زاده وزاده على بعير ثم سار
حتى كان بفلاة من الأرض ، فأدركته القائلة / وقت القليلة
فنزل فقال تحت شجرة فغلبته عينه وانسل بعيره
فاستيقظ فسعى شرفاً فلم ير شيئاً
ثم سعى شرفاً ثانياً فلم ير شيئاً
ثم سعى شرفاً ثالثاً فلم ير شيئاً
فلما أدركه العطش ، قال :
أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت
فوضع رأسه على ساعده ليموت
فاستيقظ وعنه راحلته وعليها زاده طعامه وشرابه
ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك!
أخطأ من شدة الفرح
فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده!

الدرس الأول

ولو أن كل الخلق عصوه ما نقص ذلك من ملكه شيئاً
ولو أن كل الخلق أطاعوه ما زاد ذلك في ملكه شيئاً
فلا المعصية تضره سبحانه

ولا الطاعة تنفعه جل في علاه
ولكنه رحيم حد الذهول ، كريم حد الدهشة
يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل
ولا يردد من أتى ولو جاء بسيئات كالجبال
من قرع بابه فتح له ، ومن جاءه يمشي أتاه هرولة
عفو يحب العفو ، وكرم يحب الصفع
مهما عظمت ذنوبك فعفوه أعظم
مهما كثرت خطاياك فصفحه أكثر
ولا يمل من الصفع حتى يمل العبد من التوبة
إذا غلبتك ذنوبك وزين لك الشيطان أعمالك
تذكر كيف يفرح إذا أتيته وناديته
رب أذنبت ولا منجي منك إلا إليك
عبادك كثير وليس لي رب سواك
يكفيه هذا ليرضى
يمحو ذنوب السنين الطوال بلحظة توبه
فلا تدع الشيطان يقتنطك من رحمته
ولإياك أن تخجل من قرع بابه مهما كانت حالك
فإنه الله ، وليس ملك من ملوك الأرض
الذين إن أحسنت إليهم دهرًا ثم أساءت مرة عاقبوك
إنه العفو ، فلا تنس أخلاق ملوك الأرض على ملك السماء
يُحكى أن ملوكًا من ملوك الأرض
كان عنده كلاب مفترسة يُلقي إليها كل من قصر في خدمته

وكان له وزير خدمه سنوات طويلا
ثم إن هذا الوزير قصر مرة في خدمة الملك
فقرر الملك أن يلقيه للكلاب لتأكله
فطلب الوزير من الملك أن يمهله أسبوعا قبل العقاب فوافق
فذهب الوزير إلى حارس الكلاب وقال له
عد إلى بيتك فإني سأرعى الكلاب أسبوعا عنك
وبدأ الوزير يطعم الكلاب ويكرمها حتى أحبته
وبعد أسبوع ألقى الملك الوزير للكلاب فلم تأكله
فأسأله بدهشة : أسرحت الكلاب ؟

فقال له الوزير : كلا ، ولكنني خدمتها أسبوعا فقدرت صنيعي معها
أما أنت فخدمتك دهراً فلم تحفظ هذا لي
هذه أخلاق ملوك الأرض أما ملك السماء فله شأن آخر
يُعصى دهراً فيغفر بلحظة
يُجترأ عليه عمراً فيرضي بثانية
فلا تزهد فيه وهو لا يزهد فيك

الدرس الثاني :

الدنيا دار أسباب ، والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله
على العكس تماما فقد أمرنا أن نأخذ بالأسباب
لأنها واقعة في قدر الله
ولو استغنى أحد عن الأسباب لقوة إيمانه
لكان استغنى عنها رسول الله ﷺ ولا أحد أكثر إيماناً منه

فيوم الهجرة استأجر له دليلاً يرشده إلى طريق المدينة
ولم يقل أنا نبيٌّ سأصل على أية حال
وكان في المعارك يلبس درعًا
ولم يقل أنا نبيٌّ وسيحميني الله على أية حال
وكان إذا أراد أن يغزو ورئي
أي سلك طريقةً غير الذي يريد ليواجه العدو
ولم يقل أنا نبيٌّ وسينصرني الله على أية حال
وهذا عمر بن الخطاب يرى أعرابياً له بعير أجرب
يرفع يديه إلى السماء ويدعو أن يشفى الله بعيره
فقال له : أيد دعاءك بشيءٍ من القطران!
أي خذ بالعلاج والأسباب ولا ترك الدعاء
وعندما أراد دخول الشام ، وبلغه أنَّ الطاعون قد دبَّ فيها ، قرر أن

يرجع

قال له أبو عبيدة : أفرار من قدر الله يا أمير المؤمنين؟
قال له عمر : أفرَّ من قدر الله إلى قدر الله
لو أنَّ رجلاً هبط وادياً له عدوتان ، واحدة جدبة والأخرى خصبة
أليسَ إن رعى في الجدبَةِ رعى بقدر الله ، وإن رعى في الخصبة
رعى بقدر الله؟!

ثم لما جاءه من يخبره أنَّ رسول الله ﷺ قال :
«إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تقدموا عليه
وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»!

فسجد عمر شكرًا وقال : الحمد لله الذي جعل الحق على قلب

عمر

وصاحبنا في الحديث أساء التوكل على الله وأهمل
ما كان عليه أن ينام وراحته طلقة
ولو أنه ربطها ونام لأفاق ووجدها
فخذ بالأسباب ما استطعت إلى ذلك سبيلاً
ولكن لا تجعل يقينك على الأسباب
السيوف لا تحقق النصر ولكن ترك السلاح في المعارك بلا همة
والعمل لا يجعل الرزق ولكن تركه حمق
والدواء لا يشفي ولكن سبب أمرنا به
الناصر هو الله ، والرازق هو الله ، والشافي هو الله
ولكنها دار أسباب فلا تزهد فيها

الدرس الثالث،

الخطأ مردود!
فلا تقف للناس على المحرف واللفظة
الفرح الغامر يأخذ بالعقل ، والحزن الشديد يسلب الألباب
وهذا صاحبنا قال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك!
وهذه لفظة لو عناها فعلًا ل كانت كفراً بواحًا
ولكن انظر للرحمة المهدأة يُبرر حالي النفسية ويقول :
أخطأ من شدة الفرح!
فلا تُكفر بلفظة دون أن تراجع صاحبها فيها
فإنه قد يكون جاهلاً ، وقد يكون حزيناً وقد يكون فرحاً
وأنا لا أُبرر للكلام السيء حال الحزن أو الفرح

ولكنني أقول أننا بشر وقد لا نملك زمام قلوبنا وألسنتنا أحياناً
فإذا كان النبي ﷺ أحرص الناس على العقيدة
قد راعى حالة الرجل النفسية
فما بالنا نحن الذين دونه
وفي هذا درس آخر لنا وهو
لا تعطِّ وعداً في فرح شديد
في الفرح قد نعد بما لا نستطيع
وفي الحزن قد نهدد بما لا نقدر
دع غمرة الفرح تمضي وسورة الغضب تزول
ثم انظر في أمرك بعدها ولا تكن من تحركهم ردود الأفعال!

الدرس الرابع، مكتبة الرمحي أحمد

نقل الكفر ليس كفراً!
علينا أن نُميّز إن كان القائل يتبنّى المقوله أم ينقلها فقط
لا تخلط بين المُعتقد بالكلام وبين ناقله
فها هو النبي ينقل إلينا لفظة لا يعتقدُ بها وحاشاه أن يعتقد
وها هو القرآن ينقل إلينا كفر الأم السابقة :
ألم يقل رينا : «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن
أغنياء»!
وألم يقل أيضاً «وقالت اليهود يد الله مغلولة»!
وعلينا أن نحسن الظن بال المسلمين ، ونحمل كلامهم على الخير
إن كان يحتمل خيراً فالكلام حمال أوجه وله أكثر من معنى

وقد قال أحد الصالحين :

لورأيت أحد إخوانِي على جبل يقول : أنا ربكم الأعلى
لقلت يتلو الآية !

ولو رأيت لحيته تقطر خمراً
لقلت : لعلها سُكبت عليه !

أصحابُ الأخدود

روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :
كان فيمن كان قبلكم ملك ، وكان له ساحر
فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه
السحر
فبعث إليه غلاماً يعلمه
فكان في طريقه إذا سلك ، راهب
فقدع إليه وسمع كلامه فأعجبه
فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقدع إليه
إذا أتى الساحر ضربه
فسكا ذلك إلى الراهب
فقال : إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي
إذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر
فيبينما هو كذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس
فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟
فأخذ حجراً ، فقال :
اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه
الدابة
حتى يمضي الناس
فرماها فقتلها ، ومضى الناس
فأتى الراهب ، فأخبره
فقال له الراهب : أيبني ، أنت اليوم أفضل مني

قد بلغ من أمركَ ما ترى ، وإنك ستبتلى
فإن ابتليت فلا تدل علىَ

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص
ويداوي الناس من سائر الأدواء

فسمع به جليس للملك كان قد عمي ، فأناه بهدايا كثيرة
فقال ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيفي
قال : إني لا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله
فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاكَ
فأمان بالله ، فشفاء الله

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس من قبل
فقال له الملك : من رد عليك بصركَ؟

قال : ربِّي !

قال : ولك ربَّ غيري؟

قال : ربِّي وربِّك الله !

فأخذه ، فلم يزل يُعذبه حتى دلَّ على الغلام
فجيء بالغلام ، فقال له الملك :

أي بُنْيَ ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل
وتفعل

قال : إني لا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله
فأخذه فلم يزل يُعذبه حتى دلَّ على الراهب

فجيء بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى

فدعاه بالمنشار ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاء
ثم جيء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى

فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه
ثم جيء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى
فدفعه إلى نفر من أصحابه

فقال لهم : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل
إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإنما فاطر حوه
فذهبوا به فاصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت
فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك
فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

قال : كفانيهم الله

فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في مركب
فتتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإنما فاقذفوه
فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت
فانكفت بهم السفينة ، فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك
فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟

قال : كفانيهم الله

فقال للملك : إنك لست بقاتلني حتى تفعل ما أمرك به
قال : وما هو ؟

قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جذع
ثم خذ سهما من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس
ثم قل : باسم الله رب الغلام

ثم ارمي ، فإنك إذا فعلت ذلك قلتني

فجمع الناس في صعيد واحد ، وصلبه على جذع
ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس

ثم قال : باسم الله رب الغلام
 ثم رماه ، فوقع السهم في صُدُغِهِ
 فوضع يده في صُدُغِهِ في موضع السهم فمات
 فقال الناس : أمنا برب الغلام ، أمنا برب الغلام
 فأتَيَ الْمَلَكُ فَقَيْلَ لَهُ : أَرَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذِرُ
 قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرَكَ ، قَدْ أَمِنَ النَّاسُ
 فَأَمِرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَكِ فَخَدَّهُ ، وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ
 وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمَمْهُ فِيهَا ، فَفَعَلُوا
 حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعْهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَتَقَاعَسَتِ اُنْتَ تَقَعُ فِيهَا
 فَقَالَ لَهَا الْغَلامُ : يَا أُمَّهِ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ

الدرس الأول :

عجيبة هذه الدنيا ينبعُ فيها الضلال حيث لا تتوقع
 ابن نبي يُغرقُه الطوفان بكفره
 وزوجة نبي يصيّبها من العذاب ما أصابَ القوم بکفرها
 وأب نبي يعکف على عبادة الأصنام ويُرافق ابنه يُقذف في النار
 وتنبت الهدایة فيها حيث لا تتوقع أيضًا
 من صلب آزر يخرج إبراهيم عليه السلام
 ومن قصر فرعون يخرج موسى عليه السلام
 ومن سرير فرعون الذي قال : «أنا ربكم الأعلى» تخرج إحدى
 أعظم نساء الأرض
 لتصلبَ وتموت لاجل : سبحان ربِي الأعلى

الصبيُّ الذي أراده الملك ساحراً صار داعية
الصبيُّ الذي أراده الملك لإضلال الناس صار سبباً لهدايتهم
الصبيُّ الذي أراده الملك ليثبت أركان ملكه هزها
الصبيُّ الذي أراده الملك ليُظهر من خلاله قوته أظهر للناس ضعفه
البيوت ليست معادلات حسابية
البيوت ناس ، والناس لها قلوب ، والقلوب بيد الله
سبحانه يُضل حيث نعتقد أنه ليس غير الهدایة
ويهدي حين نظن أنه ليس إلا الضلال

الدرس الثاني:

أنت تريد ، وأنا أريد ، ويفعل الله ما يريد!
من كان يعتقد أن صبياً سيهزم أرجاء علقة!
من كان يعتقد أن حمزة عاشق الخمر سيصبح أسد الله
من كان يعتقد أن الذي هزم المسلمين في أحد سيصبح سيف الله
من كان يعتقد أن عكرمة الذي أهدر دمه يوم الفتح سيصبح قائداً
وشهيداً في اليرموك
من كان يعتقد أن الذي قتل مئة نفس سيقرب الله له الأرض
ليدخل الجنة
من كان يعتقد أن عمر الذي كان يصنع إلهاً من تمر يعبده ويأكله
سيصبح أعدل خليفة في التاريخ
طبعاً لأن أبا بكر شخص أكبر من التاريخ ولا يُقاس به أحد
من كان يعتقد أن الذي قتل حمزة سيقتل مسيلمة الكذاب!

عندما يريد الله حرباً يدهشنا بالأسلحة التي يختارها للمعركة!
صبي يهلك ملكاً!
ماء يُفرق قوماً!
بحر يُدمر جيشاً!
بعوضة تذل نروداً!
أرض تبلغ قاروناً!
مطر يقهر جباراً!
ريح تسحل ظلمة!
طيور صغيرة تطحن أبرهه
لا يحتاج أكثر من لفظة سبحانه
يكفي أن يقول للشيء كن ليكون
هذا القوي ، كن معه ، لتكون
كن كما يريد ، ليكون لك كما ت يريد
الذى أهلك ملكاً ، قادر على أن يهلك حزنك
والذى بدد جيشاً ، قادر على أن يبدد يأسك
والذى رد طاغية وفيلاً ، قادر على أن يرد أملك
فقط أره أنك له ليريك أنه لك!

عجب أمر الإيمان
يقضى الإنسان عمرًا في الكفر والضلالة
ثم في لحظة يمحو الإيمان كل شيء
حتى لنكاد تعتقد أن هذا المؤمن الجديد ما عرف الكفر في حياته
أبداً

كان الناس يعبدون الملك دهرًا
جيلاً بعد جيل ليس لهم رب سواه
ثم بمجرد أن مات الصبي انتقلوا بلحظة من الكفر إلى الإيمان
يُحرف لهم أُخدود وتوقد لهم النار
فيقذفون في اللهب لا يردهم عن دينهم شيئاً
كأنما ولدوا في الإيمان وعاشوا فيه
وزير الملك الأعمى كان من الحاشية
وأفني عمره في تعبيد الناس للملك وتزيين الكفر لهم
ثم هي لحظة إيمان واحدة
يوضع المشار عند مفرق رأسه
ويُنشر حتى يُفلق قطعتين فما يترك دينه!
وهو لاء سحرة فرعون

جاء بهم من كل أرجاء مصر بناءً على معرفته السابقة بهم
منهم خدمه وحاشيته ، يعملون بأمره ويتصرون رهن إشارته
ثم هي لحظة إيمان
خرروا جميعاً ساجدين مؤمنين برب موسى وهارون

يُهددهم فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف
ووصلبهم في جذوع النخل
فهل لأنوا أو جزعوا أو خضعوا
يستحيل أن يفعلوا وقد غيرهم الإيمان في لحظة
فقالوا لفرعون : «اقضِ ما أنتَ قاضٍ إِنَّا تَقْضِيَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»!
أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء معلقين على جذوع النخل
وهذا عمر بن الخطاب بتاريخ حافل بالصدق عن دين الله
ثم تصيبه دعوة النبي ﷺ اللهم أعز الإسلام بأحد العُمرَيْنِ
فيقول له فوراً ألسنا على حق وهم على باطل يا رسول الله؟
فيقول له بلى

فيقول فلماذا نرضى الدنيا في ديننا!
هكذا بلحظة من أقصى الكفر إلى أقصى الإيمان
عجب هذا الإيمان ماذا يفعل في النفوس!

الدَّرْسُ الْخَامِسُ :

الكرامات تقع للأولياء بإجماع الفقهاء
ولا سبيل لإنكار هذا إلا من باب المحو والتغطية
وإن كنا نؤمن بهذا يقيناً فلا تتوسع فيه حد السذاجة
إن هذا الدين وإن كان يخبرنا أن الكون بيد الله
 فهو بالمقابل دين واقع عملي يحثنا على الأخذ بالأسباب متى
استطعنا
فنقف في أمور الكرامات بين المصدق إن صحَّ الأثر

وبين المخدر أن لا تُحدث بكل ما نسمع فتنقل الناس من العقل إلى
السذاجة

وقد صحت الأخبار بوقوع الكرامات لكثير من أولياء الله
والكرامة من حيث الاصطلاح أمر خارق للعادة يظهره الله على يد
عبد صالح من عباده

وهي من حيث التعريف الاصطلاحي لا تختلف عن المعجزة
ولكن الكرامة خاصة بالأولياء بينما المعجزة خاصة بالأنباء سلام
الله عليهم

وما وقع للصبي في هذه القصة كرامات تشبه معجزات عيسى عليه
السلام

فقد كان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي من الأمراض بإذن
الله

من كرامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما رواه أهل السير عن فتح مصر
فلما فتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص فقالوا له :
أيها الأمير إنّ لنيلنا هذا سُنّة لا يجري إلا بها
فقال لهم : وما ذاك؟

قالوا : إنّا إذا كانت ثلاثة عشرة ليلة من هذا الشهر
عدمنا إلى جارية بكر فارضينا أباها بالمال
وحملنا عليها من الخل والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناهما في
النيل

قال لهم عمرو : إن هذا شيء لا يكون في الإسلام فهو يهدم ما
قبله

فأقاموا ثلاثة أشهر والنيل لا يجري !

فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمر النيل وأهل مصر
فكتب إليه عمر يقول : إنك أصبت وإن الإسلام يهدم ما قبله
واني بعثت إليك كتاباً داخل كتابي هذا فادفعه إلى النيل !
فلما فتح عمرو بن العاص رسالة عمر إلى النيل فإذا فيها
من عبد الله عمر بن الخطاب إلى نيل مصر ، أما بعد :
فإن كنت تجري بأمرك فلا حاجة لنا بك
وإن كنت تجري بأمر الله فنسأله مجريك أن يُجريك !
فلما ألقاها عمرو بن العاص في النيل أجرأه الله حتى فاض ليتلها
ومنذ تلك اللحظة ما جف نيل مصر !
ومن كراماته عَزَّلَهُ اللَّهُ عَزَّلَهُ أن زلزلة وقعت في المدينة
فضرب عمر الأرض بذرته وقال :
يا أرض اسكنني ، ألم أعدل عليك ؟!
فسكنت من فورها
وما يروى من كراماته عَزَّلَهُ اللَّهُ عَزَّلَهُ أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن عباس
وقال له : إني أشكو في يدي جرحاً
و كنت قد شكت مثله لعمر بن الخطاب يوم كان بيننا
فوضع يديه على يديه وقرأ الفاتحة فشفيت
فوضع ابن عباس يده على يد الرجل وقرأ الفاتحة فلم تشف
فقال ابن عباس الفاتحة هي الفاتحة ولكن أين يد عمر ؟!
ومن كرامات العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَزَّلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أن الأرض أجدبت عام الرمادة في زمن عمر بن الخطاب
فخرج عمر بالناس لصلة الاستسقاء ومعه العباس
فامسكه من ذراعه وقال : اللهم إننا نتقرب إليك بعم نبيك

فإنك القائل وقولك الحق : «أَمَا الْجَدَارُ فَكَانَ لِفَلَامِينْ يَتِيمِينَ فِي
الْمَدِينَةِ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا»

فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ الله نبيك في عمه

فقد دلتنا به إليك مستشفعين ومستغفرين

ثم قال للناس : «اسْتَغْفِرُوكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا يَرْسِلُ السَّمَاءَ
عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا»

فوقف العباس يدعو وعيناه تذرفان

حتى نشأت سحابة فأمطرت وبلغ المطر إلى الركب

فلاذ الناس بالعباس يقولون : هنئنا لك ساقى الحرمين

وعند هذا الحد أكتفي ، والقصص كثيرة

ولم يكن المراد سرد القصص إنما جاءت الكرامات في ثنايا الحديث

فهذا ما كان حتى لا يخرج الكتاب على غير ما أريد به !

الدُّرْسُ السَّادُسُ :

حُفِّتُ النَّارُ بِالشَّهْوَاتِ وَحُفِّتُ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ

وإن طريق الجنة وعرا صعبة إلا من يسرّها الله له

وقد قضت سنة الله في الكون أن يذوق أهل هذا الدين أصناف

العذاب

ليس عجزاً منه سبحانه عن الدفاع عنهم معاذ الله

ولكنه يعلّي للظالم ويرفع المؤمن

وإنه لما ذهبت خديجة رضي الله عنها بالنبي ﷺ إلى ورقة بن

نوفل

قال له : ليتني أكون حيَا إذ يخرجك قومك فلأنصرنَك نصراً عزيزاً
فيسألُه النبي ﷺ باستغراب : أومخرجيَّ هم ؟

فقال له : ما جاء أحدٌ بِمِثْلِ مَا جئت به إِلَّا عُودِي !

هذا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُلْقَى فِي النَّارِ

وهذا يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنْشَرُ بِالْمَنْشَارِ

وهذا نَبِيٌّ يَرْجِمُهُ قَوْمُهُ فَيَمْسُحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ :

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِيِّ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وما التَّعذِيبُ الَّذِي لَاقَاهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ إِلَّا حَلْقَةُ فِي
سَلْسَلَةِ طَوِيلَةٍ

ما قامَ هَذَا الدِّينُ إِلَّا بِالدَّمَاءِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْتَّضْحِيَاتِ

وَحَسِبْنَا مَا فَعَلَ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ بِبَلَالِ بْنِ رَبَاحٍ

وَقَدْ رُوِيَ الْبَخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ قَالَ :

شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ مَتَوَسِّدٌ بِرَدَّةٍ لَهُ فِي ظَلِّ الْكَعْبَةِ ، قَلَنَا لَهُ

أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟ أَلَا تَدْعُ اللَّهَ لَنَا ؟

فَقَالَ : كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ ، يَحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهَا

ثُمَّ يُؤْتِي بِالْمَنْشَارِ فَيُوضِعُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَيَجْعَلُ نَصْفَيْنِ !

وَيُعْشِطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصْبٍ

وَمَا يَصْدِهُ ذَلِكُ عنْ دِينِهِ

وَاللَّهُ لِيَتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى
حَضْرَمَوْتَ

لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهُ أَوْ الذَّئْبَ عَلَى غَنْمَهُ ، وَلَكُنْكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ !

الدرسُ السابِعُ

قد يفوق التلميذُ أستاذُه
وأغلب العلماء الذين نعرفهم تلاميذُ لأساتذة لا نعرفهم!
فلا تخرج إن فاقدَ تلميذك
فإنه وإن كان أشهرَ منك ، فإنه صدقةٌ جاريةٌ لك!
وفي القصة فاق التلميذُ أستاذُه
فإن كان الراهب قد انزوى في الجبال
فإن الغلام كان يعود برجليه كلَّ مرَّةٍ إلى الملك
وإن كان الراهب قد طلب من الغلام إخفاء أمره مخافة القتل
فإن الغلام قد أرشدَ الملكَ لطريقة قتله
وإن كان لسببٍ علمناه في القصة
ولكن يُحسب للراهب أن دلَّ الغلام على الطريق!
لن نبلغُ الكمال حتى نكونُ أكبرَ من ذواتنا
حتى نتمنى أن يظهرَ الحق ولو بغيرِ أيدينا
ويُقام العدل ولو بغيرنا
ولا تخف على حظك ، هذا دين الدال على الخيرِ كفاعله!

الدرسُ الثامنُ

ساعدَ محتاجاً ولو بالقليل
وسدَّ جوعاً ولو برغيف
وخففَ ألمًا ولو بشمن علبة دواء

وأصلح خلافاً ولو بكلمة حلوة

الالتفات إلى البسطاء والمحاجين والمقهورين لا يشغل عن الدعوة

بل إنه دعوة

كيف نكسب الأجساد إن لم نكسب القلوب

وهذا الغلام في القصة أراد له ربه دوراً عظيماً

إخراج الناس من عبادة الملك إلى عبادته سبحانه

ولكن هذا الأمر لم يشغله عن الناس

على العكس تماماً كان مع المرضى والمحاجين والضعفاء

إن الناس متى أحبونا أحبوا دعوتنا

إذا كنا نماذج سيئة فما المغري للأخرين أن يتركوا ما هم عليه

ليشبّهونا مكتبة الرمحي أحمد

كونوا مميزين بأخلاقكم ، لطفاء بتعاملكم ، ذواقين بكلامكم

وقد صدق القائل يوم قال :

ليس المهم أن يكون في جيبك مصحفاً

المهم أن تكون في أخلاقك آية !

المراةُ التي وعظتْ عالماً

جاء في موطأ الإمام مالك عَنْ عَبْرَةَ اللَّهِ عن القاسم بن محمد أنه قال :
ماتت امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها
فقال : إنه كان فيبني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد
وكان له امرأة ، وكان بها معيجبا ، ولها محبا
فماتت ، فوجد عليها وجداً شديداً ، ولقي عليها أسفًا
حتى خلا في بيته ، وغلق على نفسه ، واحتجرب من الناس
فلم يكن يدخل عليه أحد
وإن امرأة سمعت به فجاءته
فقالت : إن لي إليه حاجة أستفتنه فيها
وليس يجزيني فيها إلا مشافته
فذهب الناس ولزمت بابه
وقالت : مالي منه بد
فقال له قائل إنها هنا امرأة أرادت أن تستفتنه
وقالت : إن أردت إلا مشافته
وقد ذهب الناس وهي لا تفارق الباب
فقال ائذنا لها
فدخلت عليه ، فقلت : إني جئتكم أستفتكم في أمر
قال : وما هو ؟
قلت : إني استعرت من جارة لي حلياً
فكنت ألبسه وأعيشه زماناً ، ثم إنهم أرسلوا إلى فيه
أفأؤديه إليهم ؟

فقال : نعم والله

فقالت : إنه قد مكث عندي زماناً

فقال : ذلك أحق لردى إياه إليهم حين أغاروك به زماناً

فقالت : يرحمك الله ، أفتأسف على ما أغارك الله ثم أخذه منك ،

وهو أحق به منك !؟

فأبصرا ما كان فيه ونفعه الله بقولها !

الدرس الأول :

قالت العرب قدِيماً :

لكل حسام نبوة ، ولكل حليم هفوة ، ولكل كريم صبوة ، ولكل جواد
كبوة !

وهذا من أعقل ما قالته العرب !

فنحن بشر ومن الطبيعي أن يخرج قطار تصرفاتنا عن مساره أحياناً
وإنك لترى الحكيم حلال مشاكل الناس غارقاً في مشكلة

وترى التقى قد أصاب معصية

وترى الكريم الججاد قد قارب البخل مرة

وترى الحليم قد تملكته سورة الغضب

فلا تقع تارياً حافلاً بالمروة بموقف عابر

فمن قواعد الفقه أن الماء إذا كثُر لم يعد يحتمل الخبث !

وإن بعض الناس كالبحار والأنهار خيراً وعطاءً

فتذكّر ماضيهم الناصع إذا بدر منهم تصرف شنيع يتيم

كتب حاطب بن أبي بلتقة وهو من أهل بدر إلى قريش

يخبرهم بنية النبي ﷺ التوجه إلى مكة لفتحها
رغم أنه ﷺ أوصى أن يبقى هذا الأمر سراً
ثم إن جبريل عليه السلام أخبر النبي ﷺ بالأمر
فأرسل في طلب الكتاب من المرأة التي أرسل معها حاطب الكتاب
ولما صار الكتاب عنده وعاتب حاطباً في هذا
أخبره حاطب أنه رجل له أهل بمكة
وقد غلب على ظنه أنه إن تودد إليهم بهذا أن يرفقوا بهم
وهذا بفهم الحرب يُعتبر خيانة عظمى!
لهذا طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تقطع رقبة حاطب
ولكن النبي الرحمة ما كان لينسى تاريخاً مشرقاً
بتصرف واحد مشين وقال لعمر:
لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ
لكم!

عمر نفسه الحافظ لكتاب الله الوقاف عند آياته
ثار في المسجد يوم وفاة النبي ﷺ
وأراد أن يبطش بكل من زعم أن النبي ﷺ مات
معتقداً أنه ذهب لزيارات ربه كما فعل موسى عليه السلام
ولكن لما تلا الصديق رضي الله عنه قول الله تعالى:
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتُلَ
انقلبتِ
عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾
حتى علم أنه قدر الله ولا دافع له
وقال بعد ذلك: فكأنني لم أسمع الآية من قبل

فهل من العدل أن نمحو تاريخ عمر الحافل بالفهم العميق للإسلام
قبل خلافته وبعدها بموقف عابر سببه حبه للنبي ﷺ

الدرس الثاني:

إياك واحتقار النساء!

فهذا من الذكورية وليس من الرجولة!

في موقف ما تساوي امرأة واحدة ألف رجل

وفي مشاكل كثيرة يصعب رأي امرأة أرجح من رأي ألف رجل
المرأة إنسان له عاطفة جيّاشة وقلب كبير

وهذا لا يعني أبداً أنها قليلة عقل

فإن كانت توصف أنها عاطفية فهذا مدح لا ذم

أي ذم في أن نصف مخلوقاً بأنه رقيق وحساس ومُحب
ولكن من قال أن العاطفة تُلغى العقل؟!

إننا لو قلنا بهذا فيجب أن نقول بالمقابل

أن الرجل لا قلب لديه

وهذا ظلم للرجل تماماً كما المعنى الأول ظلم للمرأة

وإن كان الله غالب عاطفة المرأة على قدراتها الأخرى

فالأمر سبحانه أراد لها دوراً في الحياة أجمل من الحكم والقضاء

إنها وظيفة تربية الحكام والقضاة!

وإن كان غالب عقل الرجل فلأن الحياة فاسية

وتحتاج في كثير من المواقف إلى حزم وشدة

وإن البيوت الناجحة هي التي تُرقق فيها المرأة عقل الرجل

ويشدُّ عقل الرجل قلب المرأة
الحياة كمعادلة حسابية تغدو ملة
كما أنها كرواية عاطفية تغدو غير واقعية
ومن حكمته جلَّ في علاه أن خلق المرأة لتكميل الرجل
وخلق الرجل ليكمل المرأة
عندما يعرف الرجل أن المرأة أرق منه في المشاعر
فلا ليزدرى عقلها وإنما ليكون حريصاً على مشاعرها وهو يُحَكِّم قلبه
وعندما تعرف المرأة أن الرجل أملكَ لعقله منها لأنَّه أقل عاطفة
فلا لتنظر إليه على أنه مخلوق قاسٍ
وإنما لتفهم أن بعض القضايا تحتاج إلى حسم أكثر من حاجتها إلى
مداراة!

الدرسُ الثالث،

لا يوجد إنسان معصوم إلا الأنبياء
والناس بعد ذلك يتفاوتون في اقتراف الأخطاء كل حسب عقله وقلبه!
نحن بشر ولسنا ملائكة ولا أنبياء
هذا المفهوم يجب أن لا يغيب عن بالنا وننحن نتعامل مع بعض
علينا أن نفهم أن الناس عقول ومشارب وأراء مختلفة
فقد أرى ما لا تراه ، وقد ترى ما لا أراه
فيجب أن أعذرك فيما ترى ، ويجب أن تعذرني فيما أرى
وأن لا نجلس لبعضنا على الزلة والخطأ كأننا أولياء رقاب الناس
وقد قال سفيان بن حُسْين :

ذكرتُ رجلاً بسوءٍ عند إبياس بن معاوية
فنظرَ في وجهي وقال : أغزوت الروم؟
قلتُ : لا

قال : فالسنّد والهند والترك؟
قلتُ : لا

قال : أفتسلمُ منك الهند والسنّد والترك والروم
ولا يسلم منك أخوك المسلم؟

ثم منذ متى والناس يتافقون في كل شيءٍ
لو اتفقت العقول ما كانت الاجتهدات الفقهية والأراء
وإن في الاجتهدات والاختلافات هذه لرحمه
لو وافق الإمام أحمد أستاذ الشافعي في كل أمر ما كان صاحب مذهب
ولكنه وهو يخالف أستاذه يعرف فضله
والأمور لا تحتاج دوماً إلى أستاذ وتلميذ
وإنما كان من أدب علماء الأمة أن يعذر الأقران بعضهم
وهذا أحمد بن حنبل يقول : لم يعبر الجسر من خراسان مثل ابن
راهوية

وإن كان يخالفنا في أشياء
فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً
وهذا يونس الصدفي يقول كما في سير أعلام النبلاء :
ما رأيتُ أعقل من الشافعي
ناظرته يوماً في مسألة فلم تتفق وافترقنا
فلقيني بعدها ، فأخذ بيدي وقال لي :
يا أبا موسى ألا يستقيم أن تكون إخواناً وإن اختلفنا في مسألة!

قصة واحدة تُغنى عن ألف درس!
ألا وإن ثلث القرآن قصص!
وإنها ليست للمرة والتسلية وإنما دروس شِيَقة!
إن الله إذ أراد أن يعلمنا العفة
حدثنا عن يوسف عليه السلام
وإذ أراد أن يعلمنا الثبات
حدثنا عن سحرة فرعون
وإذ أراد أن يعلمنا كيف تكون إجابة الدعاء
حدثنا عن نوح وذريه عليهما السلام
وإذ أراد أن يعلمنا كيف يُراوغ العصاة
حدثنا عن بقرةبني إسرائيل
وإذ أراد أن يعلمنا عاقبة جحود النعمة
حدثنا عن صاحب الجنتين
وإذ أراد أن يعلمنا البر
حدثنا عن إسماعيل عليه السلام
وإذ أراد أن يحدثنا عن نصرة عباده
حدثنا عن نار إبراهيم وبحر موسى عليهما السلام
وإذ أراد أن يعلمنا عاقبة البخل
حدثنا عن أصحاب الجنة
وإذ أراد أن يعلمنا كيف يكون انتقامه
حدثنا عن ثمود وعاد وقوم لوط

وإذ أراد أن يُعلمنا الحكمة
حدثنا عن لقمان

وإذ أراد أن يُعلمنا عاقبة البُخلِ والكِبْرِ
حدثنا عن قارون

وإذ أراد أن يُعلمنا حبَّ الْأَخْ لأخيه
حدثنا عن موسى وهارون عليهما السلام

وإذ أراد أن يُعلمنا أن البغض يأتي من الأقرباء أحياناً
حدثنا عن إخوة يوسف

وإذ أراد أن يُعلمنا ما تفعل الشهوة الحرام
حدثنا عن زليخة

وإذ أراد أن يُعلمنا قدرته في إحياء الموتى
حدثنا عن حمار عزير وطيور إبراهيم عليهما السلام

وإذ أراد أن يُعلمنا كيف يختار جنوده بدقة
حدثنا عن طوفان نوح وأصحاب الفيل

وإذ أراد أن يُعلمنا عن عقوق الأبناء
حدثنا عن ابن نوح

وإذا أراد أن يُعلمنا عن الحسد
حدثنا عن قابيل وهابيل

وإذا أراد أن يُعلمنا عن حمق الطواغيت
حدثنا عن فرعون والنمرود

للقصة منزلة عظيمة في النفس البشرية

وهي كما نرى وسيلة تربية ووعظ وتنقيف للكبير قبل الصغير
فلا تزهد بها ، إن قصة واحدة تساوي ألف موعظة!

إن في قصص الأولياء عزاءً!
أيها الأب الذي يعاني عقوب ابنه ، تعزَّ بنوح عليه السلام
أيها الابن المبتلى بعصيان أب ، تعزَّ بابراهيم عليه السلام
أيها الزوج المبتلى بزوجة سيدة ، تعزَّ بلوط عليه السلام
أيتها الزوجة المبتلة بزوج سيء ، تعزَّ بآسيا زوجة فرعون
أيها المبتلى بالمرض ، تعزَّ بأيوب عليه السلام
أيها المبتلى بالفقد ، تعزَّ بيعقوب عليه السلام
أيها المبتلى بظلم الإخوة ، تعزَّ بيوسف عليه السلام
أيها المبتلى بعم مؤذٍ ، تعزَّ بمحمد ﷺ
إن كان هؤلاء لا يصلحون عزاءً بنظرك
فلا شيء في الأرض سيعزيك
 وإن السخط على قدر الله لن يرفعه
ولكنه يجمع الإثم والعقاب
 وإن الرضا بقدر الله قد لا يرفعه
ولكنه يُضاعف في الأجر ويُرفع في المنزلة!

ناقة صالح عليه السلام

روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر ، قال :
لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال :
لا تسألو الآيات ، وقد سألها قوم صالح
فكانت تردد من هذا الفج ، وتصدر من هذا الفج
فعتوا عن أمر ربهم فعקרוها
فكانت تشرب ماءهم يوما
ويشربون لبنها يوما
فعקרוها فأخذتهم صيحة ، أهمد الله عز وجل من تحت أديم السماء
منهم
إلا رجلا واحدا كان في حرم الله عز وجل
قيل من هو يا رسول الله ؟
قال : هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه !

الدرس الأول

في طريقه إلى غزوة تبوك مر النبي ﷺ بالحجر
وهي القرية التي كانت تسكن فيها ثمود
فنزل بالجيش على مقرية منها
فعمد أصحابه إلى الآبار التي كانت تشرب منها ثمود
فانتشلوا الماء ، ونصبوا قدور الطعام ليطبخوا
وعجنوا الدقيق ليخبزوا

فلما جاءهم رسول الله ﷺ أمرهم أن تُراق القدور
 وأن يُعلف العجِين لِلإبل
 فقد كره أن يرِدَ المسلمون مورد ثمود
 وأن يشربوا من ماء شرب منه قوم مسَّهم عذاب
 يُعلَّمنا ﷺ أن هذا الدين واحد وإن اختلفت شرائعه!
 ويُعلَّمنا البراءة من الظالمين أمواتهم قبل أحيايهم
 ويُعلَّمنا أن هذا الدين ضارب في الزمن ، طاعن في العمر!
 وأنَّ الحقَ لا يبْهَت ولو طوته الأيام
 وبالباطل لا يُقْرَأ ولو تعاقبَتْ عليه السنوات
 إنَّ القصة ليست قصة قدور وعجين
 بقدر ما هي قصة براءة من كل ظلم وطغيان وكفر!

الدُّرْسُ الثَّانِي :

ثم إنَّه ارتحل بهم إلى البَشَرِ الذي كانت تشربُ منه النَّاقَةُ
 فأشار لهم إلى الطريق التي كانت النَّاقَةُ تأتي منه
 وإلى الطريق الذي كانت تغادرُ منه
 وأخبرهم أن الماء كان قسمةً بين النَّاقَةِ وثِمود
 تشربُ هي من البَشَرِ يوماً
 ويشربُونَ هم منها يوماً
 وكانوا في اليوم الذي لا يقدمون فيه إلى البَشَرِ
 يأخذونَ من لبنها ما يكفي القبيلةَ كلها
 ولكن الجحود طبيعة في الناس!

فبدل الشكر على هذه النعمة
وبدل التصديق بنبיהם الذي أخرج من الصخر الميت ناقة حية
أجمعوا أمرهم أن يذبحوها

وتولى الأمر سيدهم الذي كان في وجهه حمرة
وفي حديث الإمام أحمد في المسند أن رسول الله ﷺ
قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أحدثك بأشقي رجلين؟
فقال : بلني يا رسول الله
قال : أَخِيمُ ثمود الذي عقر الناقة
والذي يضربك على هذه ، وأشار إلى رقبته!

الدرس الثالث

لما عقروا الناقة ، أوحى الله إلى صالح عليه السلام أن يخبرهم
أن العذاب سيحل بهم بعد ثلاثة أيام
وفي اليوم الثالث جاءتهم الصيحة فهلكوا جميعاً
من كان منهم حاضراً في الحجر
ومن كان منهم غائباً لسفر عزم عليه ، أو حاجة خرج ليقضيها
إلا رجل واحد يُكنى بأبي رُغال
فإنه كان في الكعبة ، فلم يهلك أول الأمر
ثم إنه لما غادرها ، أصابه ما أصاب القوم !

تَحْمِينُ الْفَرْصَةَ لِلْدُعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ الْأَيَّامَ فِي تَقْلِبٍ مُسْتَمِرٍ
وَإِنَّ النَّاسَ أَسْمَعُ لِلْعَزْةِ الْمُرْتَبَطَةِ بِالْحَدِثِ الَّذِي نَزَّلَ بِهِمْ مِنْ غَيْرِهَا
وَهَذَا مِنْ فَقْهِ الْأَنْبِيَاءِ وَذِكْرَهُمْ

فَهَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يُسْتَغْلِلُ حَدِثُ مَرْوُرِ الْجَيْشِ فِي الْحَجَرِ لِيُخْبِرُهُمْ بِمَا حَدَثَ
وَلَمْ يَكْتُفِ أَنْ يُخْبِرُهُمْ بِالْقَصَّةِ بِشَكْلِ عَامٍ
بَلْ إِنَّهُ صَحْبُهُمْ إِلَى الْبَئْرِ الَّذِي كَانَتْ تَشْرُبُ مِنْهُ النَّاقَةُ
فَأَشَارَ لَهُمْ إِلَى طَرِيقِ قَدُومِهَا وَطَرِيقِ مَغَادِرِهَا
الْمَطْرُ فَرْصَةٌ لِنَحْدِثِ النَّاسَ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

وَالْمَوْتِ فَرْصَةٌ لِنَحْدِثُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ بِيَقْنِي
وَالزَّوْجُ فَرْصَةٌ لِنَحْدِثُهُمْ أَنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ أَنَّ خَلَقَ لَنَا مِنْ أَنفُسِنَا
أَزْوَاجًا

وَالوِلَادَةُ فَرْصَةٌ لِنَحْدِثُهُمْ عَنْ كَرَمِ اللَّهِ وَعَطَائِهِ وَفَضْلِ الشَّكْرِ
وَالْكَوَارِثُ فَرْصَةٌ لِنَحْدِثُهُمْ عَنْ قَدْرَةِ اللَّهِ وَغَضْبِهِ وَفَضْلِ الصَّبْرِ
الْخُسُوفُ وَالْكَسْوَفُ فَرْصَةٌ لِنَحْدِثُهُمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ بِيَدِ اللَّهِ
الْأَعْيَادُ فَرْصَةٌ لِنَحْدِثُهُمْ أَنَّ الْأَعْيَادَ فِي الْإِسْلَامِ مَقْرُونَةٌ بِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ
فَعِيدُ الْفَطْرِ يَعْقِبُ الصِّيَامَ ، وَعِيدُ الْأَضْحَى يَعْقِبُ الْحَجَّ!

تَخْيِيرٌ وَقْتِ النَّصِيحةِ وَمَضْمُونُهَا

لَا تُحَدِّثُ النَّاسَ عَنِ الْمَوْتِ فِي فَرَحٍ

وَلَا تُحَدِّثُ النَّاسَ عَنِ الْفَرَحِ فِي مَوْتٍ

كَنْ فَطَنًا لَمَاحًا وَتَذَكَّرَ أَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا!

الدرس الخامس:

الكعبة كانت قبل إبراهيم عليه السلام

بنتها الملائكة قبل هذا بكثير

والراجح من أقوال الفقهاء أنها هدمت في الطوفان

فبقي بعد ذلك مكاناً معظماً وإن لم يكن مشيداً

وكان لا يظهر منها إلا أساساتها

وعليها بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة كما كانت

وهي تفسير قول الله تعالى «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من

البيت»

ولا خلاف عند المسلمين في هذا ، وهذه القصة تؤكد هذا الاتفاق

فإن ثمود كانوا قبل إبراهيم عليه السلام

وهذا الشقي أبو رغال إنما عصم من الهلاك أول الأمر

لوجوده قريباً من الأساسات التي بقيت من الكعبة بعد الطوفان

الدرس السادس:

إن كان الله تعالى لم يأخذ أبا رغال كما أخذ قومه كرامة للكعبة

وهي يومها لم تكن مشيدة

فليعلمنا أن نعظم شأن الكعبة وشأن من فيها

وإذا كان الله سلم الشقي فيها

فمن باب أولى أن نسلم نحن المؤمنين فيها!

فهي ليست مكاناً للتحرش وإن كثرت فيها النساء

يقول أحد التائبين :

سبب توبتي امرأة تحرستُ بها عند الكعبة

فقالت لي : يا هذا ، جئنا من آخر الأرض لنغسل خطابانا هنا

فأين ستفصل أنت خطاباك؟!

وليس مكاناً للشهرة وطلب السمعة في حق

وأولى أن لا تكون في باطل

كما فعل الأعرابي الأحمق الذي بال في بشر زمزم طلباً للشهرة!

والكعبة ليست مكاناً للغزل والمحبون وإن قصده الجميلات

ومن طريف ما يُروى في هذا

ما حدث مع الشاعر الأموي الشهير عمر بن أبي ربيعة

فقد قدمت امرأة فائقة الجمال إلى مكة تريد الحج

فلما ذهبت لرمي الجمرات

رأها عمر بن أبي ربيعة ففتن بها

فتعرض لها فلم تجده

فلما كانت الليلة الثانية تعرض لها

فصاحت به قائلة : إليكَ عني فإننا في حرم الله يا أحمق!

ولما كانت الليلة الثالثة خشيت أن يتعرض لها أيضاً

فقالت لأخيها : أخرج معي فأرني المناسك

فلما رأى عمر بن أبي ربيعة أخاه معها مكث في مكانه ولم

يتعرض لها

فأنشدت قائلة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له

وتتقى صولة المستأسد الضاري

فلما سمع أبو جعفر المنصور هذه القصة قال :

وددت لو أنه لم يبقَ فتاة من قريش إلا سمعت بهذا الخبر
والكعبة ليست مكاناً لفضنَ الخلافات السياسية وإراقة الدماء
كما فعل الجريء على الدماء الحجاج بن يوسف الثقفي مع عبد
الله بن الزبير

والقصة باختصار أن عبد الله بن الزبير

وقف في وجه يزيد بن معاوية حين ورث الحكم عن أبيه
فلما مات يزيد وُحِيَّ ابنه تولى الحكم مروان بن الحكم
فاستفحَل أمر ابن الزبير وحكم الحجاز واليمن وخراسان وبعض
العراق

إلى أن مات مروان بن الحكم وخلفه ابنه عبد الملك

فسائل أهل الشام : من لا بن الزبير منكم ؟

فقال الحجاج : أنا له يا أمير المؤمنين

فحاصر الحجاج ابن الزبير في الكعبة زهاء سبعة أشهر

وكان من جرأته على الله أنه رمى الكعبة بالمنجنيق !

فتفرق الناس عن عبد الله بن الزبير ، فدخل على أمه

الصَّدِيقَةَ بنت الصديق أسماء بنت أبي بكر ، وقال لها

يا أماه ؛ قد خذلني الناس ، حتى ولدي وأهلي

ولم يبقَ معي إلا يسير ، والقوم يعطونني ما أرددتُ من الدنيا

يقصد أن بني أمية يُساومونه حتى يترك لهم هذا الأمر ، فما رأيك ؟

فقالت له يا بني أنت أعلم بنفسك

إن كنت تعلم أنك على الحق فامضِ فيه ، فعليه قد قُتل من كان

معك

وإن كنت تريد الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك ومن معك!
وإن قلت : إني على الحق ولكن أصحابي تفرقوا عنِي
فهذا ليس فعل الأحرار ، فكم خلودك في الدنيا؟ القتل لك خير!
فقال لها يا أماه أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي
فقالت : يا بني لا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها
فقال لها : هذارأيي الذي قمت به داعيًّا إلى يومي هذا
ما ركنت إلى الدنيا ولا لأجلها خرجت
وما دعاني لهذا إلا الغضب لله وأن تستحل حرماته
وقد أحببت أن أسمع رأيك ، وما زدتني إلا بصيرة
واني مقتول من يومي فاصبرني!
فقاتل حتى قُتل ، فقطع الحجاج رأسه وأرسله إلى عبد الملك!
ثم أرسل في طلب أسماء فرفضت أن تأتيه
فقال : أخبروها لتأتيني وإلا سحبتها من قرونها
فقالت : والله لا آتيه حتى يبعث من يسحبني من قروني!
فجاءها الحجاج بنفسه وقال لها : إن ابنك أخذ في الحرم!
فقالت له : كذبت يا حجاج!
كان أول مولود ولد للمسلمين في المدينة
وفرح به رسول الله ﷺ وحنكه بيده
وكتب المسلمين يومئذ تكبيرًا ارتجع له المدينة
وها أنت تفرح وأصحابك بمقتله
ومن فرح بولده خير من فرح بمقتله!
ثم قالت للحجاج والذى بعث محمدا بالحق إنى سمعت رسول
الله يقول

يخرج من ثقيف كذاباً ومبيراً / أي سفاحاً
وإن الكذاب قد عرفناه فقد كان المختار الثقفي
وأما المبير فما أحسبه إلا أنتَ

فما نبسَّ الحجاج ببنتِ شفة ، وخرج من عندها ولم يرجع !
وقيل لعبد الله بن عمر : إنَّ أسماءَ في ناحيةَ المسجد
فخرج إليها ولقيها فقال لها : يا أمَّاه
إن الجثث ليست بشيء ، وإنما الأرواح عند الله فاصبرِي !
فقالت : وما يعنِي أن أصبر
وقد أهدى رأس يحيى بن زكريا عليه السلام إلى بغيِّ من بغايا بني
إسرائيل

ثم قالت قولتها المشهورة : أما آن لهذا الفارس أن يترجل ؟!
فبلغت الحجاج ، فخجل وأمر بعد الله أن يُفكَّ من الصليب
فأخذته وغسلته ودفنته !

هاجر وإسماعيل

هذه قصة طويلة متشعبة تكثر فيها العبر وتتعدد فيها الوقفات
والدروس

وقد ارتأيتُ أن أخرج فيها عن النمط المعتمد في هذا الكتاب
فقد كنتُ أسردُ القصة ثم أضع لها دروساً وفوائد
لما غالب على ظني القاصر وعلمي القليل أنها تصلح
ولكن في هذه القصة بدا لي أن لا أسردُها دفعة واحدة
وإنما أعرضُ للقصة شيئاً فشيئاً فإذا وجدتُ الحاجة للتوقف
واستخلاص عبرةٍ أو درسٍ توقفتُ ثم تابعتُ وهكذا
والله المُسْدُدُ عليه التُّكَلَانُ

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال :
أول ما اتَّخذَ النَّسَاءُ المِنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ
اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِتَعْفِيَ أَثْرَهَا عَلَى سَارَةَ

الدرسُ الأوَّلُ، مكتبة الرمحي أحمد ٩٢

المنطق هو ما تشدُّ به المرأة وسطها عند عمل البيت لترفع ثوبها
والمُراد من الحديث أنَّ هاجر أول من استخدمته
والخبر الحقيقي ليس هنا وإنما يوم خرجت مع زوجها وابنها تاركة
سارة

فقد أرخت منطقتها لتخفي آثار أقدامها

فلا تعلم سارة إلى أي مكان اتجهت إليه خشية على نفسها
والقصة في بدايتها تقودنا إلى الحديث عن الغيرة بين الضرائر!
و قبل أن نتحدث عن غيرة الضرائر عموماً وسارة خصوصاً
 علينا أن لا ننسى فضل سارة وثباتها وجهادها

فهي المرأة التي آمنت بابراهيم عليه السلام يوم لم يؤمن به أحد
 وهي التي حين وفدها إلى مصر قال لها :
 ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك
 وهي المرأة التي أرادها الفرعون لنفسه فأرادت العفة
 فلجلأت إلى الله وقد كانت عزيزة عنده فحفظها في عرضها
 ولكن جرت سُنة الله في الناس أنه فطّرهم على طبائع مشتركة
 لا ينجو منها أحد مؤمنهم وفاجرهم!

فالمرأة ترحب بالرجل بغض النظر عن درجة إيمانها
 والرجل يرحب في المرأة بغض النظر عن درجة إيمانه
 هذه غرائز أوجدها فينا الخالق لحكمة يعلمها سبحانه
 والإسلام ما جاء ليقضى على الغرائز وإنما ليهذبها
 ويضعها في طريقها الصحيح
 والغيرة بين الضرائر مما فطرت عليه النساء
 ويقول ابن حجر في فتح الباري : الغيرة في النساء أمر غير مكتسب
 أي أنهن جُبلن عليه ولا يستطيعن منه خلاصاً
 والله لا يُحاسب على الشعور ما دام شعوراً
 ولكنه يؤاخذ على الأعمال التي تنتجه عن هذه المشاعر!
 وكان من الطبيعي جداً وسارة متعلق قلبها بزوجها
 وهي امرأة الوحيدة ردحاً من الزمن

أن تغادر وقد صار له زوجة غيرها وصار له منها ولد أيضاً
ما زاد تعلقه بالزوجة الجديدة التي جاءت له بالولد
فاستعرت نار الغيرة في قلبها
وحصل منها ما يحصل من الزوجات وهو أمر أتفه من أن نتوقف
عنه

إنه أمر طبيعي يُذكر جملة لا تفصيلاً
إذ لا تنجو منه امرأة

وهذه عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها
كانت ليلتها ورسول الله ﷺ عندها

وأرسلت سودة بنت زمعة رضي الله عنها للنبي ﷺ مع خادتها
قصبة فيها طعام أحبت أن يأكل زوجها منها
فما كان من عائشة إلا أن ضربت القصبة في يد الخادم فانكسرت
ولما كان أصحاب النبي ﷺ عنده
كان هذا الموقف ليكون محرجاً جداً له

ولكنه الرحمة المهدأة الحليم العارف بفطرة الله في الناس
فما كان منه إلا أن ابتسם وقال لأصحابه غارت أمكم!
وطلب من عائشة أن تعطي سودة قصبتها وانتهي الأمر هنا!

الدرس الثاني:

الجزء من جنس العمل
وسارة التي ذكرنا غيرتها حان الوقت لنذكر دماثة أخلاقها
فعندما عصمتها الله من الفرعون الذي أرادها لنفسه

أعطهاها الفرعون هاجر هدية ، عربون توبية واعتذار منه
فهاجر بهذا المعنى ملك لسارة بحسب الحال وطبيعة الزمن
ولكن سارة الخلوقة والنبيلة كانت عقيماً لا تلد
وقد علمت رغبة زوجها بأن يكون له ولد
فاختارت سعادة زوجها على حساب سعادتها الشخصية
ورفضت أن تكون أنانية فتحرم زوجها الولد لأنها لا تُنجب
فطلبت منه أن يتزوج هاجر وهكذا كان
فولدت هاجر إسماعيل عليه السلام
ولكن الله العادل الرحيم الذي يرد المعروف بثله ، ويجازي الخير
بالخير

أصلح هذه المرأة العقيمة التي لا تلد
لتلد نبياً هي الأخرى ، وهو إسحاق عليه السلام
فكان منه كلنبي بُعث فيبني إسرائيل بعد هذا
باستثناء عيسى عليه السلام فإنه بلا أب كما لا حاجة لأن تتوقف
عند هذا

بينما لم يكن من ذرية إسماعيل إلانبي واحد
هونبيا 
وأنهم سلام الله عليهم جميعاً لئن كانوا جمعاً
 فهو الفرد الذي لو جمع الناس في صعيد واحد لفاقهم جميعاً

ويكمل الصادق الأمين قصته فيقول :
ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه
حتى وضعهما عند البيت

عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد الحرام
وليس بعكة يومئذ أحد وليس بها ماء
فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء
ثم قفى إبراهيم منطلقًا
فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم أين تذهب وتركتنا بهذا الوادي
الذي ليس فيه إنس ولا شيء !
فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها
فقالت له : الله الذي أمرك بهذا ؟
قال : نعم
قالت : إذن لا يضيعنا الله
ثم رجعت !
فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثانية حيث لا يرونوه
استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه :
﴿ربنا إبّنِي أَسْكَنْتُ مِنْ ذَرِيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحْرَم﴾
حتى بلغ ﴿يُشَكِّرُونَ﴾ !

الدرس الثالث

إنكَ لا تعرف الأنَّ لمن تعجب
لإبراهيم عليه السلام ، الرجل الذي أفنى حياته سائراً إلى الله
منذ نعومة أظفاره وحتى شانح ، يُكافد ويُجاهد
حطم الأصنام فتى فألقي في النار
وقف في وجه النمرود شاباً فطرد من «أدر» وطنه ومسقط رأسه

ارتحل إلى فلسطين حيث عبادة الكواكب فأقام عليهم الحجة
 ارتحل إلى مصر فلما قى هناك فرعون يريد زوجته
 حُرم الولد فصبر حتى بلغ المشيخ
 ثم ها هو قد رُزق به أخيراً فيؤمر أن يترك زوجته وفلذة كبده
 أين يتركهما؟ أفي أيدٍ أمينة؟
 في وادٍ غير ذي زرع ولا ماء
 حيث لا يفد الناس ولا يقدم البشر
 ولكن إبراهيم لا يعنيه كل هذا
 إن الله أمر بهذا فليكن أمره ولتكن مشيئته!
 أم تعجب من المرأة الضعيفة المرضع
 تلحق زوجها: أتتركتنا هنا؟
 وهو لا يجيب . . ثم لما علمت أنه أمر الله
 تقول بكل يقين: لن يضيعنا الله
 أي بيت هذا؟ وأي بشر هؤلاء؟
 الله عندهم أولاً ، والله عندهم أخيراً

الدرس الرابع،

ما كان إبراهيم يعاني نقصاً في مشاعر الآباء
 وما كانت هاجر في استغناءٍ عن الزوج
 ولكن البعض مروا في ذاكرة التاريخ لنتعلم منهم:
 ما دام الأب العطوف قد ترك ابنه وزوجته لأن الله أراد
 والزوجة الضعيفة قبلت بالوحدة لأن الله أراد

هذا يعني أن الطريق إلى الله قد يكون ضدّ هوّ النفس
أو لعله كان دائمًا كذلك!

ولا يصل إليه سبحانه إلا الذين يتغلبون على أنفسهم
المتصدقُ رغم حبه للمال

ومقيم الليل رغم حبه للنوم
والمتغافلُ رغم حبه للنساء

ورافض الرشوة رغم حاجات البيت ومطالب الأولاد
المحتشمةُ رغم حبها لإظهار أنوثتها

والمغلقُ دكانه للصلوة رغم أن الزبائن قد يذهبون إلى دكان آخر
كل هؤلاء يصلون

وقد حُفت الجنة بالمكاره ، وحُفت النار بالشهوات!

الدرس الخامس،

تساؤله : أتتركنا هنا؟

فلا يلتفت

أسألتَ نفسكَ لماذا لم يلتفت إبراهيم إليها وإلى ابنها؟
أهو الكبير؟

معاذ الله ، إبراهيم أرفع شأنًا وأعلى مقاماً

ولكنه لا يريد أن يضعف

لا يريد أن ينفطر قلبه وهو يترك زوجته وولده

فيقعده هذا الحُبُّ الكبير عن أمر الله!

هكذا هم الكبار يتركون ما يُحبّون لما يُحبُّ ربّهم

ولأن سلاح المؤمن الدعاء ، أشهَر إبراهيم عليه السلام سلاحه
وأوكل الأمر لمن بيده الأمر

﴿وَاجْعَلْ أَفْئَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهُوِي إِلَيْهِمْ﴾

دُعْوة أصابت القلوب منذ قديم الزمان

لَمْ تُصْبِ جُرْهَمًا وَحْدَهَا كَمَا سِيَّأَتِي

وَلَكُنْهَا أَصَابَتْ قَلْبَ كُلِّ مُؤْمِنٍ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ

وَهَا هُوَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ فِي مَكَّةَ ، وَهَا هِيَ الْقُلُوبُ تَفْدُ إِلَيْهِ قَبْلَ
الْأَبْدَانِ

مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصُوبٍ يَنْسَلُونَ وَقَدْ أَصَابَهُمْ سَهْمُ الدُّعَاءِ

الْمَرْأَةُ الْوَحِيدَةُ ، جَاءَتْ قَبْيلَةً كَامِلَةً لِتَؤْنِسَهَا

وَالْوَلَدُ الَّذِي تَرَكَهُ أَبُوهُ صَارَ عَنْهُ عَشْرَاتُ الرِّجَالِ يَرْعُونَهُ

انْقَلَ مَلْفُّ قَضِيَّتِكَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ

هَذِهِ الْأَرْضُ تُدَارُ مِنَ الْأَعْلَى حِيثُ مِنْ أَمْرِهِ بَيْنَ الْكَافِ وَالْنُونِ
أَيْهَا الْمَرِيضُ إِنَّ الطَّبِيبَ فِي السَّمَاءِ

أَيْهَا الْفَقِيرُ إِنَّ الْغَنِيَّ فِي السَّمَاءِ

أَيْهَا الْحَزِينُ إِنَّ الْمُؤْنِسَ فِي السَّمَاءِ

أَيْهَا الْمَكْسُورُ إِنَّ الْجَابِرَ فِي السَّمَاءِ

أَيْهَا الْوَحِيدُ إِنَّ السُّلُوِيَّ فِي السَّمَاءِ

أَيْهَا الْمَحْرُومُ مِنَ الْوَلَدِ إِنَّ الرَّازِقَ فِي السَّمَاءِ

أَيْهَا الْمَغْمُومُ إِنَّ الْكَاشِفَ فِي السَّمَاءِ

الْنَّاسُ لَيْسُوا إِلَّا أَسْبَابًا وَاقِعَةٌ فِي قَدْرِ اللَّهِ

فَلَا تَرْكِنْ إِلَى السَّبِبِ وَتَنْسِيَ الْمُسْبِبِ!

الْعَمَلُ سَبِبُ وَالرَّازِقُ اللَّهُ

الرِّوَاجُ سببُ الْوَاهِبِ اللَّهَ
الدِّرَاسَةُ سببُ الْمُسَدِّدِ اللَّهَ
البِنَادِقُ سببُ الْرَّامِيِّ اللَّهَ
خُذْ الْأَسْبَابَ مَا اسْتَطَعْتُ وَلَكُنْ إِيَّاكَ أَنْ تُنْسِكَ الْأَسْبَابَ مِنْ
سَبِبِهَا!

الدُّرْسُ السَّادِسُ :

اللهُ أَمْرُكَ؟!
ما أَحْلَاهُ مِنْ سُؤَالٍ . . .
وَمَا أَحْلَى الْجَوَابِ إِذْ نَقُولُ لِلنَّاسِ : إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنَا
وَمَا أَحْلَاهُ مِنْ إِيمَانٍ إِذْ نَقُولُ بِالْأَشْيَاءِ فَقْطًا لِأَنَّ اللَّهَ أَمْرَ
لِمَا تَحْفِنِ جَمَالَكَ؟ لِأَنَّ اللَّهَ أَمْرَ
لِمَا تَطْبِعِنِ زَوْجَكَ؟ لِأَنَّ اللَّهَ أَمْرَ
لِمَا لَا تَرْتَشِي؟ لِأَنَّ اللَّهَ أَمْرَ
لِمَا تُكْرِمِ زَوْجَتَكَ؟ لِأَنَّ اللَّهَ أَمْرَ
لِمَا تَبْرِّ وَالْدِيْكَ؟ لِأَنَّ اللَّهَ أَمْرَ
نَصُومُ وَنَحْجُ وَنَزِكِي لِأَنَّ اللَّهَ أَمْرَ
مِنْ يَحْتَاجُ سَبِبًا أَحْلَى وَأَرْوَعُ مِنْ هَذَا
وَكُنْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَقَامَ اللَّهُ أَقَامَ اللَّهُ أَمْرُهُ
مَا أَمْسَكَ أَحَدٌ يَدَهُ عَنْ حَرَامٍ إِلَّا رَزْقُهُ اللَّهُ الْحَلَالُ
مَعَادِلَةٌ صَعِبَةٌ لَا يَفْهَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
كُلُّ مَا حَصَلْتَ عَلَيْهِ مِنْ حَرَامٍ حَصَلْتَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ رَزْقُ اللَّهِ لَكَ

لو صبرت عليه لأنذته بالحلال!
كل لقمة أكلتها بالحرام هي لك بالحلال لو صبرت
وكل درهم جنيته بالحرام هو لك بالحلال لو صبرت
حتى النظرة بالحرام تجد فيها لذة لو صبرت لكان لذة بالحلال!

ويكمل الصادق الأمين قصته فيقول :
وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفدت ، عطشت
وعطش ابنتها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى
فانطلقت كراهية أن تنظر إليه
فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها
فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً
فلم تر أحداً
فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها
ثم سعت سعي الإنسان المجهود
حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة
فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً
فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات
فذلك سعي الناس بينهما !
فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً
فقالت : صه ، تريد نفسها
ثم سمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد سمعت إن كان عنده
غواص

فإذا هي بالملَكِ عند موضع زمز
 فبحثَ بعقبه بجناحه حتى ظهرَ الماء
 فجعلتْ تُحُوضه ، وتقولُ بيدها هكذا
 وجعلتْ تغُرُّ من الماء في سقائِها
 وهو يفُور بعدهما تغُرُّ
 يرحم الله أم إسماعيل لو تركتْ زمز
 أو قال لو لم تغُرُّ من الماء لكانَتْ زمز عيناً معيناً
 فشربتْ وأرضعتْ ولدَها
 فقال لها الملَكُ : لا تخافُوا الضيَّعةَ فإنَّ هنَا بيتَ الله
 يبنيه هذا الغلام وأبُوه وإنَّ الله لا يضيَّع أهله !

الدَّرْسُ السَّابُعُ

لو أنَّ هاجر جلستْ منكسرةً تبكي لامها أحد
 امرأةٌ وحيدةٌ إلا من رضيعٍ صار عيناً عليها بعد أنْ كانَ ونيساً لها
 يومٌ كانَ عندها التمر والماء كانت تأكلُ وتشربُ فترضعُ ابنتها
 فكانَ وقتذاك أنيساً
 أما الآن فكانَه لا يكفيها صحراءٌ متراميةُ الأطراف ليس فيها شيءٌ
 ولا يكفيها الحرُّ والعطشُ والجهدُ
 حتى يأتيها فوق هذا فلذةٌ كبدها يتلوى من الجوع والعطش
 اجتمعَ عليها العذابُ الجسديُّ والعذابُ النفسيُّ
 ولكنَّ هاجر لا تعرف الانكسارَ
 تهبُّ من فورها إلى الصُّفَا فتنتظر هل من قادم

وفي طريقها إلى المروءة ثُمَّ على ابنها لتطمئن إليه
ولا شيء يطمئنها سوى أنه ما زال يتلوى
هذا درس مهم في السعي
ليس السعيُ الدينيُ الذي سيأتي الحديث عنه
 وإنما السعيُ الدنيويُ
مهما صعبت ظروفك فلن تكون أصعب من ظروف هاجر
أخذتُ تسعى وتبشِّر الصحراءَ عن نجدة
يجب أن نتعلم أن السعيَ في الدنيا لا يُنافي التوكل على الله!
زوجة نبيٍّ وأم نبيٍّ ولم تجلس مستسلمة عاجزةٌ
لم تركن إلى قادمٍ يأتي وحده
أو معجزةٍ تحصلُ وهي واضعة يدًا على خدٍّ
عندما تضيقُ حتمًا سيأتي الله بالفرج
ولكن شتان بين العاجز المستسلم وبين الساعي المجتهد
إنَّ هذه الدنيا دار سعيٍ فاسعٍ ما أستطعت
لا شيء يأتي بسهولة ، وقد خلق الله الإنسانَ في كبدٍ
كلَّ شيءٍ يحتاج إلى مشقةٍ ومجاهدةٍ
النفسُ لا تستقيم دون مجاهدة الهوى
والجنةُ لا تُدخل دون مجاهدة النفس
الأولادُ لا يكبرون إلا بشق الأنفس
والرُّزقُ لا يحصل إلا بتعبِ الجسد والروح

إنَّ الجزاء من جنس العمل !
هذه بديهيَّة تتكررُ في كلَّ قصَّةٍ وفي كلَّ موقف
المرأة التي قالتْ : لن يُضيِّعنا الله
أرسل الله لها ملَكًا ليقول لها : إنَّ الله لا يُضيِّع أهله !
يحتاج الناس أن يسمعوا كلمةً حلوة
يحتاج الناس لمن يطمئنُهم وقت المصيبة
لا إلى من يزيد همهم همًا
إذا زرتَ المريض حدُثه عن أملِ الشفاء
وإذا وقعتَ على راسِبٍ أخبره أنَّ النجاح دومًا يأتي بعد الفشل
إذا رأيتَ فقيرًا أخبره أنَّ الغنى أمرٌ ممْكِن الحصول
إذا زرتَ من فقد ابْنًا عزَّه بالنبيِّ ﷺ وقد فقد أولاده
وإذا شَكَا إِلَيْكَ أحدُ ولدِه عزَّه بنوح عليه السَّلام إذ عصاه ابْنَه
وإذا شَكَا إِلَيْكَ أحدُ زوجته عزَّه بنوح ولوط عليهما السَّلام
وإذا شَكَا إِلَيْكَ أحدُ أَبَاه عزَّه بِإِبْرَاهِيم عليه السَّلام
إذا شَكَا إِلَيْكَ أحدَ بَأْه عاقر حدُثه عن زَكْرِيَا عليه السَّلام
إذ رُزِقَ بِيَحِيَّى وقد اشتعلَ الرَّأْسُ شَيْبًا
وإذا شَكَتْ إِلَيْكَ امرأةً أنها عَقِيمٌ
حدُثها عن سَارَةَ يَوْمِ صَكَّتْ وجْهَهَا
أخبر العاطل عن العمل أنَّ هنَاكَ فرصةٌ سَتَأْتِي
وأخبر الواقع بِمشكلةٍ أنَّ هنَاكَ حَلٌّ لَا مَحَالَةَ أَتَ
وأخبر اليائس أنَّ هنَاكَ سَبِيلٌ

يحتاج الناس لمن يربت على أكتافهم
الحياة قاسية ، والناس في شقاء ، فلا تزدها عليهم
احقنهم بالأمل ، أخبرهم أن ثمة حلّ دوماً
إن أحلك ساعات الليل هي تلك التي تسبق الفجر بقليل!

الدرس التاسع،

الكون كله بيد الله فكُنْ مع الله يطوعُ الكون لكَ
أيَّ ملَكٍ كان بأمر الله قادر على أن يُخرج لها الماء
ولكن الله أرسل لها جبريل!

أراد أن يكون العزاء بحجم المصيبة! وما أحلاه من عزاء!
وأرجح الأقوال أن جبريل أتاهَا في صورة رجل بعد أن نفذ مهمته
لأنها لو رأته بصورته الحقيقية لأصابها الفزع
وهذا موقف طمأنة لا موقف إظهار قدرة
والملائكة والجِنْ بعكس البشر لديهم القدرة على التشكيل بأجسامٍ
أخرى

ولكن الفرق بين الجن والملائكة في هذا
إن الجن تحكمهم الصورة بينما لا تحكم الصورة الملائكة
يعنى أن الجن لو تشكل في صورة كلب أو ثعبان لصارت قدرته
بقدرة الشيء الذي تشكل به فتقل قدراته
ولو تلقى ضربة تقتل الكلب أو الثعبان مات
بينما الملائكة تبقى فيهم قوتهم ولو تشكلوا في صورة أخرى!
منظر الملائكة مُهيب جداً

حتى النبي ﷺ لم ير جبريل في صورته الحقيقية إلا مرتين
وفي المرة الأولى تملكه الفزع!
لهذا عندما أرسل الله إسرافيل وميكائيل وجبريل عليهم السلام
إلى لوط عليه السلام ، أرسلهم على هيئة بشر ليطمئنوا
لم يرد الله أن يجمع عليه فساد قومه وهيبة الملائكة!

الدرس العاشر

ولو أنها لم تحوّض الماء وتعرف منه ل كانت زمزم عيناً معيناً!
مهما كان الإنسان تقىّاً نقيّاً يبقى إنساناً
فلا تتعامل مع الأتقياء على أنهم ملائكة
لا تنسّ أنهم بشر مثلك
يكرهون ، ويضيّعون ، ويحبّون الدنيا والزوجة والولد كما تحبّ
لا تحاسبهم على إيمانهم لأنّهم أقبلوا على دنياهم
منذ متى كان الإيمان طلاقاً للدنيا؟
إنّ الدنيا بمالها ورزقها ليست ضدّ الجنة
ولكنها طريق إلى الجنة
هاجر كانت عطشى قد شارت على الهالك
فمن الطبيعي أن تحوّض الماء وتعرف منه
إن غير الطبيعي أن لا تفعل ذلك
إن المصيبة تنزل بالمؤمن حتى تكاد تكسره لأنّه إنسان
والفرح ينزل به حتى يكاد ينسى لأنّه إنسان
وقول النبي ﷺ : لو أنها لم تحوّض ولم تعرف

هذا يدخل في باب الخبر لا في باب الذم
 وقد قالها عليه السلام في حق أخيه موسى
 فعندما التقى موسى عليه السلام بالحضر ليتعلم منه
 اشترط عليه الحضر أن لا يسأله شيئاً
 ولكن الحضر عندما خرق السفينة
 سارع موسى عليه السلام يعاتبه
 ولما قتل الحضر الغلام
 نسي موسى وعده الذي قطعه وعاتبه مجدداً
 ثم قطع عهداً جديداً أن لا يسأل شيئاً حتى يخبره هو بنفسه
 فلما أقام الجدار عاد ليسأله
 وهذه طبيعة في البشر عند غرائب الأمور
 وموسى إنسان قبل أن يكوننبياً
 ومن الطبيعي أن يتعجب ويسأله ويستغرب
 فلما كان السؤال الثالث قال له الحضر: هذا فراق بيني وبينك
 فقال عليه السلام: رحم الله أخي موسى
 لو صبر لأرانا من عجائب علم الله عند الحضر عليه السلام!

الدرس الحادي عشر

الذي أخرج الماء من الصحراء قادر على أن يخرج من المشكلة حلها
 فأحسن الظن بالله فإنه لا يعجزه شيء
 كل الأزمات التي حلها الله بكلمة كن فكانت
 أشد تعييناً من كل أزماتك فسلمه أمرك

الذي أخرج ناقةً من الصخر يخرج من قلوب الناس رحمة
 والذي شقَّ البحر لنبيه بعضاً ، يشقُّ صعابك
 والذي انتقمَ لنوح ينتقمُ لك
 والذي رزقَ زكرياً على المشيب ابنًا يرزقك
 والذي أوقفَ الشمسَ ليوضع يوقف أعداءك
 يحدثك عن قدرته لتأوي إليه
 يحدثك عن غضبه لتحذره
 ويحدثك عن رحمته لتطمع فيه وتقصد़ه
 هداكَ السبيل إما شاكراً وإما كفوراً
 فاختر لنفسك مع أيِّ الفريقين تكون!

ويكمِل الصادق الأمين قصته فيقول :
 وكان البيت مرتقعاً من الأرض كالرَّابية
 تأتيه السيل فتأخذُ عن يمينه وشماله
 فكانت كذلك حتى مرَّت بهم رفقة من جُرُهم
 فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً
 فقالوا : إنَّ هذا الطائر ليدور على ماء
 لعهداً نا بهذا الوادي وما فيه ماء
 فأرسلوا جريأاً أو جريين فإذا هم بالماء
 فرجعوا ، فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا
 وأم إسماعيل عند الماء فقالوا : أتاذنن لنا أن ننزل عندكِ
 فقالت : نعم ، ولكن لا حقَّ لكم في الماء
 قالوا : نعم
 مكتبة الرمحي أحمد

فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحبَّ الأنس
فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم ، فنزلوا معهم
حتى إذا كان بها أهل أبياتٍ منهم
وشبَّ الغلام ، وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم
وأعجبهم ، حين شبَّ فلما أدرك زوجوه امرأة منهم .

الدرس الثاني عشر:

كانوا فرساناً وكانت امرأة وحيدة
فاستأذنوا أن ينزلوا عندها
فتشترط أن لا يكون لهم الماء فيقبلوا !!
هذا درس عظيم في الأخلاق ، موغل في النُّبل
كانت جُرُهم على غير دين إبراهيم فلا يعرفهم ولا يعرفوه
ولكن كانت عندهم أخلاق الإسلام فعلاً !
الفرسان يطلبون إذن امرأة ضعيفة !
ويرفضون أن يأخذوا شيئاً ليس لهم
ليس عجبًا أن ترى غير المسلم على أخلاق
إنما العجب أن ترى المسلم بغير أخلاق !
إنَّ هذا الدين كله خُلُقٌ فمن فاقدك في الخُلُق فاقدك في الدين !
مؤسف حقًا أن ندين بالإسلام ولا نتمثل أخلاقه
ويحزُّ بالقلب أن ترى العرب الرُّحل الذين لا دين لهم
يرفضون أن يأخذوا ما ليس لهم ، ونحن نأكل مال بعض
ويرون أن الحقَّ أكبر من القوة ، ويتناقض القويُّ حقُّ الضعيف

ما سُمِّيَ الإِنْسَانُ إِنْسَانًا إِلَّا لَأَنَّهُ يَأْنِسُ بِغَيْرِهِ وَغَيْرُهُ يَأْنِسُ بِهِ
 بِهَذَا تَتَحَقَّقُ إِنْسَانِيَّتُنَا أَنْ نَافِلُ وَنُؤْلِفُ
 أَنْ يَجِدُ الْجَاهِنُّعُ عِنْدَنَا رَغِيفًا
 وَيَجِدُ الْمُحْزُونُ عِنْدَنَا سَلْوَانًا
 وَيَجِدُ الْمُضْعِيفُ عِنْدَنَا نَصْرًا
 إِنَّا عِنْدَمَا نَعْطِي إِنَّا نَعْطِي أَنفُسَنَا أَكْثَرَ مَا نَعْطِي الْآخَرِينَ
 نَهْبُ أَنفُسَنَا الإِنْسَانِيَّةَ لِأَنَّ الإِنْسَانِيَّةَ سُلُوكٌ ، وَأَخْلَاقٌ ، وَتَصْرِيفَاتٍ
 الْحَيَّوَانَاتُ تَوْلِدُ حَيَّوَانَاتٍ
 أَمَا الْبَشَرُ فَلَا بَدْ لَهُمْ مِنَ الْأَخْلَاقِ لِيَكُونُوْا بَشَرًا
 رَاجِعٌ مُؤْشِرٌ بِشَرِيكِهِ
 أَيَجِدُ فِيْكَ أَبْوَاكَ أَبْنَاكَ اسْتَحْقَقُ عَنْهُ إِنْجَابَهِ
 أَيَجِدُ فِيْكَ أَوْلَادَكَ أَبَّا اسْتَحْقَقُ أَنْ يَنَادُوهُ يَا أَبَّيِ
 أَيَجِدُ فِيْكَ أَخْوَوكَ سَنِدًا وَعُونَانًا
 أَتَجِدُ فِيْكَ زَوْجَتَكَ صَدِيقًا وَحَبِيبًا
 أَتَجِدُ فِيْكَ أَخْتَكَ مَلَادًا
 أَيَجِدُ فِيْكَ جَارَكَ أَخْلَاقًا
 هَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَجْعَلُ مَنَا بَشَرًا
 فَلَا تَتَنَازَلْ عَنِ إِنْسَانِيَّتِكَ!

أربعة أنبياء من العرب فقط : هود وصالح وشعيب وموسى عليهم السلام
 أما إسماعيل فهو أبو العرب باعتبار النشأة لا باعتبار الأصل
 وإن إبراهيم لم يكن عربياً وبطبيعة الحال هكذا ابنه
 وكلنا لآدم ، وأدم من تراب !

وأنَّ هذا الدين وإن بدأ بالعرب فليس دين العرب وحدهم
 هذا الدين للناس جميعاً ، أبيضهم وأسودهم ، وأحمرهم ، وأصفرهم
 فدعوا عنكم عصبية الجاهلية والتفاخر بالأحساب والأنساب
 فإن بلال الحبشي في الجنة ، وأبو لهب الهاشمي في النار
 وصهيب الرومي في الجنة والوليد بن المغيرة المخزومي في النار
 و «يا عباس عمَّ محمد اعمل ، ويا فاطمة بنت محمد اعملني
 لا يأتيبني الناس يوم القيمة بأعمالهم ، وتأتوني بقرباتكم»
 إن كان الله أكرم العرب أن جعل سيد البشر منهم
 فليس ليزدروا الناس أو يعتقدوا أنهم أرفع شأنًا منهم
 هذه جاهلية تشبه جاهلية العرب الأولى
 وإنما شكر نعمة أن جعل الله النبوة منا
 أن لا ندع أحداً يسبقنا لهذا الدين
 وأن تتسع قلوبنا لغير العرب ما دام قد وسعهم ديننا
 ثمة قرابة أرفع من قرابة العرب هي قرابة العقيدة !
 ولو كان الولاء للقبيلة ما قاتل النبيَّ قريشاً
 ولو كان الولاء للأرض ما ترك النبيَّ مكة
 ولو كان الولاء للعائلة ما تبرأ من أبي لهب

ولكنها العقيدة ، أغلى من القبيلة والتراب والدم!

ويكمل الصادق الأمين قصته فيقول :

وماتت أم إسماعيل

فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته

فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه

فقالت : خرج يبتغي لنا

ثم سألها عن عيشهم وهبتهم

فقالت : نحن في شرّ! نحن في ضيق وشدة ، فشكّت إليه

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له يُغيّر عتبة بابه

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً

فقال : هل جاءكم من أحد؟

قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته

وسأليني كيف عيشنا فأخبرته أباً في جهد وشدة

قال : فهل أوصاك بشيء؟

قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول غير عتبة بابك!

قال ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقي بأهلك

فطلقها وتزوج منهم أخرى

فلبّت عنهم إبراهيم ما شاء الله

ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه

فقالت : خرج يبتغي لنا

قال : كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهبتهم

فقالت : نحن بخير وسعة ، وأثنت على الله

فقال : ما طعامكم؟

قالت : اللحم

قال : فما شرابكم ؟

قالت : الماء

قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء

ولم يكن لهم يومئذ حَبَّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه
فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقه

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يثبت عتبة بابه
فلما جاء إسماعيل قال : هل أناكم من أحد ؟

قالت : نعم أثانا شيخ حسن الهيئة ، وأثنت عليه
فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته

قال وأوصاك بشيء ؟

قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك

قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك !

الدرس الرابع عشر

ما أحلى الكنية

مرئه أن يُغير عتبة بابه

مرئه أن يثبت عتبة بابه

أحياناً يكون التصريح مؤلماً للسامع

فلو قال لها : مرئه أن يطلقك ، لكان في الأمر فظاظة

وابراهيم عليه السلام أرفع شأننا من هذا

وما أراد أن يجرح أو يلمز

كل ما أراده أن يوصل رسالة لابنه ، فاتكاً على عكاز الكنية!
 وأحياناً يكون التصريح مؤلماً للقائل نفسه
 كالأعرابية التي دخلت على الأمير ، وقالت له
 جيت أشكوك إليك قلة الفأر في بيتي
 فقال ما أحسن ما وررت عن حاجتها
 املئوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً
 فكُن لماحًا ، إذا قيلت أمامك الكنية
 ولا تزهد بها أنت أيضاً
 تحفظ الكنيات ماء الوجه أحياناً!

الدرس الخامس عشر

إن الله إذا أعطاك فقد أعطاك ما ليس لك
 وإذا حرمتك فقد حرمتك ما ليس لك
 فإن أعطيت فاشكر ، وإن مُنعت فاصبر
 سبحانه في عطائه حكمة ، وفي منعه حكمة كذلك
 والصبر والشُّكر كلامهما عبادتان قلبيتان لا شأن للجسد فيهما
 على أن تمام الشُّكر أن يكون سلوكاً
 فشكر المال مساعدة الفقراء فيه
 وشكر الصحة إعانة الضعفاء
 وشكر العلم إرشاد محترم برأي
 ولو عقل الناس ما تسخطوا على قدر الله
 لأن السخط والتذمر لا يغيران فيه شيئاً

وإنما به يجتمع على الإنسان مصيّباتان

الأولى : منع الله ، والثانية : إثم التذمر وعدم الرضا

والغنى الحقيقي هو غنى القلب لا غنى الجيب

ونظرتنا للأشياء هي التي تحدد سيرنا في الحياة

إمكانات إسماعيل هي ذاتها زمن الزوجة الأولى ، وزمن الزوجة

الثانية

ولكن الأولى تنظر إلى ما تفقد لا إلى ما تملك

والثانية شغلها الشكر بما تملك عن السخط عما تفقد

وهذا هو سر السعادة الذي لا يدركه إلا القليل !

لا شيء أصعب من التعامل مع المتبّعين

ولا شيء أحلى من التعامل مع الشاكرين

وما أراد إبراهيم عليه السلام أن يخرب بيت ابنه

ولكنه أراد له الخير

الدرس السادس عشر:

أمرنا بالبر

ولكن هل طلاق الزوجة بأمر الأب بر ، وتركه عقوبة ؟

ليس بالضّرورة !

فليس كل الآباء إبراهيم عليه السلام

وليس كل الأبناء إسماعيل عليه السلام

يقدّر ابن حياته لأنّه الأخبر بها

فأحياناً يكون التعايش مع المشاكل هو الحلّ المثالي لها

وأيَّ حلَّ آخر قد ينبع عنه مشكلةً أكبر
وأحياناً لا يكون الأب مُصيّباً في نظرته ، والأم كذلك
فإن كان ليس شرطاً للبر طاعتهما
فإنه من العقوق قطعاً لهم لأجل زوجة ولو كانت فاضلة
تمسك بزوجتك ولا تنسَ أبيك!

ويتابع الصادق الأمين قصته فيقول :

ثمَّ لبَثَ عنْهُمْ مَا شاءَ اللَّهُ
ثم جاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِسْمَاعِيلَ يَبْرِي نَبْلَاهُ
تَحْتَ دُوْحَةً قَرِيباً مِنْ زَمْزَمَ ، فَلَمَّا رَأَهُ قَامَ إِلَيْهِ
فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ
ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْمَاعِيلَ ، إِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي بِأَمْرٍ
قَالَ : فَاصْنِعْ مَا أَمْرَكَ رَبِّكَ
قَالَ : وَتَعِينِي ؟
قَالَ : وَأَعِينُكَ
قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أَبْنِي هَذَا هُنَّا بَيْتٌ
وَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةٍ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا
فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلَ يَأْتِي بِالْحَجَرَةِ وَإِبْرَاهِيمَ يَبْنِي
حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبَنَاءُ ، جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرَةِ
فَوَضَعَهُ لَهُ ، فَقَامَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلَ يَنَاوِلُهُ الْحَجَرَةَ
وَهُمَا يَقُولَانِ : «رَبُّنَا تَقْبِلُ مَنِ إِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»

الدرس السابع عشر

كان إسماعيل عليه السلام رامياً ماهراً ، وصياداً حاذقاً
وفي القصة ما يؤيد هذا ، إذ جاءه أبوه وهو يبرى نبلاً
وفي البخاري قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً
«ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»
ولما كان هذا الدين دين فتوحات وجهاد
كان من الطبيعي أن يبحث النبي ﷺ على الرمي
فيقول : ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي
وقال عمر في قوله المشهورة :
علموا أولادكم السباحة والرمادة وركوب الخيل !

الدرس الثامن عشر

﴿إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةٌ﴾
وفي بَيْكَة قولان :
الأول : أنه لا فرق بين لفظتي مكة وبَيْكَة
فالباء والميم يتناوبان في كلام العرب وهذا معلوم
فنقول : ضربة لازم وضربة لازب وهم سواء
والثاني : وهو الذي أميل إليه بعد ما قرأتُ في الأمر كثيراً
أن بَيْكَة هي موضع البيت تحديداً
ومكة هي القرية كلها كما هو معلوم
وبهذا فإن بَيْكَة هي جزء من مكة وهو موضع البيت والله أعلم

وسائل أبوذر رسول الله ﷺ

أي المساجد بُنِيَ أولاً؟

فقال له : المسجد الحرام

ثم سأله : ثم أي؟

فقال المسجد الأقصى

فقال كم بينهما؟

فقال : أربعين سنة

وقد سبق القول أن الملائكة هي من بَنَتَ الكعبة لأَدَمَ عليه السلام

وأنها هُدِّمت بالطوفان ، فأعاد إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بناءها

الدرس التاسع عشر

هل الكعبة اليوم على الشكل الذي بناء إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؟
الجواب هو ، لا!

فقد أخبر النبي ﷺ عائشة أنَّ الكعبة كان لها بابان

وأنَّه لو لا أنَّ قريش حديثَ عهد بالإسلام

لهمتها وأعاد بناءها كما كانت زمن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام

حيث كان لها بابان وكان حجر إِسْمَاعِيلَ داخلاً فيها!

أما لماذا لم تكن زمن قريش كما كانت زمن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام

فالسببُ أنَّ السُّلْطَانَ جرفها زمن قريش

فجمعوا حلال أموالهم وبنوها

ولكن النفقه يومها لم تكفي فجعلوا حجر إِسْمَاعِيلَ خارجها

وأنثاء حكم عبد الله بن الزبير هدمها مجدداً

وأعاد بناءها كما كانت زمن قريش
وقد أراد أبو جعفر المنصور أن يهدمها زمن خلافه
ويعيد بناءها كما كانت زمن إبراهيم عليه السلام
فاستشار الإمام مالك في هذا الأمر
فقال له : لا تفعل ، كي لا تصبح الكعبة أُلْعوبة للملوك
كلما جاء ملك هدمها وأعاد بناءها
فهي اليوم على الهيئة التي بنتها قريش

الدرس العشرون :

نختم بالحديث عن أجزاء الكعبة ونختصر
أولاً : الحجر الأسود
وقد جاءت به الملائكة من الجنة
وفي الحديث : كان أبيض من اللبن فسودته خطايا بني آدم
وفي هذا وقفة
إذا كان حجر أبيض من الجنة سودته الخطايا
فما تفعل الخطايا بالقلوب وهي من الأرض
والحجر الأسود اليوم ثماني قطع
والسبب هو أن القرامطة لما غزوا الكعبة سرقوا
وبقي عندهم عشرين عاماً ثم أعيد مكانه
والقرامطة قوم فجّرة ، غزوا الكعبة وقتلوا الحجيج قبل يوم عرفة
وألقوا في بئر زمز عشرين ألف مسلم قتلى !
وكان أبو طاهر القرمطي عليه لعائن الله ترا

عند باب الكعبة على فرسه يقول :
أنا الله والله أنا ، أخلق الخلق وأفنيهم أنا!
ومن جرأتهم على الله أن أحد القرامطة قال لعالم يومها :
ألا يقول الله « فمن دخله كان آمناً » فأين ربك؟
فقال له يا أحمق إنه أراد أن يقول : من دخل الكعبة فآمنوه
وهذا أمر لا خبر ولكنكم قوم لا تعلمون!
ثانيًا : حجر إسماعيل
وهو نصف الدائرة بجوار الكعبة
وهو فقهًا جزء من الكعبة ، ومن طاف ومرّ منه لم يُحسب شوطه في
الطواف
لأنَّ الطواف حول الكعبة لا بها وهو جزء منها
وإن كان ليس داخلاً بها اليوم
إلا أنَّ الحُكْم فيه حكم كل شيء داخل بها
ثالثًا : مقام إبراهيم
كان في الأصل الصخرة التي وقف عليها إبراهيم عليه السلام
يبني البيت لما ارتفع
فألاَّنَ الله له الصخرة فحُفرت قدماه فيها
وفي هذا وقفة
لما ألاَّنَ إبراهيم قلبه لله ، ألاَّنَ الله له الصخر تحت قدميه!
وكانت قريش تعرف أن هذه الأقدام أثر دعسات إبراهيم
وكان المقام ملتصقاً بجدار الكعبة أو يكاد
لأنَّه وضع لإتمام جدران الكعبة
ولكن عمر بن الخطاب أبعده زمن خلافته ليسهل على الناس الطواف
ثم صار بعد ذلك من ذهبٍ كما هو اليوم!

موسى عليه السلام والخضر

روى مسلم والبخاري في صحيحهما أنَّ رسول الله ﷺ قال
أنَّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل
فسئلَ أيُّ الناس أعلم
فقالَ: أنا مكتبة الرمحيُّ أَحمد
فعتَبَ الله عليه إذ لم يردَ العلمَ إليه
فأوحى الله إليه إنَّ لي عبداً بِجَمْعِ البحرينِ هو أعلمُ منك
قالَ موسى: أيَّ ربٍ فكيف لي به؟
قالَ: تأخذَ مَعَكَ حوتاً في مكتلٍ
فحِينَما فقدَتِ الحوتُ فهو ثُمَّ
وأخذَ حوتاً فجعلَه في مكتلٍ، ثمَّ انطلقَ
وانطلقَ معه فتاه يوشعُ بنُ نون
حتى إذا أتيا الصخرةَ وضعاً رؤوسَهُما فناما
واضطربَ الحوتُ في المكتلِ، فخرجَ منه
فسقطَ في البحرِ، **﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيَّاً﴾**
فلما استيقظَ، نسيَ صاحبُهُ أنَّ يخبرَهُ بالحوتِ
فانطلقَا يمشيانَ بِقِيَةٍ لِيَلْتَهُما وَيَوْمَهُما
حتى إذا كانَ منَ الْغَدِ قالَ موسى لفتاهَ:
﴿أَتَنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرْنَا هَذَا نَصِيبًا﴾
قالَ له فتاهَ:
**﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيَتِ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا
الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجِيْبًا﴾**

قال له موسى **﴿هذا ما كنا نبني فارتدا على آثارهما فقصصاً﴾**
فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة
فإذا رجل مسجى بثوب ، فسلم عليه موسى
فقال : **﴿وأني بأرضك السلام﴾**
قال : **﴿أنا موسى﴾**

قال له موسى بنى إسرائيل ؟

قال : **﴿نعم أتيتك لتعلمك ما علمت رشدًا﴾**

قال يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلم ،
وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلم
قال : **﴿هل أتبعك﴾**

قال **﴿إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحيط به
خبرًا﴾**

قال موسى : **﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾**
قال له الخضر **﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث
لك منه ذكرًا﴾**

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمررت بهما سفينة
فكلموهما أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر ، فحملوهم من غير نول /
أجرة

فلما ركبا السفينة قلع الخضر لوحًا بالقدوم

قال له موسى : ما صنعت ؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى
سفينتهم فخرقتها

﴿لتفرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً﴾

قال : **﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾**

قال : «لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً»
فجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين
قال له الخضر يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله
إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر !
فلما خرجا من البحر ، مرأوا بغلام يلعب مع الصبيان
فأخذ الخضر رأسه فقلعه بيده ، فقتله
فقال له موسى «أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً
نكرًا»

قال : «ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً»
قال : «إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من
لدني عذراً»
«فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيغوهما
فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض»
مائل ، فقام الخضر وأقامه بيده
فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمنا ولم يضيغونا عمدت إلى
حائطهم
«لو شئت لاتخذت عليه أجرًا»

قال : «هذا فراق بيني وبينك سأبئك بتأويل مالم تستطع عليه
صبراً»

وقرأ الآيات حتى بلغ :
«ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبراً»
ثم قال : يرحم الله موسى لو كان صبر لقص الله علينا من أمرهما .

تقدمنا القصة إلى أن نسأل : من هو الخضر؟
الخضر شخصية ثابتة بنص القرآن والحديث ، الإيمان بها واجب
وكثرت الأحاديث والأقاويل والأراء فيه
وكل ما ورد في هذا كذب وافتراء ولا يصح فيه شيء
يقول ابن القيم ناقلاً إجماع أهل السنة في الخضر :
«الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ، ولا يصح
في حياته حديث واحد!»
فحديث أنَّ النَّبِيَّ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ فَسَمِعَ كَلَامًا وَرَاءَهُ
فَذَهَبُوا يَنْظَرُونَ فَإِذَا هُوَ الْخَضْرُ ، مَكْذُوبٌ
وَحْدَيْتٌ يَلْتَقِي الْخَضْرُ وَالْيَاسُ كُلُّ عَامٍ مَكْذُوبٌ
وَحْدَيْتٌ يَجْتَمِعُ فِي عَرْفَةَ كُلُّ عَامٍ جَبَرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَالْخَضْرُ ،
مَكْذُوبٌ أَيْضًا
لَا نَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ أَتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا كَثِيرًا
فَلَا يُعْرَفُ عَنْ نَسْبِهِ وَمَوْلَدِهِ شَيْءٌ صَحِيحٌ إِطْلَاقًا
وَكُلُّ مَا يُرُوَى فِي هَذَا الْبَابِ رَجْمٌ بِالْغَيْبِ وَقَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ
بَلْ إِنَّهُ يَقْتَرِبُ إِلَى الْخَوَارِقِ الَّتِي تُخَالِفُ النَّقْلَ وَالْعُقْلَ
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ ابْنُ آدَمَ لَصْلَبُهِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ ابْنُ قَابِيلَ بْنُ آدَمَ
وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ ابْنُ شَيْثٍ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ مِنْ بَلَادِ فَارِسٍ
وَكُلُّ هَذَا لَا يَصْحُ مِنْهُ شَيْءٌ كَمَا تَقْدِمُ

وهو علم لا ينفع وجهل لا يضر

ولو احتاجنا لهذا العلم لا خبرنا به الله أو رسوله

وغالى البعض فيه حتى قالوا هو حيٌ يُرزق حتى اليوم

وأنه يبقى حيًا حتى يشهد قتل الدجال

وسئل البخاري عن الخضر والياس وهل هما أحياء

فقال : لا يكون هذا وقد قال رسول الله ﷺ

«لا يبقى على رأس مئة سنة من هو اليوم على ظهر الأرض أحداً»!

وقال ابن الجوزي : والدليل على أن الخضر ليس حيًا أربعة أشياء

القرآن ، والسنة ، واجماع المحققين ، والعقل!

ومن الأمور العقلية التي تُكذب بقاءه حيًا

أنهم قالوا هو ابن آدم عليه السلام لصلبه

فهو إذاً على زعمهم عمره آلاف الأعوام وهذا محال

وقالوا ابن آدم وقد كان وزيراً لذي القرنين

وهذا محال لأن وجب أن يكون كأبيه جسمًا ، ستون ذراعاً في

السماء

وذو القرنين كان رجلاً عادياً بعدهما تناقض الخلق كما في الحديث

فسيكون هذا أمر شاذ ومستغرب عمرًا وجسمًا

وأيضاً لو كان قبل نوح عليه السلام

لركب السفينة معه وليس في هذا خبر صحيح ولا مكذوب

ثم إنَّ كل الذين ركبوا ماتوا ، ولم تبقَ إلا ذرية نوح

بنص الآية : **﴿وَجَعَلْنَا ذرِيَّتَهُ هُمُ الْبَاقُون﴾**

كذلك لو صاح إنَّ ابن آدم وأنه يعيش لآخر الدهر

ل كانت هذه آية عظيمة من آيات الله ، ولو جدنا لها ذكرًا في القرآن

أو حديث
وأخيراً لو كان حيَا كما يزعمون
فانظر حال الأمة اليوم ، فيها القتل والتشريد والشريعة معطلة
أليس حضوره وجهاده وإقامته للشريعة أفضل من هيامه في البراري
والصحراء؟!
إذاً هو رجل منبني آدم مثلنا وليس من صلبه
ولد ولادة عادية ولا شيء يثبت عكس ذلك
وكان مولده قريباً من عهد موسى
وإن عاش بعد موسى فقد عاش كما يعيش الناس العاديون
عمرًا عادياً ثم مات

الدرس الثاني:

تواضع!
نحن غيل دوماً لتعظيم أنفسنا
أو بمعنى أدق: نرى أنفسنا الأمهر في مجالها
قلما تجد طبيباً لا يرى أنه الأمهر
وقلما تجد شاعراً لا يرى أنه الأشعر
وقلما تجد معلماً لا يرى أنه الأقدر
وهكذا المهندس والميكانيكي والكهربائي والمرأة التي تطهّو في
البيت!
احترام الذات وتقديرها شيء
والاعتقاد بأننا لا يُشق لنا غبار شيء آخر

إن كان موسى عليه السلام وهو كليم الله
وأحد أولي العزم من الرسل الخمسة الكرام وكلهم كريم
وعلمه وحى لا يحتمل الخطأ
يعاتبه ربَّه أنه لما سُئلَ من أعلم أهل الأرض
قال : أنا

حتىَّا هناك أعلم منك في مجالك
ولنقل أنتَ تفضلُ الناس في أشياء وهم يفضلُونك في أشياء
وهذا في علمك واحتياجاتك
فما بالك في علم غيرك واحتياجاته
رجل كل شيء هو رجل لا شيء!
وما من إنسان إلا ويعرف ويجهل
وقد قال ربنا : «فاسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»
ومحال أن يكون إنسان من أهل الذكر في كل شيء
نبوغك اللغوي لا يعني أن تُطبِّب الناس
تفوقك في الهندسة لا يعني أنك مفتى
براعتك في كهرباء المنازل لا يعني أنك ميكانيكي
احترم علم الآخرين مهما كان بسيطاً بعينك
ربما لو اجتمع الأطباء كلهم لعجزوا عن إصلاح حنفية تقطر ماء
 تماماً كما لو اجتمع مهندسو العالم لعجزوا عن إجراء عملية جراحية
إنَّ من كمال الله أنه استغنى عن خلقه
ومن عظمته أنه أحوجَ النَّاسَ إِلَى النَّاسِ!

سياق القصة يقودنا إلى سؤال مهم هو :
من أفضل : موسى عليه السلام أم الخضر؟!
والجواب بلا ريب أن موسى عليه السلام أفضل
فمقام النبوة لا يعدله مقام آخر
إلا أن يكوننبياً مثله وقد فضل ربه
فنبيناً أفضل الخلق جمِيعاً
يأتي بعده إبراهيم عليه السلام
ثم إن الله أعلم بمرتبة الثلاثة المتبوعين من الخمسة أولى العزم
فلمَّا يكون الخضر أعلم من موسى؟
لأن الأعلم ليس الأفضل

فالأمور لا تُحسب في مجال واحد وإنما تؤخذ جملة
ولتبسيط الأمر نضرب الأمر بالصحابة رضوان الله عليهم جمِيعاً
أبي بن كعب أقرأ من عمر لكتاب الله ولكن عمر أفضل
وخلالد بن الوليد أعلم من أبي بكر في الحرب ولكن أبي بكر أفضل
ومعاذ بن جبل أعلم من عثمان بالحلال والحرام ولكن عثمان أفضل
وقد يفضل أحد الصحابة علياً في أمر ولكن علي بالجملة أفضل
وهذا كذلك!

الخضر أعلم من موسى عليه السلام في أشياء علمه الله إياها
ولكن موسى عليه السلام أفضل من الخضر جملة لمقام نبوته
وموسى الذي عُوتب لأنَّه قال أنه أعلم أهل الأرض
لم يأمره ربه أن يذهب ليتعلم من الخضر

وإنما طلب موسى عليه السلام هذا الأمر بنفسه
إنه تواضع العظام وقد كان موسى عليه السلام عظيمًا
فلا تتحرج في أن تتعلم من هو دونك
وافتدى بموسى عليه السلام وما أحلاه من قدوة
قال فيه ربه آيات يُغبط عليها لقيام الساعة
قال له «واصطنعك لنفسي»
وقال له «ولتصنع على عيني»
وقال له «وألقيتُ عليكَ محبة مني»
وقال له «وأنا اخترتك»
ولكن هذا المختار من قبل الله
الملقاء عليه محبته ، والمصنوع على عينيه ، والمُصطفى لنفسه
لم يشعر أنها إهانة أن يتعلم
إن النبلاء يتواضعون ، فكأن نبيلاً

الدرس الرابع،

قُرِنَ العلم بالمشقة
فإذا كان رغيف خبز لا يُجني بالسَّاهم
فمن باب أولى أن لا يُجني العلم بالسَّاهم
ارتاحل البخاري من بلدٍ إلى بلدٍ طلباً لحديث واحد
وصلى الشافعى الفجر بوضعه العشاء
لأنه أمضى ليته يبحثُ عن جواب لمسألة
وما كان لموسى عليه السلام أن تقعده المشقة عن طلب العلم فارتاحل

لا سيارات تطوي المسافات الطوال في ساعات
ولا طائرات تقطع البلدان برمثة عين
لا مكتبات فيها آلاف المراجع ، خذ من هنا وهناك وكن باحثاً!
لا مكينات تصوير إن أردت العلم فانسخ واكتب بيده
يقطع موسى عليه السلام الفيافي والقفار
إن مرّ العلم ساعة
ولكن مرّ الجهل طول العمر
ومن أدنى مرّة ساعة تجرب مرّ عمراً!

الدرس الخامس:

قال الخضر لموسى عليه السلام أمراً هاماً يجب الالتفات إليه
إنني على علم من علم الله علمنيه لا تعلم أنت
وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمكه!
والعلم قسمان :
الأول علم لدني يعلمه الله من شاء من خلقه
الثاني : علم مكتسب يحصله الإنسان بجهده وبحثه وصبره بعد
 توفيق الله
وإن كان لا سبيل إلى الأول
فإن السبيل مشرع إلى الثاني!
ولقد قال سيدنا : إنما العلم بالتعلم!
وكل ما في الحياة كذلك!
بعضه يهبه الله من دون سبب

وبغضه لا يتحقق إلا بالأسباب الواقعة في قدر الله
والعقل يأخذ بالأسباب كأنها السبيل الوحيد إلى الغايات
وبالمقابل لا ينس أن الغايات بيد الله
إن شاء أن لا يتحققها رغم الأسباب فعل
إن كان الله شفى أبوب عليه السلام بغير طبيب
فلا يعني أن لا نذهب إلى الأطباء
 وإن كان الله رزق مريم ابنا من غير زوج
فلا يعني أن الأولاد يأتون دون زواج
 وإن كان الله حفظ يونس في بطنه الحوت
فلا يعني أن بطون الحيتان أماكن آمنة
 وإن كان الله شق لموسى البحر بعصاه
فلا يعني أن العصي شق البحار
هذا يعني أن كل شيء بقدر الله
ولكن الله جعل لهذا الكون قوانين
لا بد من التعامل معها بجدية وطريقة عملية بعيداً عن أي اعتبار آخر

ولو استغنى أحد عن الأخذ بالأسباب
لكان رسول الله ﷺ أغنى الناس عنها
ولكنه ﷺ لم يزهد فيها
وانظر إليه وهو في طريق هجرته
فأولاً : اتخاذ له رفيقاً
وثانياً : اتخاذ له دليلاً
وثالثاً : اتخاذ من يحضر له الزاد

ورابعاً : اتخاذ من يمحو آثاره عن الرمال
وخامساً : اتخاذ طريقة غير معناد
فلقد أراد أن يعلمنا أن نكون واقعيين وعمليين .

الدرس السادس :

يبني الله تعالى بالصغيرة لينجي من الكبيرة
وإن الابتلاءات تحمل في طياتها رحمة ولكن الناس لا يعلمون!
إما رحمة عاجلة لصلاح الدنيا
أو رحمة مؤجلة لصلاح الآخرة
فلو أبقى الخضر على السفينة صالحة كما هي لأخذها الملك غصباً
فأيهمَا أكثر شرًّا أن تُثقب السفينة
ويشقى أهلها قليلاً في جرها إلى الشاطئ وإصلاحها ، أم خسارتها كلها؟
لا شك أن بعض الشر أهون من بعض ولكن الناس لا يعلمون!
ومات أهل السفينة ولم يعلموا أن هذا الشر هو خير
ولولا خبر القرآن ما علمنا نحن أيضاً
لو كانت الحياة تضمننا في خيار بين الخير والشر لكانـت هينة
لكنها غالباً ما تضمننا في خيار بين شر وأخر
والعادل هو الذي اختار خير الشررين
وقد قال عمر بن الخطاب : ليس العاقل من عرف الخير من الشر
وإنما من عرف خير الشررين
خذ دوماً بأقل الأضرار وأقل الخسائر
إتلاف البعض للحفاظ على الكل

ألا ترى الأطباء يُسقطون الجنين للحفاظ على الأم
ويبيترون يدًا أو قدماً للحفاظ على الجسم
الخيارات أحياناً تكون مؤلمة ولكن فينا عقل لاختار!
الصبر على إهانات العمل خير من البطالة
ولا أدعو لتحمل الإهانات إنما للصبر ريشما يتحصل البديل
وأحياناً صبر زوجة على زوجها رغم سوء أخلاقه
هو الأفضل لها ولأولادها
لأنها ستكون بين خيارين أحلاهما مر
والعاقل من يختار الأقل مرارة
وقد يكون صبر زوج على زوجته خير من طلاقها
لأن الحل الذي نأخذه في مشكلة
قد يفتح مشكلة أكبر من الأولى التي اخترنا لها حلاً!
وأما الابتلاء لإصلاح الآخرة
 فهو ما حدث في قتل الغلام
ثمة أشياء لا يفهمها الناس لأنهم لا يحيطون بها علمًا
من أين للأبوبين المؤمنين أن يعرفا أن ابنهما هذا
لو كبر فإنه سيكون كافراً ويفتنهما في دينهما
فاختار الله لهما خير الشررين
فلا شك أن فقدان الولد أقل شرًا من الكفر
ولا شك كذلك أنه إن ابتنى فقد ألهم الصبر
حين يأخذ منه شيئاً فأنت لا تعرف الحكمة
ولكن كن على ثقة ليس كل ما تراه شرًا هو كذلك فعلاً
وليس كل ما تراه خيراً هو كذلك فعلاً
والخيرة فيما اختاره الله!

إذا خفت على مستقبل أولادك بعده
 فلا تفتح لهم حساباً في البنك ، ولا تجمع لهم ميراثاً ضخماً
 وإن كان هذا أمر حسن
 ولكن أمن عليهم عند الله ، وكن صالحاً!
 فإن من لم يترك إلا الميراث فقد ترك الأولاد للأسباب
 ومن ترك التقوى فقد ترك الأولاد لرب الأسباب
 ولا شك أن الأسباب تذهب ويبقى الله
 وانظر لثمرة التقوى عند الله
 عبد صالح من عباد الله لا نعلمه نحن
 ولا يعلمه موسى عليه السلام والحضر كذلك
 ولكن الله يعلمه ، وكفى له شرفاً
 هذا المجهول في الأرض ، المعروف في السماء
 أرسل الله نبياً من أولي العزم من الرسل وعبدًا صالحاً
 ليقيما جداراً تحته كنز لأولاده
 أبعد هذا التأمين على الحياة تأمين؟!
 دخل مقاتل بن سليمان على المنصور يوم بُويع بالخلافة
 فقال له المنصور : عظني يا سليمان
 فقال : أعظمك بما رأيتُ أم بما سمعتُ؟
 فقال : بل بما رأيتَ
 فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عمر بن عبد العزيز
 أنجب أحد عشر ولداً وترك ثمانية عشر ديناراً

كُفَن بخمسة دنانير ، واشترى له قبر بأربعة دنانير
 وزَعَ الباقي على أبنائه
 وهشام بن عبد الملك أئبْحَ أحد عشر ولدًا
 وكان نصيب كل ولد ألف ألف دينار
 والله يا أمير المؤمنين لقد رأيْتُ في يوم واحد
 أحد أبناء عمر بن عبد العزيز يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل
 الله
 وأحد أبناء هشام يتسول في الأسواق !

الدرس الثامن

تعلمنا هذه القصة الأدب مع الله
 وما أحوجنا لأن نتعلم هذا في زمن كثُر فيه التسخط والتشكي
 وكل ما فعله الخضر إنما كان بأمر من الله كما تبين
 ولكنه كان أدبياً وهو يخبر عن الله
 فجعل القدر الذي ظاهره شر منسوب إلى نفسه
 والقدر الذي هو خير منسوب إلى الله سبحانه وتعالى
 وهو يخبر موسى عليه السلام بما كان منه فيقول :
 «أما السفينة فكانت لغلامين يتيمين في المدينة فأردت أن أعييها
 وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً»
 فأردت أن أعييها !

ما أحلاه من أدب ، وما أعدبه من تأدب
 كان ينفذ أمر الله بالحرف ولكنه نسب الفضل لنفسه

وكذلك كان أدبياً في كلامه عن قتل الغلام :
«أما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طفياناً وكفراً
فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحمة»
هنا أشرك نفسه بضمير الجميع «أردنا»
وذلك أنه من أدبه مع الله قسم العمل بينه وبين الله
في هذا الفعل «قتل» و«رحمة»
 فهو المنوط بفعل القتل رغم أنه وحى
والله المختص بالرحمة
وكذلك كان أدبياً في كلامه عن الجدار :
«أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما
وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجوا
كنزهما»
«أراد ربك»

نسب الفعل كله لله ، ذلك أن الفعل هنا خير كله
خير من إكرام العبد الصالح بابنيه ، وخير من حفظ الكنز إليهما
والأدب مع الله كثير في القرآن الكريم لا يتسع له المقام
ونضرب أمثلة خفيفة منه فالكلام يجر بعضه بعضاً
يقول الله تعالى لعيسى ابن مريم :
«أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله»
كان يكفي أن يقول عيسى عليه السلام : لا
وهو جواب حسن للسؤال ويفي بالمراد
ولكن هذا ليس أدب الأنبياء مع الله
 وإنما قال : «إن كنت قلت فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما

في نفسك سبحانك إنك أنت علام الغيوب ﴿

وكان إبراهيم عليه السلام أدبياً مع الله كذلك يوم قال
﴿الذى خلقني فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا
مرضتُ فهو يشفين﴾

إنَّ المرض بيد الله وهو المبتلي به

ولكن إبراهيم المؤدب مع ربه نسب المرض إلى نفسه
فقال : إذا مرضتُ

ونسب الشفاء لله ، فقال : ﴿فهو يشفين﴾

فنسب كل خير لله ، الخلق والهداية والإطعام والسدقة

ولكن لأنَّ المرض في ظاهره شر نسبه لنفسه

وكذلك أبوب عليه السلام كان مؤدبًا مع الله
﴿إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾

فلم يقل ربي سلطت علىَّ المرض

رغم أنه يعرف أنَّ ما نزل به من بلاء من الله

بل قال : مسني الضر ، هكذا وكأنَّ الضر جاء وحده

فأدبياً مع الله لم ينسب الشقاء له

حتى أنه لم يطلب الشفاء صراحة

مع أنه لو طلبه ما كان في الأمر شيء

إنما قال : وأنت أرحم الراحمين

إنه أدب الطلب الذي يأخذ شكل الثناء والتنزيه

وكذلك كان آدم عليه السلام مؤدبًا مع الله فقال :

﴿ربنا ظلمتنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين﴾

رغم أنه مر معنا في حوار آدم وموسى عليهما السلام

أن آدم قد حجَّ موسى وبأن ما حدث أمر قد كتبه الله
ولكن قارن بين كلام آدم مع عبد مثله
وبين كلامه مع ربه

ففي الأول يُدافع عن نفسه ، يتحدث عن مشيئة الله
وفي الثاني ينسب الظلم لنفسه مع أنه قدر الله قبل خلقه
حتى الجن كانوا في غاية الأدب مع الله فقالوا :
«إِنَّا لَا نَدْرِي أَشَرَّ أُرِيدَ بْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رِشْدًا»
إنَّ الشَّرَّ يَقْعُدُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ
ولكنهم عندما تحدثوا عن الشرَّ جاؤوا بالفعل المبني للمجهول «أُرِيدَ»
وعندما تحدثوا عن الخير والرشد والهداية
نسبوا ذلك إلى الله صراحة «أَرَادَ بِهِمْ رِشْدًا»

رجل مُسرفٌ على نفسه

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ

قال :

كان رجلٌ يُسرفُ على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبنيه
إذا أنا متُ فأحرقوني ، ثم اطحوني ، ثم ذروني في الريح
فوالله لئن قدر الله عليٌّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً
فلما مات فعل به ذلك .

فأمر الله الأرض فقال : اجمعني ما فيك

ففعلت ، فإذا هو قائم ،

قال : ما حملتَ على ما صنعتَ؟

قال : خشيتك يا رب ، أو قال : مخافتكم

فغفر له

مكتبة الرمحي أحمد

الدرس الأول :

في هذا الحديث نرى هذا الرجل وقد أسرف في المعاصي
أو كما في رواية أخرى : «لم ي عمل خيراً قط»
نراه وقد حانت لحظة خروجه من الدنيا
وليس لديه ما يلقى الله به من عملٍ صالح
بل ليس لديه إلا سيناته

يجتمع حوله بسوه فلا يجد وقد شارف على النهاية إلا أن

يوصيهم

بحرقه أولاً ليتخلص من جلده ولحمه
ثم يوصيهم أن يطحنه ليتخلص من عظمه
ثم خشية أن يكون رماده دليلاً على وجوده
أوصاهم أن يذروه في الريح كي يتشتت في بقاع الأرض
فلا يبقى له أثر ، يدل على مكانه
وكل هذا لماذا؟

لأنه علم أن عذاب الله شديد
وأنه حين يمثل بين يديه لن ينجيه من هذا العذاب أحد
وهو مقر باستحقاقه هذا العذاب

و قبل هذا مقر بوجود العذاب ، لأنه مؤمن بوجود من سيعذبه
ألا وهو الله جل في علاه
يعلم أن الفسحة التي كانت لديه على ظهر الأرض قد ضاقت
فأراد أن ينجو ما ينتظره تحتها
يعلم أن المهلة التي كانت تزيّن له ارتكاب الذنب قد انتهت
فأراد أن يهرب من الحساب عليها وقد آوانه
أراد أن يذهب أدراج الرياح

لأن في داخله يقين تام بأنه مُعذب لا محالة ، وليس لديه عذر
يأتي به الله
ولا عمل يشفع له عنده
وربما بجهل منه أو لعجز منه قد فاته أنه ذاهب إلى «من يحي
العظام وهي رميم»!

العبادات القلبية هي أساس كل العبادات وركيذتها
ولا يُعد عمل الجوارح شيئاً بدونها
فالصلة دون خشوع ليست إلا حركات جسدية
ما يعطيها معناها هو استشعار مناجاة الله بقلبك
والصوم دون تقوى مجرد حمية قاسية
ما يعطيها معناها هو فكرة أن تترك طعامك وشرابك وشهوتك
لأجل الله وأنت قادر عليها
والحج ليس رحلة سياحية بل مناسك روحانية
إذا لم تنس قلبك فقد فقدت معناها أيضاً
ومخافة الله من عبادات القلب
فلو لم يكن الإيمان بوجود الله ما كان الخوف منه
وصاحبنا في القصة آمن بالله ولكنه عصاه
وليس أي عصيان
بل أسرف على نفسه في المعاصي
ولم يترك سبيلاً يرجو من خلاله رحمة الله
فعلم أنه هالك ، وأن الغفور الرحيم هو شديد العقاب أيضاً
والذي **«وَسَعَتْ رَحْمَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ»** **«لَا يَغْفِرُ أَنْ يَشْرُكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ»**
يعلم ما في قلبك ، ويدرك ما في نفسك
يتحبب إليك بالنعم ، وينتظرك على باب التوبة بمغفرته
من أتاه بقرب الأرض خطايا ، جاءه بقربها مغفرة

إذا رجوت غفرانه مهما بلغ من ذنبك قال لك :
«غفرت لك ولا أبالّي»

علمَ أنَّ هذا الرجل الذي لم يعش يوماً في طاعته
علمَ ما في قلبه من الخوف منه
فأُمِّنه ، وغفر له

لأنَّه الكَرِيم ، والكَرِيم لا يليق به إلا العفو عنمن اعترف له بذنبه
وخشى منه عذابه وعقابه
خاف الله ، ولو متأخراً ، فجزاء الله عن خوفه أمناً وعفواً وغفراناً

الدُّرُسُ الثَّالِثُ:

الخوف من الله درجات
فهناك من يردعه خوفه من ارتكاب المعصية
وهناك من يجعله خوفه يندم على ارتكاب المعصية
والسعيد من دفعه خوفه للتوبة قبل الممات
والندم قبل الفوات
ولا يلزم المرء أن يكون عاصياً ليخاف الله ، وإن كان أهل المعصية
أولى بالخشية
ولكن من معرفة قدر الله أن تخشاه وتقيه
فهذا عمر بن الخطاب ، الورع التقي
يخشى أن لا تشمله رحمة الله أو أن يمسه عذابه
فيقول عَنْهُ اللَّهُ
«لو نادى منادٍ من السماء

أيها الناس ، إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً ،
لخلفتُ أن أكون هو
ولو نادى مناد :
أيها الناس ، إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً ، لرجوتُ أن أكون
هو ٠

والخوف من الله شطر من الإيمان به
إذا وقر في القلب لم يصرف لغيره
المؤمن لا يخاف إلا الله

يعلم أن رزقه بيده فلا يخشي أن يقطعه أحد غيره

يعلم أن موته وحياته بيده فلا يخشي أن يأخذ روحه دون الله أحد
يعلم أن الناس أسباب وأن مصائرهم جمِيعاً بيده من إذا قضى أمراً
فإنما يقول له كن فيكون

مديرك في العمل مجرد إنسان رزقه ورزقك بيده الله
الوزير والأمير والملك وشيخ القبيلة
كلهم بشر تحت حكم رب واحد

مقاييس التمايز بين العباد عنده هو التقوى
فاحفظ للناس مقاماتهم ولكن لا ترفع أحداً فوق قدره
ولا تشرك أحداً في خوفك من الله
احترام مكانة شخص ، أو عمره ، أو منصبه ، أو مقامه
لا يعني أن تظن أن مصيرك بيده
أو أن رضاه مقدم على رضا خالقك

أو أن من حقه أن يستعبدك ، أو يجتاز حدود صلاحياته معك
 علينا أن ندرك أن الله أكبر من كل شيء ، ومن كل أحد

وأن الخوف منه ليس كالخوف من سواه
الخوف من الله نجاة
فلا تصرف هذه العبادة لغير من هو أهل لها

الدرس الرابع:

الاعتراف بالحق فضيلة
والاعتراف بالحق شجاعة ، حتى وإن كان الخوف دافعه
وأصدق أنواع الاعتذار هو اعتراف المرء بخطئه
وأبشع أنواع الخطأ هو خطأ نبرره ، ونلتئف عليه بالأسباب
والمسوغات
إذا أخطأت فاعترف بذلك فالبشير خطاؤون بالطبيعة
وإذا جاءك من يعترف بخطأ ارتكبه في حقك
فكن من الكرام الذين لا يتعالون على غيرهم مجرد أن جاؤوهم
نادمين أو خائفين
الكريم يغفو حين تدعوه قدرته للعقاب
والكريم أيضاً يقر بخطئه حين تزل قدمه
أو يصدر منه ما لا يليق من قول أو عمل
الخطأ جزء من الطبيعة الإنسانية
حتى يكاد الخطأ أن يكون أحد فضائل البشرية
فمن خلاله يتعلمون ، ويدركون ، وتهذب نفوسهم
لأننا بالخطأ نتذكرة بشريتنا ، ونضعفنا ، فنعود إلى أنفسنا
نراجعها ، نحاسبها ، ونفهم ما لم نكن لنفهمه لو لم نخطئ

نخرجها من وهم الكمال ، وظلمة الغرور

وفي الحديث : «**قَالَ النَّبِيُّ ﷺ**

«لَوْلَمْ تُذَنِّبُوا لَخَفْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْ ذَلِكَ ، الْعَجْبَ»

فقد يكون انكسار العبد لذنب اقترفه أحب إلى الله من عجب
العبد بعمله الصالح

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال :

«لَوْلَمْ تُذَنِّبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذَنِّبُونَ فَيَغْفِرُ
لَهُمْ»

الدَّرْسُ الْخَامسُ :

الإيمان بعد فوات الأوان لا ينجي صاحبه
فالله تعالى يقول

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ
قَبْلِ أَوْ كَسْبِتِ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾

ومن هذا ما حدث مع فرعون حين أغرقه الله هو وجنوده
وجعلت الأمواج ترفعهم وتختضبهم

وتراكمت الأمواج فوق فرعون ، وغشته سكرات الموت
فقال وهو كذلك : ﴿أَمَنْتَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلُ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

فأمن حيث لا ينفعه الإيمان

ولهذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال
﴿أَلَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

﴿لما قال فرعون أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل﴾

قال لي جبريل : لو رأيتك وقد أخذت من حال البحر / طينه الأسود

فدسسته في فمه مخافة أن تناه الرحمة !

فرعون أنكر الله في حياته جهراً

ليس هذا وحسب ، بل قال للناس : «أنا ربكم الأعلى»

وأذاق من آمن بالله منهم ويلات العذاب

حتى الدقيقة الأخيرة من حياته كان يطاردهم لأنهم آمنوا بربهم

أما صاحبنا في الحديث فقد كان مؤمناً بالله

غلبته معاصيه ، وطغت عليه ذنوبه

وقد يغفر للعبد ما بينه وبين الله

ولكن ما بينه وبين الناس لا يغفر إلا بالأداء أو المسامحة

وهذا من عدل الله ، وإن كان هو رب العباد جميعاً ، وأمرهم جميعاً بيده

إلا أنه لا يضيع حق عباده ، بل يقضى بينهم بالحق وهو أرحم

الراحمين

فلا يغفر للسارق حتى يرد حق من سرقه أو يسامحه من له الحق

ولا يغفر للمغتاب إلا أن يطلب العفو من اغتابه أو يعطيه من

حسناته

ولا يغفر للظالم حتى يرد على المظلوم مظلومته ، أو يقتضي له من

ظلمه

فالذى حرم الظلم على نفسه ما كان ليرضاه لغيره مهما بلغ ملكه أو

مكانته

بل يقتضي حتى للدواب من بعضها ، فكيف بالبشر

تنفيذ الوصية هي حق الميت على الحي
وتنفيذ وصية الوالدين نوع من البر بهما
ولكنها كطاعتهما وهم على قيد الحياة ، مشروطة بعدم كونها في
معصية

أو جالبة لضرر لا مبرر له

ولكننا نرى الأبناء هنا ينفذون وصية والدهم
بحرقه ، وطحن عظامه ، ونشر رماده في مهب الريح
هذا البر العجيب ، والطاعة العمياء

تدعوا إلى الدهشة ، بقدر ما يدعوا إليها طلب والدهم نفسه
وقد يشفع لهم برهم بوالدهم ما أقدموا عليه
كما شفع لوالدهم خوفه من الله

ولا يحتاج الأبناء دائمًا لوصية الآباء لبرؤهم بعد موتهم
فهم إذ انقطعوا من الدنيا فقد بقي رابط لهم بها من خلال أبنائهم
استغفار لأبيك في الأسحار هو نوع من البر

دعوة له في ساعة إجابة بر
صدقة منك عنه لحتاج بر

حسن خلق منك بين الناس يجعلهم يدعون لمن رباك بر
صلة منك لأهل رحمه وأهل ودته بر
البر الحقيقي للوالدين يبدأ بعد وفاتهم ، وإن كان في حياتهم لا يقل
أجرًا أيضًا

ولكن الحي يستزيد لنفسه ولو باستغفار

أما الميت الذي انقطع عمله إلا من ولد صالح يدعوه
 فهو بأمس الحاجة لأن يكون هذا الولد صالحًا
 وأن لا يقطع عنه دعاءه له
 فلا تنسوهم وقد تقطعت بهم السبل إلا منكم

يونس عليه السلام

روى أحمد في المسند أنَّ رسول الله ﷺ قال :
إنَّ يُونسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ وَعْدُ قَوْمِهِ الْعَذَابَ
وَأَخْبَرُهُمْ أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اعْتَزَلُهُمْ
فَفَرَقُوا بَيْنَ كُلِّ وَالِّدَةِ وَوَلَدِهَا
ثُمَّ خَرَجُوا فَجَأْرُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَغْفَرُوهُ
فَكَفَّ اللَّهُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ

وَغَدَّا يُونَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْتَظِرُ الْعَذَابَ ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا
وَكَانَ فِي شَرِيعَتِهِمْ مِنْ كَذْبٍ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَيْنَةٌ قُتُلَ
فَانْطَلَقَ مَغَاضِبًا

حَتَّى أَتَى قَوْمًا فِي سَفِينَةٍ ، فَحَمَلُوهُ وَعَرَفُوهُ
فَلَمَّا دَخَلُوا السَّفِينَةَ رَكَدُوا
وَالسَّفَنُ تَسِيرُ بَيْنَهُمَا وَشَمَالًا
فَقَالُوا : مَا بِالسَّفِينَتِكُمْ؟!
قَالُوا : مَا نَدْرِي!

قَالَ : وَلَكُنِي أَدْرِي ، إِنَّ فِيهَا عَبْدًا أَبْقَى مِنْ رَبِّهِ
وَاللَّهُ لَا تَسِيرُ حَتَّى تَلْقَوْهُ
قَالُوا أَمَا أَنْتَ وَاللَّهُ يَا نَبِيَّ اللَّهُ لَا نَلْقِيكَ
فَقَالَ لَهُمْ يُونَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اقْتَرِعُوا ، فَمَنْ قُرِعَ فَلِيَقْعُ
فَاقْتَرِعُوا فَقُرِعَ يُونَسُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ
فَوَقَعَ ، وَقَدْ وَكَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَ - بِهِ الْحَوْتُ
فَلَمَّا وَقَعَ ابْتَلَعَهُ فَأَهْوَى بِهِ إِلَى قَرَارِ الْبَحْرِ

فسمع يونس عليه السلام تسبح الحصى
﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ
الظَّالِمِينَ﴾

ظلماتٌ ثلَاثٌ : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل
ثم ألقاه الحوت كهيئه الفrex المعموظ الذي ليس عليه ريش
وأنبتَ الله عليه شجرة من يقطين
فكان يستظل بها أو يصيَّب منها فيبست
فبكى عليها حين يبست
فأوحى الله إليه

أتبكِي على شجرة أن يبست ولا تبكِي على مائة ألف أو يزيدون
أردتَ أن تهلكهم !؟

فخرج فإذا هو بغلام يرعى غنماً
فقال : من أنتَ يا غلام !؟
قال : من قوم يونس

قال : فإذا رجعت إليهم فأقرئهم السلام ، وأخبرهم أنك لقيتَ يونس
فقال الغلام : إن تك يونس ، فقد تعلم أنه من كذب ولم يكن له
بينة قُتل ، فمن يشهد لي !؟

قال : تشهد لك هذه الشجرة وهذه البقعة
فقال الغلام ليونس : مُرْهُما

فقال لهما يونس عليه السلام : إذا جاءكم هذا الغلام فاشهدا له
قالتا نعم !

فرجع الغلام إلى قومه ، وكان له إخوة ، فكان في منعة
فأتى الملك فقال : إني لقيتَ يونس ، وهو يقرأ عليكم السلام

فأمر به الملك أن يُقتل

فقال : إن له بينة

فأرسل معه ، فانتهوا إلى الشجرة والبقة

فقال لهما الغلام : نشدتكما بالله ، هل أشهدكما يonus؟!

قالتا : نعم

فرجع القوم مذعورين ، يقولون : تشهد لك الشجرة والأرض

فأتوا الملك فحدثوه بما رأوا

فتناول الملك يد الغلام فأجلسه في مجلسه

وقال : أنت أحق بهذا المكان مني

وأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة

الدرس الأول :

إن الله تعالى فضل الناس بعضهم على بعض

وإن الأنبياء من الناس ، وبعضهم أفضل من بعض

وانهم يتفاصلون في مقام النبوة فيما بينهم

وليس عند الله منزلة لأحد من الناس فوق مقام النبوة

فإن كنا نؤمن أنهم -سلام الله عليهم- بينهم مفاضلة

فالأدب معهم جميعاً فرض ، وحبهم عبادة

وما يقع منهم من أخطاء مردّها بشريتهم

فهذا إنما وقع بأمر الله لنتعلم ونتعظ ونستفيد

وإن العصمة التي حبا الله بها أنبياءه إنما هي عصمة في الدين

والبلاغ

وعصمة في الأخلاق ، فلا يأتون الرزايا ويستحيل أن يقع منهم
الكذب

ولكنهم في أمور دنياهم بشر وناس
وما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة
وجد أهلها يُؤبرون النخيل ؟ أي يلقحونه
فقال لهم : لم تلقحونه ؟ ألا تفعل الريح ؟
فهموا منه ؛ أي دعوا تلقيحه
فلما لم يلقحوه ، لم يحمل عامه ذاك
فلما راجعوه قال لهم : أنتم أعلم بأمور دنياكم
وقد غضب موسى عليه السلام يوم اتَّخذ قومه العجل إلهًا من دون
الله

حتى قال له أخوه هارون عليه السلام :
﴿يا ابن أم لا تأخذ برأسى ولا بلحيتي﴾
وهم أكرم من أن نتناول ما وقع من بعضهم لهذا أمسك
وإن يونس عليه السلام وقع منه ما وقع مدفوعًا ببشريته
فالله أوحى إليه أن يخبر قومه أن العذاب واقع بهم بعد ثلاثة أيام
فاعترضهم ، وأخذ يرقب العذاب الذي سيحل بهم
ولكن العذاب لم يقع
وذلك أنهم قرروا أن يتوبوا توبة صالحة
وبلغ من عظيم صدقهم في التوبة
أنهم فصلوا أولاد الناس عن أمهاتهم ، وأولاد البهائم عن أمهاتهن
فقد أرادوا أن يستعطفوا الله سبحانه وتعالى
ولكن هذا غاب عن يونس عليه السلام

لأنه إنسان ولا يعلم بما لم يشهد إلا بوحى من الله
فخرج غاضبًا لسبعين

الأول : أن العذاب لم يقع على قوم كذبواه

والثاني : أنه كان من عادة القوم قتل الكاذب

فلما أتى شاطئ البحر وطلب من أهل السفينة أن يركبواه

سارت سفن الناس جمِيعاً إلا السفينة التي تحمله

فأخبرهم يونس عليه السلام أن معهم عبداً آباءً - يعني نفسه -

وطلب منهم أن يلقوه فرفضوا

ثم اقترح عليهم أن يعملوا قرعة

وقد اقترعوا ثلاثة مرات ، وفي كل مرة تأتي القرعة عليه

فاللقي نفسه بنفسه ، فأرسل الله الحوت فابتلعه

ولا شك أنهم لما رأوا هذا أيقنوا بهلاكه ، فأخبروا القوم

لهذا طلب الغلام ببينة من يونس عليه السلام

وظاهر القرآن أنه عاد إلى قومه بعد هذا ، فكان فيهمنبياً كما من

قبل

وقد أمرنا رسولنا كما في البخاري أن نحفظ مكانة يونس عليه
السلام :

«لا يقل أحدكم إني خير من يونس بن متى!»

الدرس الثاني :

إن التوبة ترفع العذاب ، والدّعاء يرد القدر!

وتفسير هذا الفعل ، أن لله قدران كتبهما

الأول قدر أن يرسل العذاب
 والثاني قدر أن يرد الدعاء والتوبه هذا العذاب
 وما أخبر به يومن عليه السلام ، قدر الله الأول
 وقد بلغ عن الله ما أمر به
 ولكن الذي لم يعلمه هو قدر الله الثاني الذي رد قدره الأول
 وهذا شيء لا بد منه لفهم ما حذر بالضبط
 فلا تفترط بالتوبه والدعاء
 فرب عذاب نازل رده توبه صادقة
 ورب قدر تكرهه رده الله بدعاه صادق يقبله

الدرس الثالث، مكتبة الرمحى أحمد

طباع الناس تختلف ، والأنبياء من الناس !
 وعندما استشار نبينا صلوات الله عليه وآله وسلامه أصحابه في أسرى بدر
 إذ لم يكن بين يديه نص في الأسرى
 اقترح أبو بكر رضي الله عنه أن يأخذ المسلمين الفداء
 واقتصر عمر رضي الله عنه قتلهم حتى تهابهم العرب
 فقال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قولًا جميلاً في الطياع ، هذا سياقه
 يا أبا بكر ، أنت كعيسى ابن مريم إذ قال
 «إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم»
 وأنت يا عمر كنوح إذ قال :
 «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا»!
 الكريم سيبقى كريماً والبخيل سيبقى بخيلاً

الخليم سيبقى حليماً والغضوب سيبقى غضوبًا
إن الإيمان يلجم الناس ولكنه لا يُغير طباعهم
وفي الحديث : الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في
الإسلام إذا فقهوا

أبو بكر كان شفيراً في الجاهلية وفي الإسلام
وعمر كان حازماً في الجاهلية وفي الإسلام
وخلالد كان فارساً مقداماً في الجاهلية وفي الإسلام
ولكن هذا الكلام ليس مبرراً أن يبقى من كان فيه خلقاً سيئاً عليه
وإن النفوس ترتفع بالمجاهدة
وإن الناس يتغاضلون بقدرتهم على ترويض أنفسهم
وإلا فلا يوجد رجل لا يشتهي النساء
ولا توجد امرأة لا تشتهي الرجال
فهل يُطلق الناس العنان لشهواتهم
لا يوجد إنسان يكره المال
ولكن هناك إنسان يُهذب شهواته فيجمع من حلال
وهناك إنسان يسقط في الاختبار فيجمع من حلال أو حرام لا فرق
عنه

الدرس الرابع.

القرعة ليست عملاً اعتباطياً
ولكنها في كثير من الأحيان تدفع المخرج ، وهي أمر مندوب
ولا تستغرب إذ أخبرك أنها سُنة الأنبياء

وقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد الغزو
اقترع بين نسائه ، فـأـيـهـنـ خـرـجـ اـسـمـهـ أـخـذـهـاـ
وفي هذا دفع للخرج عنه ﷺ
وتطييب لقلوب زوجاته رضي الله عنهن
فلو اختار واحدة بنفسه
لبقي في نفوس الآخريات شيء
ولكان هذا فيه شيء من عدم العدل بين الزوجات
ولكن القرعة حلّ عبكري يهدى النفوس والقلوب
فلا نزهد بهذه الطريقة فلربما احتجنا إليها
شهدتُ مرة على جمعية مال من التي ينظمها الناس
فيفدفع كل واحد منهم مبلغًا ويأخذ المبلغ أحدهم
وهكذا حتى يأتي الدور على الجميع
وتنازع ثلاثة منهم كلٌّ يريد الدور الأول
أما البقية فلم يكونوا بحاجتها
فقلتُ لهم : أنتم ثلاثة ، نكتبُ أسماءكم على أوراق
ونسحب الأوراق واحدة تلو الأخرى
فمن كان اسمه أولاً أخذها أولاً وهكذا
فرضي الجميع ، ورفع الحرج عن منظم الجمعية إذ لم يفضل صديقاً
على آخر

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَطْلُقُ الْقُدْرَةِ

أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ ، يَقُولُ لِلشَّيْءِ : كُنْ فَيَكُونُ
هَذَا الْحَوْتُ الْمُفْتَرِسُ الْمُقْتَاتُ عَلَى الْلَّحْمِ
أَمْرٌ أَنْ يَبْتَلِعَ يُونُسَ وَلَا يَهْضُمُهُ !

وَمَا أَصَابَ يُونُسَ مِنْ أَضْرَارٍ بِحُكْمِ طَبَيْعَةِ الْمَعْدَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ
عَصَارَاتٍ هَاضِمَةٍ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى لَحْفَظَهُ مِنْهَا أَيْضًا

إِنَّ الَّذِي جَعَلَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
لَقَادِرٌ أَنْ يَجْعَلَ بَطْنَ الْحَوْتَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى يُونُسَ
وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَحْفَظُ عِبَادَهُ بِالْقَدْرِ الَّذِي شَاءَ

وَيَصِيبُ بِالْقَدْرِ الَّذِي شَاءَ

وَلَا أَدْرِي إِنْ كَانَ يَصْحُّ أَنْ أَقُولُ :

إِنَّ التَّفَاوْتَ فِي حَفْظِ اللَّهِ لِإِبْرَاهِيمَ وَيُونُسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
نَاتِحٌ عَنْ مَا قَامَ بِهِ كُلُّ مِنْهُمَا

فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي التَّزَمَ أَمْرَ اللَّهِ بِحَذَافِيرِهِ
خَرَجَ مِنَ النَّارِ لَمْ يَسْسِهِ سُوءٌ

وَإِنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ خَرَجَ غَاضِبًا لِأَنَّ الْعَذَابَ لَمْ يَقُعْ
إِغَا خَرَجَ بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ ، فَحَفَظَ حَيَاتَهُ كَانَ مَكْرَمَةً لِنَبِيِّهِ
وَمَا أَصَابَهُ مِنْ سُقُمٍ كَانَ تَطْهِيرًا لِمَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ

الدَّرْسُ السَّابِعُ

أَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ!
وَإِنْ كَانَا أَمْرَنَا بِالْإِحْسَانِ مَعَ الْجَمِيعِ
فَإِنَّا أَمْرَنَا أَنْ تَوْلِيَ الْإِحْسَانَ مَعَ بَعْضِ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ
وَإِنْ قَوْمًا يُونَسَ لَمْ يَلْقَوْهُ فِي الْبَحْرِ فَيُ أولَ قَرْعَةَ
إِكْرَامًا لِمَكَانِتِهِ بَيْنَهُمْ
وَقَدْ أَكْرَمَ نَبِيُّهُ ابْنَةَ حَاتَمَ الطَّائِيَّ
لِقَامِ أَبِيهَا فِي الْعَرَبِ وَكَرْمِهِ
خَالِدُ الْفَارِسِ وَالْقَائِدِ جَعْلَهُ النَّبِيُّ نَبِيُّهُ قَائِدًا
وَعَكْرَمَةُ الْأَسْدِ الْهَصُورِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَسْلَمَ مِيمَنَةُ الْجَيْشِ فِي الْيَرْمُوكَ
أَقْلِ عَثَرَةُ الْكَرِيمِ إِذَا تَعْثَرَ
الضِيَقَةُ تَقْعُدُ بِالنَّاسِ كَرِيمُهُمْ وَوَضِيعُهُمْ
وَنَجْدَةُ الْكَرِيمِ تَخْتَلِفُ عَنْ نَجْدَةِ الْوَضِيعِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ
مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْأَلُ إِذَا احْتَاجَ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْوِيْتُ جَوْعًا وَلَا يَسْأَلُ أَحَدًا لِقَمَةَ
هَؤُلَاءِ احْفَظْ مَاءَ وَجْهَهُمْ مَنْ ذُلَّ السُّؤَالُ
وَقَدْ سُئِلَ نَبِيُّهُ : أَيُ الرَّقَابُ أَفْضَلُ؟
فَقَالَ : أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا!

إياك والكذب

سُئل رسول الله ﷺ : أيكون المسلم جباناً؟

فقال : نعم

أيكون المسلم بخيلاً؟

قال : نعم

أيكون المسلم كذاباً؟

قال لا!

فالكذب خلق مذموم اتفق الجميع على قبحه
والناس قدّيماً وحديثاً في هذا سواء

وقد كان قوم يونس يكرهون الكذب لدرجة جعلوا عقوبته الموت
وما فرّ يونس إلا لهذا كما تقدّم

وقد طلب الغلام بينة مخافة أن يُتهم بالكذب فيُقتل
فإن كان هؤلاء وهم قوم كافرون كذّبوا نبيهم
كرهوا الكذب وقتلوا عليه

فكيف يكون المسلم الذي آمن بالصادق الأمين بعد ذلك كذاباً؟

يُوشعُ بْنُ نُون

روى البخاريُّ ومسلم في صحيحهما أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ :
غزا نبيٌّ من الأنبياء
فقالَ لِقومِه : لا يتبعُنِي رَجُلٌ مَلِكٌ بُضُعَ امرأةٍ
وهو يريدهُ أن يبنيَّ بها ولا يَبْنِ بها
وَلَا أَحَدٌ بَنَى بَيْوَنَا وَلَمْ يَرْفَعْ سَقْوَفَهَا
وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا
فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَةُ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ
فقالَ لِلشَّمْسِ : إِنِّي مَأْمُورٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ
اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا
فَحِبِّسْتَهُ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ
فَجَمِعَ الْغَنَائِمَ ، فَجَاءَتِ النَّارُ لِتَأْكِلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا
فقالَ : إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا ، فَلِيُبَيِّنَنِي مِنْ كُلِّ قَبْيَلَةِ رَجُلٍ
فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ
فقالَ : فِيكُمُ الْغُلُولَ ، فَلِيُبَيِّنَنِي قَبْيَلَتِكَ
فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ بِيَدِهِ
فقالَ : فِيكُمُ الْغُلُولَ
فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مُثْلِدٍ رَأْسَ بَقَرَةٍ مِنَ الْذَّهَبِ
فَوَضَعُوهَا فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا
ثُمَّ أَحْلَلَ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحْلَلَهَا لَنَا

النبيُّ المشار إليه في هذه القصة هو يوشع بن نون عليه السلام وهو الذي ورد ذكره في القرآن الكريم «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ يُوشعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا فِي حَيَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا كَانَ الْحَالُ مَعَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَإِنَّمَا أَصْبَحَ نَبِيًّا فِي سَنَوَاتِ التَّيْهِ الْأَرْبَعِينَ فَبَعْدَ أَنْ أَنْجَى اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَطْشِ فَرْعَوْنَ وَشَقَّ لَهُمُ الْبَحْرَ طَرِيقًا يَبْسَأُ

ذَهَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ وَفِي غِيَابِهِ جَمَعَ السَّامِرِيُّونَ الْذَّهَبَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ مِنْ مَصْرَ وَصَنَعُ لَهُمْ عَجْلًا وَطَلَبُوا مِنْهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ فَفَعَلُوا رَغْمَ مَحَاوِلَاتِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامِ الْحَثِيثَةِ أَنْ لَا يَفْعُلُوا وَعَزَّمُوا أَنْ يَبْقَوْا عَلَى عِبَادَةِ الْعَجْلِ حَتَّى يَرْجِعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا عَادَ مُوسَى غَضِبَ لِلَّهِ غَضِبًا شَدِيدًا

وَأَحْرَقَ الْعَجْلَ وَطَرَدَ السَّامِرِيَّةَ ثُمَّ إِنَّهُ أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ بِالذَّهَابِ إِلَى الْأَرْضِ الْمَقْدِسَةِ فَجَبَنُوا مُتَذَمِّرِينَ أَنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَبَلَغَتْ بِهِمُ الْوَقَاحَةُ أَنَّ قَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ»

عَنْدَهَا أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ فِي التَّيْهِ وَحَرَمَ عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ الْمَقْدِسَةَ أَرْبَعِينَ عَامًا وَكَانُوا إِذَا سَارُوا نَهَارًا تَجَاهَهَا وَأَدْرَكُهُمُ اللَّيلَ نَامُوا

ليصبحوا فيجدوا أنفسهم قد عادوا إلى حيث كانوا
وفي سنوات التي مات هارون عليه السلام
وبعد ذلك بستين مات موسى عليه السلام
ثم أوحى الله إلى يوشع بن نون وصارنبياً
وهو الذي قاتل وانتصر كما توضح هذه القصة

الدرس الثاني،

لا تبحث عن الكمية وإنما عن النوعية
الأصدقاء ليسوا بكثرتهم بل بجودتهم
لا يغرنك تخلقهم حولك
في الرخاء لا يمكنك أن تعرف من هم أصدقاؤك حقاً
انتظر الشدائـد أن تقع بك ، وقتها تعرف كم صديقاً لديك!
وانظر ليوشع عليه السلام وحكمته وهو يختار النوعية
علم أن المعارك لا تُحسم بالكثرة وبالسلاح
 وإنما تُحسم بالثيبة والنوعية التي تنذر نفسها لله
وهو عندما أقصى من جيشه خلقاً كثيراً
ما أقصى عاصيًّا ولا فاحشاً
 وإنما أقصى كل من اشتغل قلبه بغير الأمر الذي عزم عليه
فقد أقصى من عَقدَ على امرأةٍ ولم يدخل بها
لأن مثل هذا سيفيق قلبه عند امرأته
وأقصى الذي شرع ببناء ولم يكمله
لأن مثل هذا سيفيق قلبه عند بنائه

وأقصى الذي اشتري غنماً ونوقاً حواملاً ينتظر ولادتها
لأن مثل هذا سيبقى قلبه عند غنمه ونوقه
وإن كنا نتعلم من هذا الفعل أن نبحث عن الكمية لا النوعية
كذلك نتعلم أن الناس تشغلهن دنياهم
وأن الإيمان وإن كان يُهذبُ النفوس فلا يلغى طبائعها
ولا يقضى على غرائزها

يجب أن نضع هذا نصب أعيننا ونحن نتعامل مع الناس
 علينا أن لا ننسى أنَّ الناس ناسٌ!
يتعذرُ الحسنُ بن علي رضي الله عنهمَا وهو صبيٌّ صغيرٌ
فينزل  عن المنبر ويحمله ثم يقول :
«إنما أموالكم وأولادكم فتنّة»

ويسمع بكاء صبيٍّ فيقرأ بثلاث آيات ويُعلل بعد ذلك
خشيتُ أن ينشغل قلب الأم على ابنها
الناس وإن آمنوا لن يصبحوا ملائكة
سيبقى المؤمن يحب امرأته وأولاده وأمواله
وستبقى المؤمنة تحب زوجها وأولادها وأموالها
التدين هو اعتزال الحرام لا اعتزال الحياة
ضع هذا نصب عينيك وأنت تتعامل مع الناس!

كانت المعركة في آخر ساعة من عصر يوم الجمعة
وكان بنو إسرائيل لا يحاربون ولا يستغلون إذا انقضت الجمعة وجاء
السبت

لهذا السبب خاطب يوشع عليه السلام الشمس قائلًا:
إني مأمور وإنك مأمورة!

هذا هو الإيمان الحقيقي الراسخ الذي لا ينزعح وإن ازاحت الجبال
أن نعرف أن كل شيء بيد الله
وأن هذا الكون بملائكته وجنته وإنسه وحيوانه وطيره وجماده بيد الله
من جبريل عليه السلام حتى أصغر غملة ، الكل أمم الله سواء
لا يعجزه أمر ولا يعييه شأن
وان كنا أمرنا بالأخذ بالأسباب
فلا ننسى ونحن نأخذ بها أنها بيد الله
وأن الأخذ بالسبب لا يوصل إلى نتيجة لم يأذن الله بها أن تقع
وأن الله إذا شاء أعطى دون سبب
وتذكر دومًا أن المؤمن كريم عند الله
كريم لدرجة أن يُعطّل قانون الكون له إذا علم صدقه وإقباله عليه

الدرس الرابع:

لا يكفي قائد الجيش أن يفقه في الحرب فقط
ولا يكفي مدير الشركة أن يفقه بالإدارة فقط
ولا يكفي بالمهندس المسؤول عن العمال أن يفقه بالهندسة فقط
ولا يكفي بالطبيب المسؤول عن المرضى أن يفقه بالطب فقط
الناجح هو من يفقه طباع الناس ويتعامل معهم وفق طباعهم
الناس يحبون أن يجدوا إنساناً قبل أن يجدوا مسؤولاً
ويحبون أن يجدوا معيناً قبل أن يجدوا أمراً
المؤول الحكيم يطوع الناس بقلبه لا بقوانينه
كلنا نعرف أننا إذا أحبينا مديرًا أحبينا عملنا
وإذا أحبينا عملنا قمنا بأمور لا يفرضها القانون علينا
المؤول الفاشل هو من يُلجم نفسه للقانون
صحيح أن القانون وجد لينظم أمور الناس
ولكن المحنك هو الذي يطوع من تحت يده دون الوصول إلى القانون!

الدرس الخامس:

حتى الذين تظنهم نخبة يتفاوتون
وهذا جيش يوشع بن نون عليه السلام
أقصى منه كل من تعلق قلبه بالدنيا
ولكنه وجد بعد ذلك أن القلوب قلما تسلم منها
فحتى هذه النخبة قد سرق بعضهم من الغنائم!

فلا تثق بالناس ثقة عمياء
ولكن لا تكن متوجساً حد الوسوسه أيضاً
كُن بين بين ، لا إفراط ولا تفريط
الدنيا ساحرة وفتانه والمعصوم من عصمه ربُّه!

الدرس السادس

تتفقُ الرسائلُ في العقيدة وتحتَلُّ في الشَّرائعِ!
ما من نبِيٍّ إلَّا وجاءَ بالتوحيدِ الخالصِ لِللهِ ، بالإلوهية والربوبية
وبالإيمان بالموت والبعث والحساب والجنة والنار
ولكن الطقوس والعبادات تختلفُ من أمةٍ إلى أمةٍ
تبعًا لِما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَفْرَضَهُ
فالغنائم كانت محرمة على كل الأم السابقة
وهي في شرعنَا حلال
فَكَانَتِ الْأُمُّ السَّابِقَةُ إِذَا حَارَبَتْ وَأَنْتَصَرَتْ
جَمَعَتِ الْغَنَائِمَ ثُمَّ أَتَتْ نَارًا فَأَحْرَقَتْهَا
وَفِي حَرْبٍ يُوشَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تُحْرَقْهَا النَّارُ أَوَّلَ الْأَمْرِ
ذَلِكَ أَنَّهَا كَانَتْ نَاقْصَةً لَأَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ سَرَقَ مِنْهَا
فَلَمَّا عُرِفَ يُوشَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْنَ الْغَلُولُ
وَأَعْدَادُ الْمُسْرُوقِ إِلَى كُومَةِ الْغَنَائِمِ جَاءَتِ النَّارُ فَأَحْرَقَتْهَا
وَهِيَ الإِشَارَةُ الْمُعْرُوفَةُ فِي الْأُمُّ السَّابِقَةِ عَلَى قَبُولِ اللَّهِ لِهَا

زِينَبُ بُنْتُ مُحَمَّدٍ وَأَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ

روى الإمام أحمد من حديث عائشة زوج النبي ﷺ قالت :
لما بعث أهل مكة في فداء أسرامهم
بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع
بِمَالٍ وَبَعْثَتْ فِيهِ بِقَلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ لِخَدِيجَةَ
أَدْخَلْتَهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا
فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رَقَّةٌ شَدِيدَةٌ ، وَقَالَ :
إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوْلَهَا أَسِيرَهَا وَتَرْدُوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا ، فَافْعَلُوا
فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ
فَأَطْلَقُوهُ ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا

الدَّرْسُ الْأُولُّ

أبو العاص بن الربيع هو ابن خالة زينب بنت النبي ﷺ
فأمه هي هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها
وقد أثني النبي ﷺ على أبي العاص بقوله :
«أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعَ فَحَدَثَنِي وَصَدَقَنِي»
تزوج أبو العاص زينب قبل البعثة
ولما بعث المصطفى بأمر الدعوة كانت زينب من أوائل المصدقين
بابيها
فذهبت بذلك القلب المليء بالإعان

وكلها أمل أن يكون زوجها من المصدقين برسالة نبيها ووالدها
فما نهرها حين علم بإيمانها ، ولا عاتبها ، ولا حاول أن يثنىها عن
قرارها

بل قال لها بلسان المحب ونبرة الكرم :

والله ما أبوك عندى بتهم

وليس أحب إلىَّ من أن أسلك معك يا حبيبة في شِعْب واحد
لكني أكره أن يقال :

إن زوجك خذل قومه وكفر بآبائه إرضاءً لأمرأته ، فهلا عذرتنى يا
زينب

فتقبّلت قراره برحابة صدر وقلب متفهم ومتأنّل
أن يأتي اليوم الذي يكون فيه زوجها في صفوف المسلمين
ولكن قريشاً جعلت تدعو أبو العاص لفارقة زينب
كما دعت أبناء أبي لهب لتطليق رقية وأم كلثوم
فطلقاها أبناء أبي لهب

بينما ردّ أبو العاص عليهم بقوله

لا والله ، إني لا أفارق صاحبتي ، وما أحب أنْ لي بامرأة من
قريش !

فبقيتْ زينب عند زوجها كلُّ على دينه

ولم يكن في شريعة الإسلام حينها التفريق بين الزوج المشرك
والزوجة المؤمنة

وتأتي هجرة النبي ﷺ ، فتهاجر عائلة زينب كلها إلى المدينة
لتبقى مع زوجها وحيدة في مكة
ولا تتراجع عن قرارها في ملزمه وإن كان قلبها مزقاً

بين الأب والنبي من جهة والزوج والحبوب من جهة أخرى
ولكن هذا لم يكن شيئاً أمام اللحظة التي حمل فيها زوجها السلاح
لقتال أبيها

فقد توجه جيش المسلمين للقاء جيش المشركين في معركة بدر
وكان أبو العاص في صفوف قريش

وانتهت المعركة بنصر المسلمين بعد أن قُتل من قُتل من قريش
وأُسر من أُسر ، وكان أبو العاص ضمن الأسرى!
فيبعث أهل مكة فداءً لأسراهم

وترسل زينب في فداء زوجها قلادة كانت أمها قد أهدتها إليها ليلة
زفافها

يتعرف النبي ﷺ على قلادة خديجة رضي الله عنها
ويرق قلبه لذكرى زوجته ، فيدرك أنها لزينب في فداء أبي العاص
فيسأل أصحابه أن يفكوا أسر صهره ، ويردوا لزينب ذكرى أمها
فيستجيب الصحابة لطلب المصطفى

ويطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراح أبي العاص
بعد أن طلب إليه أن يبعث زينب إلى المدينة
فقد نزل الأمر الإلهي بالتفريق بين المشرك والمؤمنة
فيعده أبو العاص بذلك

ويعود إلى زينب ، فيجدها بانتظار عودته بقلب راجف وعين دامعة
ويعود هو إليها مثقلًا ، عزقاً بين قلبه ووعده
ولكنه يقف عند كلمته قائلًا لها :

لقد طلب أبوك أن أرددك إليه
لأن الإسلام يفرق بيني وبينك فلا تخلين لي

وقد وعده أن أدعك تسيرين إليه ، وما كنت لأنكُث عهدي .
فما كان من زينب إلا أن تربط على قلبها ، وتطيع أمر ربهما دون
اعتراض

فيبعث بها أبو العاص مع أخيه الكنانة ليوصلها حيث زيد بن
حارثة

ليصطحبها إلى المدينة

هنا قطعت قريش طريقهما ، لتمنع هجرتها إلى المدينة
وقد كانت تستضعف من بقي من المسلمين في مكة
ولما كانت خارجة للتو من هزيمتها النكراء في بدر
كان لها ثأر تريد أن تناه

أولَ من لحق بزينب هو «هبارُ بن الأسود» ، فروعها برمجه
فتذهب كنانة للدفاع عنها ، ونشر سهامه بين يديه وصاح فيهم :
والله إنكم لتعلمون أني أرمي فما أخطئ ، ولا يدُنُونَ مني رجلٌ إلا
وضعت فيه سهماً

فأقبل عليه أبو سفيان وقال : أيها الرجل كف عنا بذلك نكلمك!
فكف عنهم ، فتقدم إليه أبو سفيان وقال

إنك جانبت الصواب إذ خرجت بالمرأة على رؤوس الأشهاد علانية
وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا

فيظن الناس علينا الضعف والوهن ، وأن ذلك من ذلٌّ ما أصابنا
ولعمرى ما لنا بحسبها عن أبيها من حاجة
ولكن ارجع بها حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد
رددناها

مكتبة الرمحى أَحمد

فانخرج بها سرًا ، وألحقها بأبيها

فكان ذلك ، وهاجرت زينب إلى المدينة
وافتقرت عن أبي العاص ما يقارب الست سنوات
مكثت زينب في بيت النبوة مع ولديها
بينما اشغل أبو العاص بالتجارة ولم يشارك في معركة ضد
المسلمين قط بعد بدر

وقبل فتح مكة خرج في تجارة لقريش
صادف في طريق العودة سرية من سرايا المسلمين
فأصابوا ما معه ، بينما فرّ هو منهم
ثم تسلل ليلاً إلى زينب مستجيراً بها ، فأجارته
وفي صلاة الفجر بينما الرسول ﷺ يوم المسلمين صاحت زينب :
أيها الناس إني قد أجرت أبي العاص بن الربيع!
فقال النبي ﷺ

والذي نفسي بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم
وإنه يجبر على المسلمين أدناهم
ثم ذهب إليها ﷺ فقال له : أ :

أي بنية أكرمي مثواه ولا يخلص إليك فإنك لا تخلين له
ثم بعث النبي ﷺ إلى السرية التي أخذت ماله فقال لهم :
إن هذا الرجل منا حيث علمتم وقد أصبتم له مالاً
فإن تحسنوا وتردوه فإننا نحب ذلك وإن أبيتم فهو في الله فأنتم أحق به
قالوا : بل نرده
فردوه كله ، ثم ذهب به إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله ، ثم
قال :

يا معاشر قريش هل بقي لاحد منكم عندي شيء؟

قالوا لا ، قد أديتَ ما عليك

قال : فإنني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله
والله ما منعني من الإسلام عنده إلا خوف أن تظنوا أنني أردت أكل
أموالكم

ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة وأعلن إسلامه
وطلب رَدَ زينب ، فرَدَها عليه النبي ﷺ إليه
فعاشت معه حتى مات ، ومات هو بعدها ببضع سنين

الدرس الثاني:

كان لديها أسباب كثيرة للتخلّي عنه
بل كلّ الأسباب كانت في وقت ما قد أجمعت على التفرّق
بینهما

فيوصلة الظروف كانت تشير إلى الفراق
ولكنها ظلت متمسكة به ، وهو كذلك
لأنها تحبه ، ولأنه يحبها

هكذا نحن عندما نحب الآخر أكثر من أنفسنا
نفك في ما يجمعنا به لا ما يفرقنا عنه

حتى وإن كان كل ما يربطنا به هو روابط القلب فقط
حتى وإن كانت روابط الواقع متقطعة تماماً
كانت مؤمنة وكانت ابنة نبي ، وكان كافراً
وكفى بذلك سبباً

كانت وحيدة من أهلها وكانت من المستضعفين ، وكان يُقاتل ضد
أبيها ودينه

لَكُنْهَا صَبَرَتْ عَلَى ذَلِكَ
لَا نَهَا كَانَتْ قَادِرَةَ عَلَى الصَّبَرِ فِي الْأَذَى مَعَهُ
وَلَمْ تَكُنْ قَادِرَةَ عَلَى الصَّبَرِ فِي فَرَاقِهِ
الْمُصْلَحَةُ الشَّخْصِيَّةُ تَذَوَّبُ حِينَ تَوْحِيدُ الرُّوحُ مَعَ الْأَخْرِ
لَا تَعُودُ إِلَّا نَوْجُودَهُ ، لَا يَعُودُ هُنَاكَ سُوَى نَحْنَ
هَذَا التَّلَاحِمُ الَّذِي لَا تَفْصِلُهُ الْعَقَبَاتُ بَلْ تَزِيدُهُ مَتَانَةً
لَا يَعُودُ أَمْنَنَا الشَّخْصِيُّ ذُو أَهْمَيَّةٍ
بَلْ أَلَامَنَا الْمُشْتَرِكَةُ هِيَ كُلُّ مَا يَعْنِيْنَا
فَرِينَبْ لَمْ تَكُنْ تَرَى فِي أَبْيَيِ الْعَاصِنَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْكَافِرُ
الَّذِي امْتَنَعَ عَنِ دِينِ أَبِيهَا ، وَصَدَّ عَنِ الْحَقِّ ، وَتَجَاهَلَ دَاعِيَ اللَّهِ
بَلْ كَانَتْ تَرَاهُ الْحَبِيبُ الَّذِي كَانَ مِنْ قَبْلِ
وَالْزَّوْجُ الَّذِي لَا يَغْيِرُ مَكَانَتَهُ شَيْءٌ
وَالْقَرِيبُ الَّذِي لَا تَرْضِيْ أَنْ يَمْسِهِ سُوءٌ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

هَذَا الدِّينُ دِينُ الْمُعَالَمَةِ
جَاءَ مِنْ عَنْدِ الَّذِي لَا يَنْظَرُ إِلَى صُورَكُمْ بَلْ يَنْظَرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ
طَبِيبُ الْأَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ جَاءَ مُوَافِقًا لِلْفَطَرَةِ لَا مَعَارِضًا لَهَا
وَالْحُبُّ فَطَرَةٌ ، بَلْ هُوَ فِي كَثِيرٍ مِنِ الْأَوْقَاتِ عِبَادَةٌ
إِنَّ اللَّهَ وَقَدْ خَلَقَ فِينَا عَوَاطِفَنَا لِنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا بِشَرِيعَةٍ تَتَنَاهُ لِهَذِهِ
الْعَوَاطِفِ
وَتَعَالَمُهَا بِاسْتِنْكَارٍ أَوْ تَظَهُرُهَا كِجَرَائِمٍ يَجِبُ إِخْفَاؤُهَا أَوْ مَنْعُ حَدُوثِهَا

لم ينكر نبئ هذا الدين على زينب حب أبي العاص وإن كان على
غير دينها

لم ينكر عليها إجارتها له وإن كان لم يعد يحل لها

لم ينكر عليها فداءها له وإن كان مقاتلا في صف العدو

إن الحب لم يكن يوما عيبا لـيـسـتر ، أو ذنـبا لـيـعـاـقبـ مرـتكـبـهـ

إـنـهـ عـمـلـ القـلـبـ الـذـيـ هوـ بـيـنـ إـصـبـعـيـنـ مـنـ أـصـابـعـ الرـحـمـنـ

ولـكـنـ لـلـحـبـ أـدـابـهـ ، ولـإـسـلـامـ حـقـوقـهـ

وـقـدـ كـانـتـ زـيـنـبـ تـعـرـفـ جـيـداـ مـاـ لـهـاـ وـمـاـ عـلـيـهـاـ

وـتـحـمـيـ حـبـهاـ بـقـدـرـ ماـ يـسـمـعـ لـهـاـ دـيـنـهـاـ

فـالـحـبـ وـالـإـيمـانـ كـانـاـ يـعـيـشـانـ فـيـ ذـاتـ القـلـبـ

ولـمـ يـكـنـ ثـمـةـ تـعـارـضـ بـيـنـهـمـ ، لأنـ الحـبـ هوـ نـوـعـ مـنـ الإـيمـانـ أـيـضاـ

إـخـلـاـصـ زـيـنـبـ لـحـبـهـاـ لـمـ يـمـنـعـهاـ مـنـ إـخـلـاـصـهـاـ لـرـبـهـاـ

كـانـ يـكـنـ لـزـيـنـبـ أـنـ تـتـخـذـ لـهـاـ زـوـجـاـ بـعـدـ فـرـاقـ أـبـيـ العاصـ

سـتـ سـنـوـاتـ كـانـتـ فـتـرـةـ كـافـيـةـ لـتـنـسـيـ ، وـلـتـبـدـأـ مـنـ جـدـيدـ

وـلـكـنـهـ الحـبـ الـذـيـ يـجـعـلـ كـلـ مـنـ عـلـىـ الـأـرـضـ مـتـشـابـهـينـ

عـدـاـ شـخـصـ وـاحـدـ يـعـيـشـ فـيـ القـلـبـ

الـحـبـ الـذـيـ لـاـ يـجـعـلـنـاـ نـرـىـ سـوـاهـ

كـأنـهـ كـلـ أـهـلـ الـأـرـضـ

يـجـعـلـ الـخـيـارـاتـ الـكـثـيرـةـ خـيـارـاـ وـاحـدـاـ هوـ كـلـ طـرـقـ الـحـيـاةـ التـيـ قدـ
نـسـلـكـهـاـ

يـجـعـلـكـ تـجـدـ لـمـ تـحـبـ الـعـذـرـةـ فـيـ الـخـطاـ

الـتـفـهـمـ فـيـ كـلـ تـصـرـفـ ، وـالـانتـظـارـ مـعـ كـلـ فـرـاقـ

والأمل الذي به تصمد في انتظارك وإن كانت كل الإشارات تدل على اليأس

أبو العاصن كان زوجاً لزينب حتى بعد انفصالها عنه زوجاً لروحها ، وقلبه لذلك بقيت له حتى عاد .

الدرس الرابع

موقف البنت المضحية والمحبة والمتغافلة في حبها يقابله موقف الأب المتفهم المدرك الجليل في أبوته تأتيه قلادة زوجته المهدأة لابنته فداءً لرجل كان يقاتل ضده فريق قلبه ، ويعطف وينظر بعين الأب الرحيم ثم يعود إلى صاحبته ، وإلى من خاض معه المعركة فما كان مثل هذا القائد أن تغلب أبوته عده يعود إليهم ، وقد كان يسعه أن يصدر أمراً لا يخالفه فيه أحد ولكنه يسألهم : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا الذي لها ويترك ابنته تختار طريقها ، لا يجبرها على فراق ما دام الدين لا يفعل

لا يأخذ ابنته من بيت رجل لم يجب داعي الله لا يستخدم سلطنته الأبوية للتفریق بينها وبين زوجها فالآبوة لا تعني اتخاذ القرارات بدلاً عن أبنائك ولا تعني إصدار الأوامر ، أو فرض الآراء واعتبارها الصواب الوحيد للأبوة احتواء ، وفهم وحسن معاملة إدراك حاجات الأبناء وحمايتهم وتقويم اعوجاجهم دون كسر

حتى وإن كنتَ تدرك أنهم على خطأ من وجهة نظرك
لكل إنسان الحق في ارتكاب أخطائه الخاصة
لأن ثمة أمور لا يمكن تعلمها إلا حين نخطئ
أحياناً نحتاج للتجربة لندرك ونفهم

فكل النصائح النظرية لا تجدي نفعاً أمام الدرس الذي تمنحه التجربة
إن منعك أبناءك من فعل أمر يريدونه ولا تريده لن يوقفهم
هو فقط سيدفعهم لارتكابه من وراء ظهرك
والخطأ المعنى هنا هو ما يساعدهم على فهم شؤونهم الحياتية
لا ذلك النوع من الأخطاء الذي لا عودة منه
إن دور الأب هو إعداد الأبناء للحياة ليتمكنوا من خوضها بأقل
الأضرار

لا منعهم من الحياة بحجة الخوف عليهم
دور الأب ليس منع الابن من أن يخطئ
بل معرفة الوقت المناسب لتنبيهه بمقدار خطئه
دوره ليس منعه من خوض تجاربه الخاصة
بل مساعدته على استخلاص الفائدة من تلك التجارب
دوره ليس إمساكه كي لا يقع
بل أن تكون يده هي اليد التي تتدلل له ليقف مجدداً
ليس بالصرارخ أو فرض الرأي والمحاصرة
تُحفر نصائح الآباء في صدور الأبناء
بل بمعرفة الوقت الذي يحتاج فيه ابنك إلى النصيحة
من الوقت الذي يحتاج فيه إلى كتف يسند عليه تعبه ، أو أذن
تصفي لهمه

فلا تكن ذلك الأب الذي يهرب منه أبناؤه
بل ذلك الذي يهربون إليه
الجدار الذي يستندون عليه حين يتعبون من الركض في دروب
الحياة

لا الجدار الذي يسد دروبهم فيحاولون اجتيازه
الغصن الذي يتمسكون به حين تتقطع كل حبال النجاة
لا ذلك الذي يميطونه عن الطريق لأنه يؤذيهم
ولكم في رسول الله أسوة حسنة
ترفع ابنته صوتها في المسجد الذي يؤم فيه الناس مصليناً
أنها قد أجرت زوجها السابق وعدو المسلمين
فيneathي صلاته ، ويوضح للناس عدم معرفته بالأمر
ويذهب إليها بكل رفق وتفهم ليخبرها ما لها وما عليها
لم يزجرها لأنها أحرجته بين الناس
لم يوبخها لأنها لم تستأذنه في ذلك
لم يتهمها لأنها آوت رجلاً غريباً في بيتها
لم يحطم ثقتها بنفسها بعدم الثقة بها
من هنا اكتسبت زينب شجاعتها وقوتها في الحق
ورغم قوة العاطفة التي لديها إلا أنها كانت تعرف أين تقف
كانت تعرف المقدار الذي لها من هذا الحب والمقدار الذي عليها

الحبُّ مواقف عظيمة ، أكثر منه كلمات كبيرة
ففي الرخاء كل الناس يستطيعون أن يكونوا عشاقاً
و حين يتعلّق الأمر بالكلمات المؤثرة فكل الشعراء بهذا المعنى
يكونون عشاقاً

ولكن الحب يتجاوز كل هذا إذا ما وق في القلب
يتتجاوز الكلمات إلى الأفعال

في الشدائد قد يتخلّى المتحدث الجيد ، صاحب التعبيرات المؤثرة ،
والجمل الرنانة

بينما يثبت الصامت الذي لم يكن يثرث بما في قلبه ، لأنّه أكبر من
الكلمات

كثيرون لا يجدون في وجودك معهم ما قد يستحق أن يحتملوا من
أجله معاناة

أو لا يجدوا في قلوبهم تجاهك ما يجبرهم على اجتياز عقبات
الطريق ليكملوه معك

هؤلاء لم يكن لك في قلوبهم المكان الذي تظن
ولا يجدر أن يكون لهم في قلبك المنزلة التي تحمل
ستكون جميلاً في عيونهم ما دمت سهلاً ميسراً البقاء واللقاء
وما أن تتجلّى الصعوبة في العلاقة حتى يجدوا عنكَ ألف بديل
وعن الطريق الوعر معك ألف طريق لا مشقة فيه
هنا قد تكون العقبات والمتاعب خيراً لك
فبها تعرف المحبّ من المدعى

تعرف الفرق بين الحب لفظاً والحب شعوراً
الحب الذي يجعل روحك تحرق إن مسَّ الحبيب أدنى ألم
الذي يجعل بعيد عن العين ساكناً في القلب لا بعيداً عنه
الذي يجعل وجه الغائب عن مجلسك حاضراً في وجوه كل من
تلتفي
الذي يأخذك الشوق إليه من ذروة انشغالك لتتذكرة فتبتسم ، أو
تدمع عينك
الذي جعل زينب تفتدي أبا العاص بقلادة أمها
وتنظر عودته من قتال أبيها
وتعلن بكمال ثقتها أمام كل الناس أنها أجارتـه
ولا ترضى زوجاً غيره
وقد لا يكون موقف زينب رغم عظمته غريباً
فالمرأة أقوى في الحُبَّ من الرجل
وأقدر منه في حماية عاطفتها إن أحبتُ
تتفاني وتخلص وتنظر وتصبح أكثر قوة وشجاعة
لكن موقف أبا العاص كان أعجب
لم يرض عن زينب بديلاً
رغم أن قريش عرضت عليه أن تزوجه من أشرافها إن هو طلق زينب
ولكنه أجاب بشقة لا شبهة فيها : والله لا أفارق صاحبتي ، ولا
أبدلها بامرأة من قريش !
لم يخجل من حبه لها
لم يقل بدلـت دينها وجعلـتني في موقف صعب مع قومي
ولم يبدلـها حتى بعد أن فارقـها

ست سنوات من الانفصال لم تجعله يبحث عن امرأة غير زينب
انشغل بتجارته عن صوت قلبه ، وحين عاد ، عاد إلى زينب
لأنها قللاً قلبه وإن كانت غائبة عن حياته

الدرس السادس:

لا تيأس!

القلب القاسي قد يلين

والغائب البعيد قد يعود قريباً

المستحيل يحتاج بعض الوقت ليصبح ممكناً

والصعب مع السعي والمثابرة يسهل

ما تظن أنه اليوم لا يكون ، غداً قد تجده بين يديك

الأشياء الأجمل هي التي تتأخر في الوصول إلينا

ولكنها حتماً ستصل

لحظة لقاء بعد طول انتظار قد تمحو أعواماً من الصبر على مشقة

البعد

ولكن عليك أن تعرف ما يستحق انتظارك

عليك أن تعرف إذا كان القلب على القلب حقاً

لا أن تقف خلف الأبواب التي لا ترحب بك بانتظار أن تُفتح

اعرف أولاً ما الذي تريده

ثم امض في طريقك ولا تكثر الالتفات

قد تصادفك الكثير من المثبطات

الكثير من العثرات . . .

الكثير من الطرق المسدودة . . .
الكثير من إشارات اليأس . . .
ستظن أحياناً من شدة التعب أن الوقت حان لستسلم
ولكن ربما لم يبقَ الكثير لتصل
ستتعلم متى تبادر ومتى تنتظر
متى تخطو خطواتك ومتى تقف
متى تصغي لصبرك ومتى تستجيب لشغفك
وستمنحك الطرق أحياناً أللذ ما قد يمنحك الوصول .

الدَّرْسُ السَّابُعُ

كان للعرب قبل الإسلام أخلاق حميدة ، وطبائع جليلة
فالعربيُّ ما كان ليخلف وعداً قطعه ، ولا يغير كلمة أعطاها
فلم يكن في السابق ما يوثق به العربي معاهداته واتفاقاته إلا
الكلمة
فقد كانت ميثاقاً غليظاً يعدُّ نقضه من خوارم المرءة
ومروءة العربي كانت غالبة ، يدفع في سبيلها الغالي والنفيس
وقد تعددت صور ونماذج وفاء العرب بعهودهم إلى حد يثير
الإعجاب
ومثال ذلك هانع بن مسعود الشيباني الذي صمد أمام الإمبراطورية
الفارسية
ولم يأبه لكسرى ولا تهديداته حفاظاً على وعده الذي قطعه على
نفسه

بحماية أهل النعمان بن المنذر وأمانته
كما ضرب السؤال مثلاً آخر في الوفاء بالعهد
فيقال «أوفى من السؤال»

وذلك عندما أودع امرؤ القيس عنده دروعاً وسلاماً
وذهب إلى قيصر يستنجد به على أعدائه

واستغل هذه الفرصة الحارث بن شمر الغساني فطلبها من السؤال
وأصر على انتزاعها منه

ولكنه أبى وتحصن بقصره في تيماء
وكان ابنه خارج القصر

فأخذه الحارث الغساني رهينة عنده

وأخذ يساومه ، وهدده بقتل ابنه إن لم يستجب لطلبه
إلا أن السؤال ظلَّ محافظاً على عهده حتى وهو يرى ابنه يذبح
أمامه !

وخصص العرب في ذلك كثيرة لا يتسع المقام لذكرها

فإسلام حين جاء أقرَّ الكثير من صفات العرب

وجعلها من مكارم الأخلاق ، كشجاعة العرب ونجدتهم من
يحتاجهم

وإكرامهم للضيوف الذي ينزل بهم

يعجرون من استجبار بهم ، وينجدون من استغاث بهم

احترام حرمات البيوت ، والأنفة وعزة النفس والكرامة والهيبة

كل هذه الصفات التي كانت لدى العربيِّ القديم

تجعلنا الآن نبحث عنه بينما الحال هذا

فقد كثُر المستجرون قلَّ من يجبر

وكثر المستغيثون وغاب من يغاث
غاب العربي الذي كان فينا
أو أتنا من غيبه خجلاً منه ، وકأن العروبة باتت عاراً
فقد جعلنا من التخلّي عن أجمل ما فينا عادة
نتخلّى عن لغتنا مقابل بعض مصطلحات ركيكة تحت مسمى لغة
العصر

نتخلّى عن مروءتنا كي نبدو في نظر العالم أكثر تحضراً
نتخلّى عن إخوتنا كي لا نرحم أنفسنا في المشاكل
نتخلّى عن ديننا كي لا يقال عنا إرهابيون
نتخلّى عن أجمل ما فينا كي لا يقال عنا أعراباً!

المُتَّالِي عَلَى اللَّهِ

روى أبو داود في سننه أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ :
كَانَ رَجُلًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِدِينَ
فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنَبُ وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ
فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ : أَفْصِرْ
فَوُجُودُهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَيَقُولُ لَهُ : أَفْصِرْ
فَيَقُولُ : خَلَنِي وَرَبِّي أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟
فَيَقُولُ : وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، أَوْ لَا يَدْخُلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ
فَقَبضَ أَرْوَاحُهُمَا
فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَيَقُولُ لَهُمَا الْمُجْتَهِدُ :
أَكْنَتَ بِي عَالَمًا أَوْ كَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِيْ قَادِرًا؟
وَيَقُولُ لِلْمُذْنَبِ : اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِيِّ!
وَيَقُولُ لِلْآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ!

الدُّرْسُ الْأُولُّ :

الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَالْاجْتِهادُ فِي الْعِبَادَةِ
لَا يَرْفَعُنَّ الْمَرءَ مِنْ مَنْزِلَةِ الْعَبْدِ إِلَى مَنْزِلَةِ إِلَهٍ - تَعَالَى اللَّهُ وَتَنَزَّهُ
فَالْبَعْضُ تَمْجِدُهُ إِنْ صَلَّى وَصَامَ نَصَّبَ نَفْسَهُ مَتَحْدِثًا بِاسْمِ اللَّهِ
يُصْنِفُ عَبَادَهُ كَيْفَ شَاءَ
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ!
كَأَنْ مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِيَدِهِ

وكان القاضي في محكمة الآخرة
ينسيه غروره بعمله أنه تحت رحمة ربه أيضاً
وأن كل عمل مرهون بالقبول
وأننا بأعمالنا قد لا نبلغ الأعراف فكيف بالجنة!
فيري أن لديه التفويض للحكم على عباد الله
ومحاكمة تصرفاتهم وتقييم أعمالهم كما يصور له عقله
ويظن أنه قد بلغ من العلم ما يؤهله للحديث في الغيبيات المتعلقة
بحكم الله
والتألي عليه كأن له باباً في السماء
يرى من خلاله أهل الجنة وأهل النار
نحن جميعاً تحت رحمة الله
إن شاء عذبنا وإن شاء غفر لنا
المذنب والصالح والمقصري والمجتهد
نعبد لله على أمل أن نتلقى رحمته ، ونبليغ ما يؤهلنا لغفرته

الدرس الثاني:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يعني تصييد عثرات الآخرين
والوقوف لهم على الزلة
ولا يعني أن نبحث عن المنكر
ونستخرجه من كل تصرف وإن لم يكن موجوداً
بل يعني تنبيههم حين نرى منهم ظاهر الذنب وسوء التصرف
بأسلوب بعيد عن التنفير والإساءة والتجريح

إذا رأيت رجلاً يتعجل في صلاته
فاذكر له فضل الخشوع بدلاً من لومه وتقريعه
إذا رأيت امرأة تتساهل في حجابها
فيبين لها جمال الحياة والخشمة بدلاً من نعتها بالمتبرجة السافرة
إذا رأيت قوماً يخوضون في الغيبة والنميمة
فأخبرهم أن النفس تترفع عن أكل الجيف بدلاً من الغلظة في
الحديث معهم
الأمر بالمعروف لا يعني إكراه الناس على المعروف حتى يأنفوه
والنهي عن المنكر لا يعني تفسير نوايا الناس والتدخل في علاقتهم بربهم
إذا كان ربُ الناس يقول : ﴿لَا إكراه في الدين﴾
فمن أنت لتكره الناس على العبادة والتدين؟
إن الله يُعبد بالرجاء كما يُعبد بالخوف
فإن كنت داعيًّا إلى الله فأظهر للناس رحمته ليأتوه حبًّا
وأظهر لهم قدرته ليحذرُوه
واحذرُ أن تُبعدهم عنه من باب تقربيهم إليه!
واحذر أن تسيء إلى الله وأنت تظن أنك تنتصر له!
فالذي قتل تسعاً وتسعين نفساً أُمَّ المثلة حين صادف داعيَةً فنطَه من
رحمة ربه

وتاب حين وجد من يدلله على أبواب الغفور الرحيم
ووجد من يطمعه في كرم الله ، ويريه مقدار عفوه
اعرف الله قبل أن تدعوه إليه
لا تتحدث عنه وأنت تجهله
فتحبط بجهلك عملك ، وتغلق الأبواب في وجه تائب يبحث عن ربه

انتبه للكلمات التي تستخدمها

فُرُبَّ كَلْمَةٍ هُوَ بِصَاحْبِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ

فقد قال رسول الله ﷺ

«إن العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه
الله بها درجات

وإن العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها
في جهنم»

الكلمات سيف قاطعة فلا تستخدمها دون حذر

الكلمة السيئة قد تهدم جسوراً بينك وبين من حولك

وقد تبني الكلمة الطيبة أجمل العلاقات

فكيف بكلمة تهدم علاقة بين العبد وربه

كلمة قد تعينه إلى الله أو تبعده عنه

تقول لإنسان لا تعلم ما بينه وبين الله

ل مجرد أنك رأيت عليه ذنباً : والله لا يغفر الله للك

تفنّط العبد من ربّه

وهو القائل : «ولا تقنطوا من رحمة الله»

من أنت لتبت في أمر من السماء؟

وتفتّي في أمر الجنة والنار؟!

من أنت لتقول على الله ما لم يقله هو عن نفسه

الذى لم يقفل أبوابه يوماً في وجه تائب وإن بلغت ذنبه عنان

السماء

الذى غفر لبغيٌ ب الكلب سقته
الذى يقول لنبيه : «ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو
يعذبهم فإنهم ظالمون»
فهل لك أنتَ من الأمر شيء !

الدرس الرابع :

الصديق مرأة صديقه
وليس صديقاً من جملَ لكَ الخطأ وساعدك على البقاء عليه
بل ذلك الذي يوقظك إن غفلت
وينبهك إن سهوت
ويذلك الطريق إن تهت
ويخرجك من حفر السوء إن وقعت
ويشدُّ على يدك إن أحسنت
ويضربُ عليها إن أساءت
الصديقُ درعكَ الذي يحميك من أعدائك
حتى وإن كان هذا العدو نفسك
فالرجلان في القصة كانوا متواخدين
أي أن بينهما أخوة وليس أخوة الدم
بل هي صداقة ورفقة كما يتبيّن
وقد أراد الصالح منهمما أن يترك المسيء سيناته ويتوب
وهذا ما جعله يلحُّ عليه في الدعوة
إلا أنه أخطأ في الأسلوب الذي يدعوه من خلاله

فالأسلوب السيء يفسد النية الجيدة
كما أن النية الجيدة لا تبرر الأسلوب القبيح
على العكس
لعل أسلوبًا جيداً كان سبباً في رواج فكرة سيئة
فالأسلوب قوام الفكرة وله القدرة على تجميلها وإظهارها بأفضل
صورة
ولكن العكس لا يحدث
الفكرة لا تعيش إن تم التعبير عنها بطريقة خاطئة
حبك لا يخيك لا يُبرر لك الإساءة لذات الله
حرصك عليه ليس عذراً لك في تخطيتك حدود الأدب مع الله
علينا أن نفرق بين النية الحسنة وبين تبرير الإساءة بحسن النية!

الدرس الخامس:

العبرة بالخواتيم ، والثبات حتى النهاية . . .
لا تنس وأنت تتعبد الله أن تسؤاله الثبات وحسن الختام
فخاتمة سيئة قد تجعل سنوات من العبادة تذهب أدراج الرياح
و عمل صالح يختتم به الله لك قد يكفر عنك سنتين من المعاصي
تذكر أن عملك لا يعني عنك من الله شيئاً إن لم يقتربن برحمة
الله
ولا تنس أنك مخلوق ضعيف مهما بلغت من إحسانك
فهذا رسول الله ﷺ يستغفر الله ويستغفِّر إليه في اليوم أكثر من
سبعين مرة

هو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!
 لا عمل يمكن أن يغريك عن رحمة الله ومغفرته
 إنك بها تبلغ أعلى المراتب وبدونها تهوي إلى القاع
 فلا تعول على عملك ، ولا تغترّ بصلاحك
 فإن في الجسد مضيفة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت
 فسد الجسد كله
 وصلاحها وفسادها بين إصبعين من أصابع الرحمن
 وفي الحديث :
 إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا
 ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها
 وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا
 ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها!

الدرس السادس:

في محكمة الله لن تجد غير العدل
 وفيها يقتضي الله لكل صاحب حق
 وقد رأينا في القصة أن القضية هنا بين العبد وبين الله
 فصاحب الحق هنا هو الله
 الرحيم الذي انتقض من رحمته عبد من عباده
 الغفور الذي شرك في مغفرته بشر لا يلوك من الأمر شيء

يقف بين يديه رجالان
أحدهما أتى بعمله وقد أساء الظن به
«والله لن يغفر الله لك»
والآخر أتى بذنبه وقد أحسن الظن به
«دعني ورببي»
وهو القائل : «أنا عند ظن عبدي بي»
فأدخلَ مسيءَ العمل ، محسنَ الظن ، الجنة برحمته
وأدخلَ محسنَ العمل ، مسيءَ الظن ، النار بسوء ظنه
ففي ميزان السماء عبادات الجسد لا مثقال لها إن لم تفترن
بعبادات القلب
والإيمان بالله هو الإيمان برحمته وعدله وغفرانه وثوابه وعقابه
وإن ذنبًا خالطه انكسار قد يقربك من الجنة
وعملًا صالحًا خالطه كبر قد يقربك من النار دون أن تعلم
فأحسنوا الظن بالله !

أول قسامة في الجاهلية

روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : إن أول قسامة كانت في الجاهلية كانت فينا بنى هاشم كان رجل من بنى هاشم استأجره رجل من قريش من فخذ أخرى فانطلق معه في إبله

فمرّ به رجل من بنى هاشم قد انقطعت عروة جوالقه «والجوالق وعاء توضع فيه الحبال وهي فارسية معرية» فقال : أعني بعقال أشدّ به عروة جوالقى لا تنفر الإبل فأعطاه عقالاً فشد به عروة جوالقه فلما نزلوا عقلت الإبل إلا بعيراً واحداً

قال الذي استأجره : ما شأن هذا البعير لم يُعقل من بين الإبل؟
قال : ليس له عقال
قال : فأين عقاله؟

ثم حذفه بعضاً كان فيها أجله
فمرّ به رجل من أهل اليمن وهو في النزاع الأخير
قال له : أتشهد الموسم؟

قال : لا أشهد ، وربما شهدت
قال : هل أنت مبلغ عنى رسالة مرأة من الدهر؟
قال : نعم .

قال : فإذا شهدت الموسم فنادِ يا آلَ قريش
إذا أجابوك ، فنادِ يا آلَ بنى هاشم
إذا أجابوك فسل عن أبي طالب ، فأخبره أن فلاناً قتلني في عقال

ومات المستأجر

فلما قدم الذي استأجره ، أتاه أبو طالب

فقال : ما فعل صاحبنا؟

قال : مرض فأحسنت القيام عليه ، ثم مات ، فوليت دفنه

قال : قد كان أهل ذاك منك

فمكث حيناً

ثم إن الرجل اليماني الذي كان أوصى إليه أن يبلغ عنه وافي الموسم

قال : يا آل قريش

قالوا هذه قريش

قال : يا آل بنى هاشم

قالوا : هذه بنو هاشم

قال : أين أبو طالب؟

قالوا : هذا أبو طالب

قال : أمرني فلان أن أبلغك أن فلانا قتله في عقال

فأتاه أبو طالب ، فقال اختر منا إحدى ثلاث :

إن شئت أن تؤدي مئة من الإبل ، فإنك قتلت صاحبنا بخطأ

وإن شئت حلف خمسون من قومك أنك لم تقتلته

فإن أبيت قتلناك به

فأتى قومه ، فذكر ذلك لهم ،

قالوا : نحلف!

فأتته امرأة من بنى هاشم كانت تحت رجل منهم قد ولدت له

قالت يا أبا طالب ، أحب أن تُجيز ابني هذا برجل من الخمسين

ولا تصربينه ، حيث تصبر الآيات

ففعلَ

فأتاه رجل منهم ، فقال يا أبا طالب
أردت خمسين رجلاً أن يحلفو مكان مئة من الإبل
يُصيِّبُ كل رجل بغيران
فهذا بغيران ، فاقبلهما عنِي ، ولا تُصبر يميني حيث تُصبر الأيمان
فقبلهما منه
وجاء ثمانية وأربعون رجلاً ، فحلفو
فوالذي نفسي بيده
ما حال الحول ومن الثمانية والأربعين عين تطرف!

الدرس الأول:

القُسامة من قضاء الجاهلية التي أفرَّها الإسلام وعمل بها!
ويُعمل بها في الموضع الذي يُشابه ما كان في القصة
قتل رجلٌ ظلماً وطلب من آخر وهو في التَّزِعِ الأخير
أن يبلغ أبا طالب بنبياً قتله
وفي هذه الحالة يكون القاتل مخيراً بين ثلات
الأول : أن يدفع الديمة وهي مئة ناقة كما تعارف العرب
أو أن يحلف خمسون من أهل القاتل أنه ما قتل
أو أن يُقتل به حداً
واستحسن الإسلام هذا القضاء وعمل به في هذه الظروف
وقد قضى بها رسول الله ﷺ بين الأنصار
في قتيل ادعوه على يهود خيبر

الدرس الثاني،

كان العرب يقسمون على الدم عند الكعبة بين الركن والمقام
وحتى في جاهليتهم يُخبروننا أنَّ النَّاس هم الناس في كل عصر
منهم من يُعظم الحرمات والدماء ويأبى أن يحلفَ اليمينَ الكاذبة
ومنهم من ليس له عهد ولا ذمة يحلفُ بما لم يشهد
وقد يحلفُ كذبًا أنَّ الذي وقعَ ما وقعَ كما في القصة
اختيار القاتل في هذه القضية كان أنَّ يحلف خمسون من قومه
فأدت امرأة هاشمية كانت عند أهل القاتل
وطلبت منه أن يقبل يمين ابنها أن القاتل قد قتل
وجاء رجل رغم أنه يعبد الأصنام رفض أن يحلف كذبًا!
فاعتبرَ أنَّ كلَّ يمين من الأمان الخمسين
يُسقط ناقتين من دية القتيل
دفع إلى أبي طالب ناقتين اشتري بهما ذمته ومروءته
بينما حلف الباقيون أنَّ القاتل ما قتل
فما مضى العام إلاَّ والذين حلفوا كذبًا قد ماتوا جميعًا!

الدرس الثالث،

لا تتعصب لقومك وأهلك
الحُبَّ شيءٌ والتعصبُ شيءٌ آخر
الباطل باطل ولو جاء به من نُحب
والحق حق ولو جاء به من نكره

النبلاء يتحزّبون للأخلاق والمبادئ ، لا للرجال والأرحام والقرابات
حبك لابنك لا يعني أن تقف معها في باطلٍ ضدّ زوجها
وحبك لابنك لا يعني أن تقبل أن يظلم زوجته
حبك لصديقك في العمل لا يعني أن تتستر على تقبله للرسوة
الحبُّ الحقيقِيُّ أنْ تمنعَ الَّذِينَ نحبُّهم عن الظلم
السُّكُوتُ والتَّسْتِرُ والرَّضَا هُوَ مشاركةُ مَعْهُمْ فِيهِ
وقد قال رسول الله ﷺ : انصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً
قالوا : يا رسول الله ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً
قال : تأخذ على يده ، فذلك نصره !

الدرس الرابع :

إياكَ أَنْ تَحْلِفُ بِاللهِ كَاذِبًا
لَا يَكُنَّ الْجَاهِلِيُّ أُورِعُ دِينَكَ !
وَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضِي أَنْ يُظْلَمَ الْكَافِرُ بِيَمِينِ كَاذِبَةٍ
فَكِيفَ يَرْضِي أَنْ يُظْلَمَ بِهَا مُسْلِمٌ !
أبطال قصتنا جميعهم قاتلهم وقتيلهم وشهودهم وأولياء الدم كانوا
مشاركين
ولكن الله لم يرض أن يظلم المشركُ المشركَ باسمه !
فما مضى عام إلا ومات كل من حلف باسمه كاذبًا
وحتى إن لم يقتضي الله في الدنيا ما انتهى الأمر
وما أغلق ملف القضية
هناك آخرة ، وهناك محكمة ، وهناك كتاب لا يغادر صغيرة ولا

كبيرة إلا أحصاها
وهناك قاضٍ هو جبار السماوات والأرض
تنطق في حضرته الجوارح وتشهد الأيدي والأرجل
ضع هذا نصب عينيك
إن النجاة في الدنيا ليست إلا نجاة مؤقتة
والعاقل من صدق في محكمة الدنيا لينجو من محكمة الآخرة

الدرس الخامس:

الجاهلية هي لفظ أطلقه الإسلام على حياة العرب قبله
وهي جاهلية دينية فقط حيث كان القوم يعبدون الأصنام
وصحيحة أنهم كانوا يرتكبون الفواحش والرذائل
ولكن القوم كانوا في كثير شؤونهم على قدرٍ كبيرٍ من الأخلاق
ويشهد لهم بهذا النبي ﷺ يوم قال :
«إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق»!
وهذا اعتراف منه ﷺ أنهم كانوا يمتهنون بأخلاق عالية
هذا هو عدل الإسلام ، يقر المخالف على صوابه
ويأخذ منه موقفاً على خطئه
إذا أبغضت إنساناً لا تنس فضله وأخلاقه
وإذا أحببت إنساناً لا تنس عيوبه وأخطاءه
نحن أمة تحب بعدل وتبغض بعدل!

يقودنا الحديث عن أخلاق العرب في جاهليتهم لذكر بعض
قصصهم

وبما أن هذه هي القصة الأخيرة في الكتاب
ستكون هذه القصص مسك الختام

القصة الأولى :

قيل لقيس بن سعد : هل رأيتَ قطَّ أكرم منك؟

قال : نعم

نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها

فقالت له إنه نزل بنا ضيفان

فجاءنا بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم

فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها ، وقال شأنكم

فقلنا : ما أكلنا من التي نحرت البارحة إلا القليل

فقال إني لا أطعم ضيفاني البائت

فبقينا عنده أياماً ، والسماء تمطر ، وهو يفعل كذلك

فلما أردنا الرحيل وضعنا مئة دينار في بيته

وقلنا للمرأة : اعذرني لنا إليه ، ومضينا

فلما ارتفع النهار ، إذا برجل يصبح خلفنا :

قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتُمُونَا ثمن قرانا

ثم إنه لحق بنا وقال : خذوا دنانيركم ولا طعنتم برمحي هذا

فأخذناها وانصرفنا!

القصة الثانية :

سمع أحد الأعراب في الجاهلية ضجةً وجلبةً خارج خيمته
فخرج فرعاً ينظر ما الأمر
فوجد جماعة من قومه قد حملوا عصيهم
فقال لهم : ما الأمر؟

قالوا : كنا نلاحق سرب جراد وقد فرَّ منا وحطَّ رحاله في فيءٍ
خيمتك ونحن نريدك
فدخل خيمته مسرعاً وخرج شاهراً سيفه وقال لهم
جراد احتمى بي كيف أسلمه لكم؟!

وقف يحرس سرب الجراد حتى تحرَّك الظلُّ وحمى الرمل وطار
الجراد

عندها التفت إليهم وقال : الآن أنتم وما تطلبون
ثم دخل خيمته!

ومن يومها إذا أرادت العرب أن تدح أحداً بالحمى قالت :
فلان أحمى من حامي الجراد!

القصة الثالثة :

يقال لصعبية جداً الفرزدق الشاعر محببي المؤودات
وذلك أنه مرَّ على رجلٍ من قومه وهو يحفر بثراً ، وامرأته تبكي
فقال لها : ما يبكيك؟

قالت : ي يريد أن يثد ابنتي هذه
فقال له : ما حملك على هذا؟

قال : الفقر

قال : إني أشتريتها منك بناقتين فلا تئنها

قال : قد فعلت

فأعطاه الناقتين على أن يربيها ولا يثدها

ثم انصرف يقول : إن هذه لكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب

وأقسم أن لا يسمع بموهودة إلا فداتها

فجاء الإسلام وكان قد فدى ثلاثة موهودة

القصة الرابعة :

كان النعمان بن المنذر ملك العرب الشهير قد جعل لنفسه يومين

يوم بُؤسٍ ، من صادفه فيه قتله وأرداه

واليوم نعيم ، من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه

فحدث أنَّ رجلاً من طيء أخرجته الحاجة يوم بُؤس النعمان

فيبينما هو يسير إذ لقيه النعمان فعلم أنه قاتله

فقال له حيا الله الملك ، إنَّ لي صبيةً صغاراً وأهلاً جياعاً

وقد أرقت ماء وجهي في طلب الطعام لهم

ولن يضر الملك قتلي أول النهار أو آخره

فإنْ أذن لي الملك أن أوصي إليهم هذا ثم أرجع إليه ليقتلني !

فقال الملك : لا أذن لك حتى يضمنك رجل معنا ، فإن لم ترجع

قتلناه

وكان شريك بن عدي نديم النعمان معه فرقٌ لحال الطائي

وقال : أصلح الله الملك ، فإنَّ عليًّا ضمانه

فذهب الطائي مسرعاً إلى أهله

فلما انقضى أغلب النهار قال النعمان لشريك :

إن صدر النهار قد ولَى ولم يرجع صاحبك

فقال شريك : ليس للملك عليٌّ سبيل حتى تغرب الشمس
فلمَّا كان المساء قال النعمان لشريك : قد جاء وقتك قم تأهب
للفتيل

فقال شريك : هذا شخص قد لاح مقبلاً وأرجو أن يكون الطائي
فإن لم يكن فأمر الملك نافذ
في بينما هم كذلك وإذا بالطائي قد اشتد عدوه في سيره مسرعاً حتى
وصل

فقال للنعمان أيها الملك مُرْ بأمرك !
فأطرق النعمان ساعة ثم رفع رأسه وقال :
والله ما رأيت أعجب منكمَا
أما أنت أيها الطائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً
وأماماً أنت يا شريك فما تركت لأحد في النجدة مقاماً
والله لا أكون ألامَةَ الثلاثة

ولائي قد رفعت يوم بُؤسي عن الناس ونقضت عادتي

القصة الخامسة :

ذكر ابن كثير من البداية والنهاية قال :
قيل لحاتم الطائي هل في العرب أجود منك ؟
فقال كلُّ العرب أجود مني !
إلا أني نزلتُ على غلامٍ يتيم ذات ليلة
وكانَت له مائة من الغنم ، فذبَحَ لي شاة منها
فلما قرَبَها إلىي قلت ما أطيب هذا الدِّماغ !

فذهب الغلام فلم يزل يأتيني منه حتى قلتُ اكتفيتُ
فلما أصبحتُ فإذا هو قد ذبح المئة شاة وما بقي له شيء؟
فقيل له فما صنعتَ به؟

قال أعطيته مئة ناقة من خيار إبلی
قالوا : إذاً أنت أكرم منه

قال : لا ، هو أكرم مني ، أنا أعطيتُ بعض ما عندي
وهو أعطى كل ما عنده !

مكتبة الرمحى أَحمد
@ktabpdf تيليجرام

الپھرس

7	١ . صَدَقَة
12	٢ . جُرِيجُ العَابِد
17	٣ . أَسِيَا بَنْتُ مُزَاحِم
22	٤ . دَيْنُ وَسَدَاد
27	٥ . السَّحَابَة
32	٦ . مُغَيْثُ وَبَرِيرَة
37	٧ . جَرَّةُ ذَهَب
42	٨ . مَاشِطَةُ ابْنَةِ فَرْعَوْن
48	٩ . الْأَبْرَصُ وَالْأَقْرَعُ وَالْأَعْمَى
55	١٠ . الْخَمْر
60	١١ . رِجْلَانِ مِنْ خَشْب
66	١٢ . سَارَةُ وَالْفَرْعَوْن
72	١٣ . حِوَارُ بَيْنَ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام
79	١٤ . الَّذِي قُتِلَ مِئَةً نَفْس
87	١٥ . رِفَاقُ الْغَارِ
99	١٦ . قَضَاءُ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَام
108	١٧ . الْمَفَارِخَةُ بِالْأَنْسَابِ
114	١٨ . الرَّضِيعُ
120	١٩ . رُؤْيَا
136	٢٠ . الَّذِي أَضَاعَ نَاقَتَهُ!
143	٢١ . أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ

157	٢٢ المرأة التي وعظت عالماً
166	٢٣ ناقة صالح عليه السلام
175	٢٤ هاجر وإسماعيل عليه السلام
204	٢٥ . موسى عليه السلام والخضر
222	٢٦ . رجل مسرف على نفسه
232	٢٧ يونس عليه السلام
243	٢٨ . يوشع بن نون عليه السلام
250	٢٩ . زينب وأبو العاص بن الربيع
267	٣٠ المتألي على الله
275	٣١ . أول قسامة في الجاهلية

@ktabpdf تيليجرام

مكتبة الرمحى أحمد ٩٢

مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

مكتبة الرمحي أحمد

الحكاية أدب جميل فكيف إذا كانت في حضرة نبيٌّ!
والإضافة لها ماتع فكيف إذا كان راويها سيد الأولين
والآخرين!

هنا حكايا لا تشبه الحكايا
لأن راويها لا يشبه الزواة!
هو الذي ما ضل وما غوى
وما نطق يوماً عن هو
"علمه شديد القوى"
لما عانى بحدث "إن هو إلا وحي يوحى"!

